

السَّيِّدُ صَادِقُ آلِ طُعْمَةَ

عضو جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين

الحركة الأدبية المعاصرة

في كربلاء

المجلد الأول

دراسات أدبية موسعة، تحليلات فكرية حول الأدب، نسب بيوتات
كربلائية، قضايا وحوادث تاريخية عديدة
قدم له

سماحة حجة الإسلام السيد محمد جمال الدين الهاشمي
الأديب الكبير الأستاذ توفيق الفكيكي
الخطيب الشهير السيد مرتضى القزويني

الطبعة الأولى ١٣٨٨ - ١٩٦٨م

الطبعة الثانية: ٢٠١١م

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

والصلاة والسلام على سيد الأنام وخاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله وال بيته الأطهار الميامين وبعد...

فان لمدينة كربلاء المقدسة مرتبة أثيرة بين المدن الإسلامية المجاهدة، وذلك انها تشرفت وتباركت باحتضان رفات سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام وال بيته وصحبه المجاهدين البررة ، الذين طرزوا خلاصة تاريخ الفكر الاسلامي النابض بالحق والعدل الإلهي القويم ، مسطرين أسمى آيات الفداء والإباء في ترسيخ قيم السماء التي جاهد رسول الإنسانية محمد عليه السلام لنشرها بين البشر كافة.

وقد كان لأبناء كربلاء البررة وسواهم ممن آمن بمبادئ سيد الشهداء الحسين عليه السلام وآل بيته الميامين شرف التعبير الوجداني والفكري النير عن عقيدة أمتهم الإسلامية التي حظيت بتكريم رب العزة، فانطلقت قرائحهم وشهت أقلامهم لتمجيد نهجهم الواضح السليم وتخليد مآثر مدينتهم المعطاء فكرا ووجدانا بروائع قصائدهم وأدبهم الخالد. فكربلاء تزخر بينابيع ثرة من الإبداع والمبدعين في مجالات العلم والمعرفة والادب والفن والثقافة .. ولا عجب في ذلك. فهذه المدينة العريقة بتاريخها، الاصلية بحضارتها والتي كانت وما تزال مسرحا عظيما للمنازلة الكبرى بين قيم ومبادئ الحق

والعدل والحرية والاصلاح من جهة وبين دعاة الباطل والظلم والعبودية والفساد من جهة اخرى ، قد ورثت من دماء الحسين الطاهرة واهل بيته الدرر الميامين وصحبه الابرار كل معاني الرفعة والخلود والكرامة فكانت كل قطرة دم طهور من دماء ابي الشهداء بيرقا شامخا في عنان السماء ترنو اليه أبصار الاحرار والثوار والمبدعين السائرين على طريق الحسين عليه السلام طريق العزة والاباء. ولهذا وقف الشعراء والأدباء والمفكرون في كل أنحاء العالم وفي كربلاء على وجه الخصوص يمسون بهذا البريق المضيء الممتد بين الارض والسماء وينهلون من ينابيعه العذبة ماء الحياة وهي تتجدد بأرقى معانيها ويرتشفون عقب الحرية بأبهى صورها ويكتبون عن ملحمة الإنسانية العظمى التي صنعها الامام الحسين عليه السلام بنجيع الدماء الشريفة المزهرة - يكتبون شعرا وثرنا ، رواية وقصة ومسرحية - دراسة وفلسفة تشع مصابيحها الملونة الى كل العالم. بعد صدور الجزء الأول من حركة الأدبية المعاصرة في كربلاء عام هـ ١٣٨٨-١٩٦٨م الذي كتبه الشهيد السعيد السيد صادق ال طعمه لم يمهل القدر ان يصدر الجزء الثاني فسبب موافقة الدينية والوطنية قام النظام المقبور باعتقاله وإعدامه فودع هذه الدنيا شهيدا سعيدا تاركاً خلفه مسودة الجزء الثاني التي ظلت حبيسة الأوراق طيلة عقود مضت وبعد سقوط النظام البائد قام ولده البار السيد حسن بجمع تراث والده المرحوم وأعدّه بصورة بهية ناصعة ليغني

به المكتبة الاسلامية فجزاه الله خير جزاء المحسنين وقد اخذت العتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث وبتوجيه كريم من سماحة العلامة الحجة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) الامين العام لعتبة الحسينية المقدسة على عاتقها طبع الكتاب بجزئيه الأول والثاني ليقدم هدية ينتفع بها اصحاب الفكر والاقلام النيرة ويبقى مناراً للتعريف باعلام هذه الحركة الثقافية و وثيقة هامة تستودع الأسماء الكربلائية اللامعة تخليدا لها في ذاكرة الأجيال بما أعطت من نتاج ادبي زاخر مبدع.

وأنا نرجو من كل الباحثين والدارسين والنقاد دراسة هذا الأدب دراسة نقدية تحليلية معمقة تختلف عن الدراسات التوثيقية المعمول بها - لنؤسس قاعدة رصينة تحفظ وتصون هذه الكنوز الادبية والمعرفية الإبداعية التي تزخر بها مدينة الحسين عليه السلام.

وما ذلك بكثير على الباحثين والنقاد المخلصين ، فكربلاء تستحق منا ومن كل الاوفياء الكثير من العمل والانتاج لنكون فعلا ابناء بررة لها ، جديرين بالعيش على ارضها والانتماء ... ومن الله التوفيق .

مركز كربلاء للدراسات والبحوث



صورتني تُنبئك عني
 أنا أفنى وهي ذكرى
 حيث تقضي سنة الموت
 وكتابي في يد القراء
 وهو تاريخ قضايا
 الذي يسمو غلاً في
 بلد الإشراق والثورات

إنها رمز وجودي
 لي على مر العهود
 على من في الوجود
 عنوان خلودي
 أدب العصر الجديد
 بلد السبط الشهيد
 والمجد التليد

تقريـض

أتحنفا شاعر كربلاء الكبير الأستاذ السيد مرتضى الوهاب بهذا
التقريض الرائع الذي تجلى به فن التأريخ الشعري بأسمى معانيه
وأجلى مظاهره مؤرخاً به صدور هذا الكتاب.
والأستاذ الوهاب قد انفرد بهذا الفن الجميل وفاق به شعراء التأريخ
المعاصرين.

وسفر جامع من كل فن
بدا روض المعارف فيه وارق
يفيض نيمره أدباً مروقاً
وشعراً بالقوافي الغر رائق
أفاض "أبو ضياء" به علينا
فجاء لمقتني الآداب لائق
فخططه يراع فتى أديب
خطيب شاعر بالنظم فائق
حديث الشعر والشعراء صدقاً
فما ينيك عنه مثل واثق
وأبدع في البيان فأرخوه
« ففي الأدب المعاصر نشر صادق »

تصدير

بقلم العلامة

السيد محمد جمال الدين الهاشمي

العلامة الجليل حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد محمد جمال الهاشمي من فحول شعراء النجف الأشرف، ومن أعلام الفكر في وطننا الحبيب يشار إلى شخصيته اللامعة بالبنان، وقد شاء أن يغمرنا بفيض من ينبوع أدبه النابض، ورشحات من معين فكره الزاخر، بهذه الكلمة القيمة، فشكراً لسماحته، على تقديره العميق للمؤلف وكتابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

-١-

هل الأدب يناقض الدين؟

لو أقيمت هذا السؤال على شبابنا المتأدب لرأيتهم يجيب عليه بقول واحد: - نعم... لأن الأدب في عقيدة الشباب تحرر وانطلاق من القيود، والدين مجموعة من الحدود والسدود تفرضه العقيدة وقيمه الإيمان بالدين وأحكامه، فبين الأدب والدين تضاد وتضارب ظاهر. ولذلك رأينا غالبية أدباء الشباب تتعد عن الدين وأجوائه.. تتعد عنه لتنتقل مع الأدب إلى الآفاق الواسعة الشاسعة.

إنّ هذه النظرة الكالحة إلى الدين ليست إلا السلاح الذي اخترعه "الجهاز الموجه" لمحاربة الإسلام ومعارفه، وكم لهذا الجهاز من

أسلحة فاتكة يوجهها إلى قاعدة الدين وحصونه الشامخة، وإلاً فإنّ نظرة بسيطة إلى دستور الإسلام «القرآن الكريم» تفنده النظرية المجرمة.

فالقُرآن - موسوعة أدبية تضم ساير المواضيع التي يتوخاها الأديب في دراساته للأدب ومواضيعه كما حققها المؤلفات الباحثة عن الجانب الأدبي في القرآن الكريم.

وإنّ من توجيهات الإسلام الثقافية دعوته إلى المعرفة بجميع ألوانها إلا ما يتصادم مع الإنسانية وانطلاقها في الحياة: « أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ». كما وأن العصور تزخر بالمشاهير من الأدباء الملتزمين بحدود الدين وأحكامه الإلهية، فقد رأينا القادة من رجالات الإسلام يهتمون بالأدب ويحتفلون بالأدباء.

فهذا - ابن عباس - رضي الله عنه - على سمو منزلته في الإسلام والإيمان يستقبل (عمر بن أبي ربيعة) الشاعر المتحرر ويطلب منه أن يقرأ عليه ما استجد من شعره الماجن، فالدين في حقيقته ومعنويته لا يتصادم مع الأدب مهما كان لونه وأسلوبه - نعم: يقف الدين في وجه الطاقات الفاتكة بإنسانية الإنسان... يقف في وجهها ليووجهها إلى صالح الإنسانية ولو كانت تلك الطاقات - الأدب أو العلم.

تاريخ علم الأدب ينشعب إلى مواضيع ثلاثة، فالفكرة الأدبية لها تاريخ خاص ينبغي للباحث أن يدرسها باستقلال ويبحث تطورها وتسلسلها في الظروف والأوضاع، والنتاج الأدبي بإطاره العام الشامل للموسيقى والسبك والأسلوب له تاريخه المتطور في العصور الأدبية، والشخصيات الأدبية لها تاريخها الزمني وخصائصها (السيكلوجية - والفيسلوجية) والبيئة والمحيط وغير ذلك من الحدود واللامكانية التي تؤطر الأديب وتحصر شخصيته.

وبما أن تاريخ الأدب عنوان عام يشمل المواضيع الثلاثة لذلك ينبغي للباحث عنه أن يدرس هذا التاريخ من حدوده الثلاثة.

وأكثر ما يستعمل عنوان تاريخ الأدب في الموضوع الثالث، فيراد من إطلاق تراجم الأدباء والبحث عن حدودهم الشخصية اللامكانية، وقلما تجد في المؤلفات الباحثة عن تاريخ الأدب كتاباً يؤرخ الفكرة ويدرس النتاج الأدبي، وإنما تجد - ابن سلام والأصبهاني والثعالبي وابن خلكان والعماد - وغيرهم يؤرخون الشخصيات الأدبية ويسجلون الوقائع التي حدثت في زمانهم مع خبط طائفة قليلة أو كثيرة من نتاجهم الأدبي، بينما كان اللازم أن يهتموا بالفكرة الأدبية والنتاج فأنهما يعيشان مع العصور الإنسانية.

نعم: اهتم أدباء العصر في بعض الحواضر الأدبية بدراسة الفكرة وبتقييم النتاج وجعلوا لهما تاريخاً خاصاً تلمس فيه تطورهما عبر

العصور الفكرية وتلك بادرة تبشر الحقل الأدبي بالنمو والازدهار، وتلمس هذه الظاهرة في أدباء المهجر، وأدباء مصر، وأدباء لبنان، كما وتشتم رائحتها في بعض الآثار الأدبية في العراق ومنها هذا الكتاب الأدبي، والعراق تربة خصبة تتربى بها البذور إن وجدت لها مغزاً فيها، وبما إننا وجدنا أثر هذه الظاهرة في المتوجات العراقية لذلك نرجو للعراق أن يسبق الحواضر العربية في إنتاج هذا النوع من أدب الحياة.

-٣-

الأستاذ السيد صادق آل طعمة - شاب ينتمي إلى أسرة عريقة لها مكانتها الدينية والاجتماعية في أوساط كربلاء، تربى هذا الشاب في محيط مضمخ بالمثل الروحية والقيم الدينية، فكربلاء كانت ولا تزال مهبط أرواح المؤمنين، ومنزل أحلامهم اللامتناهية، وها هي قوافل الحجاج تقطع الأماد البعيدة لتحج قبر الحسين عليه السلام ولتتجرد في روضته عن العالم المادي وأوضاره، فقبر الإمام الحسين سلام الله عليه مطاف العقيدة الصادقة، ومعتكف الإيمان الخالص ولا غرو، أن يحج الإيمان لشهيد الخالد، وأن تطوف العقيدة حول إمامها الأقدس.

ولقد كان - آل طعمة - ولا زالوا من نقباء السادة الذين التزموا بسدانة هذه البقعة الطاهرة وبالاحتفاء بزوارها الأخيار، وكان هذا الالتزام امتيازاً روحياً وشرفاً اجتماعياً يرفعهم عن الوسط العام في مجتمع كربلاء، وهم على مختلف فروعهم وتفاوت مكانتهم

الاجتماعية لا زالوا يرحبون بزوار الحسين عليه السلام ويقومون لهم بكل ما يحتاجونه بكل حفاوة واحترام.

والسيد صادق - آل طعمة - غصن من هذه الشجرة الطاهرة تضمخ وجوده بعطرها، وتشبعت نفسه بقداستها وروحانيتها.

فقد تلقى من وراثته وبيئته ومجتمعه ما جعله - أنموذجاً حياً - للعقيدة والشرف والسيادة، وفي كربلاء تتلاقح العقيدة والمعرفة والبطولة الأدبية، فلا غرو: أن ينشأ (ابنها البار) هذا طافحاً بالدين والعقيدة والكرامة والأدب، وأن يبرز إلى المجتمعات بروحه الثائرة على الجهل والإلحاد، فيشارك في حفلاتها الأدبية خاصة الاحتفال السنوي التاريخي الذي تقيمه مدينة كربلاء ليلة ميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مساء ١٣/ رجب من كل عام، ويقاوم الحركات الهدامة كالموجة الشيوعية المخيفة التي اكتسحت العراق بعد عام «١٩٥٩» وغيرها من العواصف السياسية المدمرة، فلقد اثبت وجوده الأدبي والديني بمقاومة مبادئها وآرائها ولا زال يواصل نشاطه الأدبي والاجتماعي في المناسبات الأدبية الخاصة والعامة واصدر كتابه الرائع في ذكرى فقيه العلم والتقوى في كربلاء آية الله السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (قدس سره) في عام - ١٣٨١ هـجـ .

-٤-

المؤلف الذي بين يدي تجربة أدبية يقوم بها المؤلف النشيط محاولاً دمج الفكرة والوجود الأدبي في حياته الأدبية نفسه، وهي

محاولة جريئة ينبغي أن نبارك المؤلف عليها، وهو وإن لم يكن يتوفق في بلوغ المقصد الذي حاول في دراساته، إلا أنه لم يتعد عنه كثيراً، ففي مؤلفه يرسم لنا فكرة الأديب، كما يخطط أجوائه الأدبية عند دراسته لحياة الأديب ونشأته الثقافية.

فالكتاب إذن من الآثار الأدبية التي تطوف حول دراسة تاريخ الأدب دراسة موضوعية، وقد تمكن أن يترجم لاثني عشر أديباً وهو جزء من سلسلة أجزاء نتظر صدورها تبعاً لإنشاء الله.

كما وإنني أسأل الله تعالى أن يوفق المؤلف الأستاذ الشاعر الأديب السيد صادق آل طعمة في جهاده الأدبي، وأن يفتح على قلمه وأدبه أبواب المعرفة الحقيقية، وأن يحلق بروحه الشاعرة إلى الآفاق الساحرة ليزود المكتبة الأدبية بآثاره المستطرفة انه ولي التوفيق.

النجف الأشرف / محمد جمال الهاشمي

تحريراً في ١٤/١١/١٣٨٥

تقديم

بقلم الأستاذ: توفيق الفكيكي

تبرز شخصية الكاتب الألمعي والأديب المفكر الأستاذ الكبير توفيق الفكيكي بين أقطاب الفكر والأدب في العراق وفي موطن الضاد فيشار إليه بالبنان وهو صاحب المؤلفات القيمة ومنها كتابه الثمين - الراعي والرعية - الذي يعتبر جوهرة غالية في تراثنا العربي الفكري ومن دواعي الغبطة أن نعطر الصفحات الأولى من هذا الكتاب المتواضع بنفحات من عبقريته الفكرية فهذه مقدمته الرائعة التي تفضل - مشكوراً - فكلله بها.

بسم الله الرحمن الرحيم

رزحت بلاد الرافدين في ظل الحكم التركي مدة أربعة قرون كانت حصيلتها أن فقدت كثيراً من تراثها الحضاري ، وبالرغم من همجية العنصر "الطوراني" واستبداد الحكام الأتراك فقد صمدت العروبة وقاومت بكل إباء وجبروت إزاء - الطواغيت الدخلاء - وأبت عليهم تزييف معادن العربية وجواهر لغتها وأدبها.

وكان القرآن العظيم هو الحصن المنيع لحفظ أصالة القومية العربية وصيانة لسانها القويم المبين من غزو السياسة «البربرية التركية». ولما تفرغت عصابة - جون ترك - باتجاهها نحو - الطورانية - وسياسة - التتريك - بعد خلع السلطان عبد الحميد على يد حزب

(الإتحاد والتّرقّي) وجدت لها بعض الدعاة من المرتزقة ومن طلاب المناصب والوظائف والوجاهة من العرب في أكثر أقطار العروبة ومن جملتها أعالي - دجلة - وبخاصة - الوسط البغدادي - فتغلّغت اللغة التركية في المدارس والبيوت والدوائر ، وكادت بغداد تفقد مركزها الثقافي التاريخي لولا أن تتعهد الكوفة وجامعة النجف الأشرف وكربلاء المقدسة بتدعيم مقوّمات حياتها العربية ومواريتها القومية، وهذا غير خاف على العارفين ومؤرخي الأدب العربي في عصر الانحطاط وطوائف الملوك وقد أشار إلى هذه الحقيقة شاعرنا، الفحل المرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزي ابن كربلاء البار فقال: -

أمراء شعبك يا عراق حسبتهم بين الملا عربا وهم أتراك
وقوله أيضا:

كنا نظن بأنهم عرب لم ندر قد نشئوا وهم ترك
وله في هذا الباب شعر كثير مثبت في دواوينه الشعرية الكثيرة.

ومن مدن العراق وحواضره الكبرى التي احتضنت معاهد العلم والأدب والتصوف الإسلامي هي مدينة كربلاء المقدسة، وقد شرفها الله فصيرها مشهداً لرياحين ريحانة الوجود رسوله المصطفى ﷺ وللصفوة من أهل اليقين والإيمان أصحاب سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي ؑ حتى جعلت تربتها مسجداً لكل مؤمن من أهل القبلة الإسلامية، وهي لهذا أصبحت دار الهجرة لكثير من الأجناس المسلمة ومثوى لمن يحدوه الحب والشوق لمجاورة المراقد المباركة

ما خلا قوافل الزوار المتتالية في كل يوم ومن شتى ديار الإسلام، وهذا الشرف العظيم الذي تزدهي وتستطيل به أرض الطف قد حبيت للمهاجرين الثواء في أرباضها حتى اندمج منهم بسكانها العرب بشتى الوسائل والمسببات كما وقع مثل ذلك في الوسط البغدادي وفي الجانب الشرقي منه خاصة من وراء المصاهرة مع الأتراك والأكراد.

وقد كادت كربلاء في العهد العثماني تذوب شخصيتها العربية لتغلب الرطانة في بعض أحيائها ومنازلها لولا الفحول من علمائها وأدبائها وشعرائها المبدعين اللامعين أمثال: المرحوم السيد نصر الله الحائري الفائزي والرحوم الشيخ محمد علي كمونة والرحوم الشيخ محسن أبو الحب الكبير والشيخ البارعين من آل الهر وهم قاسم وكاظم وجعفر وكالشاعرين الشهيرين المطبوعين الشيخ محمد حسن (أبو المحاسن) والشيخ عبد الحسين الحويزي وأضربهم. ومما يدل على جهد هؤلاء الجهابذة ومقام سدانتهم على التراث القومي في كربلاء هو قول المرحوم شاعر الفصحى الحويزي في قصيدته - غرباء في بلادنا.

نجحت بها الرؤساء حين تجنست

وبها استبان خيبة الأعراب

غرباء في الوطن العزيز تأهلت

سامت جميع العرب ذل رقاب

ومنها:

أضحت بشعب العرب "فارس" فارساً

للسبق مكن رجلها بركاب

وكان لبعض هؤلاء الأدباء الاقحاح الأثر الفعال في تحريك العزائم وتنشيط الهمم وإثارة العواطف في إشعال نار الثورة العراقية الكبرى في سنة ١٩٢٠- ضد قوى الاحتلال الانجليزي وتحرير البلاد من العبودية الأجنبية، وقد قدم أمناء الأدب في لواء كربلاء للثورة الخالدة أروع الأمثلة وأجمل الألوان واصدق الشعر الحماسي في سبيل إشعال الثورة وخدمة أغراضها بعد القوة الدينية وفتاوى المجتهدين العظام فكان صوت الأدباء والشعراء، يتعالى في مواكب جهاد أساطين الفقهاء والعاملين الأبرار بقيادة زعيم الثورة الخالد آية الله المرحوم محمد تقى الشيرازي - قدس سره - فجزاهم الله عن - الضاد - والإسلام خير الجزاء.

وإن أنس لا أنسى الأثر الكبير الفعال في الحركة الأدبية في تلك الفترة، ذلك الأثر المبارك الذي قام به السادات الأكابر (آل طعمة) من سدنة الأدب والعلم بالإضافة إلى ما يتحلون به من شرف الزعامة في خدمة الروضة الحسينية المقدسة منذ القرون الغابرة ومن أعلام (هذه الأسرة) الكريمة الذين عايشتهم وتشرفت بصدافتهم هو العلامة الجليل والأديب الحصيف المرحوم الحاج السيد عبد الحسين «آل

طعمة» كبير سدنة الروضة الحسينية المشرفة المتوفى سنة "١٣٨٠-١٩٦٠" فلا زال لواء المجد معقوداً على هامات أعياصهم وفروعهم.

على أن تلك التيارات التركبية حول ضفاف - دجلة - وكذلك مؤثرات قوافل الزائرين المجاورين لمراقد الشهداء لم تستطع بحمد الله التأثير أو البقاء في مناخ العروبة موطن الضاد فسرعان ما اندحرت وانصهرت لغة التنزيل الحكيم وإذابته بعد عشية وضحاها وذلك بفضل يقظة الشباب ونهضتهم ووعيهم، وقوة عزماتهم وشدة إقبالهم وإقدامهم على إحياء تراثهم المجيد العتيد، وهيامهم بحب التثقيف بالثقافة القديمة والحديثة ولا مشاحة ولا جدال، فان من درس تاريخ نهضات الأمم في المشرقين ووقف على أسرار وعلل ثورات الشعوب التاريخية الكبرى يجد بعد الفحص البصير إن نواة تلك النهضات الاجتماعية والعلمية والأدبية والثورات التحريرية كانت قد تفجرت عن نواة حركة أدبية عارمة سبقت ومهدت للميلاد الجديد والحياة الخلاقة المتطورة.

وعليه فإن أساس التجديد والتطور في حياة الأمم وتقدمها وبعثها من سباتها العميق ودفعها إلى حلبات المجد والارتقاء هو ديوان أدبها الصادق وصرخات أدبائها القوية المدوية وثورة شعرائها الصاخبة العاتية.

أجل: - إن الأساس هو صيحات الشعراء المجاهدين وكفاح كتابها المثقفين المخلصين، هذه هي الحقيقة التاريخية في تاريخ الإنسانية

منذ فجر الحياة البشرية، زارني السيد النسيب، والشاعر الأريب " الشهيد صادق السيد محمد رضا آل طعمة وتكرم بتقديم مؤلفه الفاخر وهو هذا الكتاب الممتع، بل ذخيرته النفيسة، وطلب إليّ متفضلاً أن أقدمه إلى القراء الألباب، وهو في غنى عن التقديم والتعريف والثناء والإطراء لما في أبوابه وفصوله من المحاسن والروائع، والغرر الشادخة التي يتطلبها ويتحلى بها الأثر الأدبي والمطبوعات العربية في هذا العصر، ومع هذا فقد لبيت وامثلت.

قلت آنفاً إن تاريخ المجد الأدبي لمدينة أبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام تضيق به المجلدات والموسوعات. ويهمننا من فصوله الزاهرة صفحاته الخالدة التي خلدها بعد عهد الانحطاط هؤلاء الأساتذة الكبار الذين وطموا الأسس المتينة، وقعدوا القواعد الرصينة، وشيدوا الدعائم القويمة، لمن جاء بعدهم من الجيل الطالع الصاعد وكان هذا الجيل الجديد الواعي المتفتح - والحق يقال - «خير خلف لخير سلف».

فالحركة الأدبية المعاصرة التي ينطق بحقائقها هذا الكتاب الذي ضم بين دفتيه شتى الزهر المتأرجح، وأينع الثمر الناضج، وأطيب شعر شعرائها النابهين، الذين أسهب المؤلف الفاضل وأطال الأطناب في الإطناب^(١) على طول باعهم وتفوقهم في النظم والنثر وقد لمحت من

^١ الإطناب - الأولى بالفتح جمع: طنّب. وهو حبل الخيمة. والثاني بالكسر وهو ضد الإيجاز في القول.

خلال مطالعاتي صفحات الكتاب ما ينعش الروح، ويهز القلب، ويبسط فسحة الأمل بالمستقبل الموعود لازدهار مجاني أدب للشباب الغض الصادق، النابض بالحياة التقدمية المؤمنة بالعروبة والإسلام وهي المرجوة لإعادة المجد الأدبي الباذخ الذي شيد صرحه الشامخ ورفعته أيدي الميامين من نبغاء كربلاء المشرفة.

وقد سرنني ما لمستته في - المؤلف - من طموح مبكر. وفكر متوثب، وقلب ملتهب بحرارة العقيدة، ونفس مطمئنة بالإيمان وبرد اليقين، وقدرة على التعبير الفصيح.

كما سرنني هذه البواكر الشعرية المفتحة الأكمام، التي سيسطع عبيرها الفواح في رياض الأدب العربي فستثمر ثمارها الشهية، وتجنبي جناها المستطاب طلائع الجبل الطالع إن شاء الله تعالى، وأرى بل أرجو لهذه الطلائع الرشيدة الرائدة الأفذاذ في السير في طرق الكمال الوعرة المتشعبة، والتزود من مناهل المعرفة و اللغة والأدب القديم والحديث والاعتراف من جداول الفنون العصرية وغدرانها الرقراقة العذبة السائغة، وذلك لتكثر مفاخرهم وتعظم مآثرهم في ميادين الأدب العامر البناء، الخلاق المخترع، غير مقيد بالقيود والجمود، ومنطلق من أسر التقليد والمحاكاة ويمتاز بروح تقدمية متساوقة مع أساليب الحضارة العصرية مع المحافظة على أصول اللغة وقواعدها المتيسرة، وبذلك نكون قد خلعنا عنه أثوابه العتيقة البالية. وأكفان الرجعية الأدبية البغيضة ولكن بشرط أن يبقى - شرقي الهوى عربي الروح - غربي الإبداع والتصوير في المعاني الأبيكار.

وبعد فإن الجهد المشكور الذي بذله الأستاذ الأديب - المؤلف - في خدمة (الحركة الأدبية المعاصرة) في مدينة أبي الشهداء وسيد الأبطال الإمام الحسين عليه السلام عليه وعلى أصحابه الكرام أفضل الصلاة والسلام.... في تأليف هذا الكتاب المفيد، والناطق بفضله وأدبه. والشاهد على فواضله وصفاء روحه الطيبة.

ولا أريد أن أختتم كلمتي قبل أن أشير إلى ما لفت نظري من الشعر والنثر، ففي شعر الأديب السيد مرتضى الوهاب جاء قوله: -
والعابد صار عدو الدين وللدینار تعبده
وأحل الشرع ربا الأموال وكان حراماً مورده
فهذا التنديد بالعلماء الأذعياء المزيفين قد أجاد فيه حضرة الشاعر، بيد انه أبهم التعبير على القارئ في البيت الثاني وليس كل قارئ قد أتقن الاستعارة والمجاز وفن المعاني والبيان فهو قد جعل - الشرع الشريف - بمقام العالم المزيف الدعي الذي أحل الربا للناس وكان معبوده الدينار في الحياة. وهذا التركيب يجعل القارئ يعتقد أن - الشرع - قد أحل - الربا - وهذه تهمة ينكرها دين الإسلام الحنيف وشريعته الغراء. وأرجح أن يعيد الشاعر اللبيب نظره في صياغة البيت وإن كان محمولاً على لسان العالم الفاسق.
والأمر الثاني الذي لفت نظري هو تعبير الأستاذ المؤلف في مقدمة ترجمة - الدكتور صالح جواد آل طعمة - فقال:

"لأن الفكر كلما كان ناضجاً، والعقل كلما اتسم بمستوى الكمال" والعبقرية كلما حلت في رؤوس المفكرين.... كلما كانت البشرية أكثر تقدماً... الخ".

فترى أن حضرته قد استعمل لفظة (كلما) أكثر من مرة في جملة أو جملتين وكان بإمكانه أن يكتفي بـ(كلما) الأولى: لان لفظ - كلما - من خاصية التكرير والإعادة فلا يجوز تكرارها في الجملة. وفي القرآن الكريم وكلام العرب شواهد كثيرة على ذلك منها قوله تعالى: -

﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾، الآية.

فلم يكرر - كلما - بعد كلمة المحراب. وقوله تعالى أيضاً: ﴿ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾، الآية.

ولم ينفرد جناب المؤلف بهذا الاستعمال الخاطيء، بل جرى على أسلات أقلام الكثيرين من كتاب العصر المعروفين وقد لفتنا نظر بعضهم من حملة - الدكتوراه - في الأدب العربي.

والخلاصة: فأنني لأرجو أن يكون هذا الأثر الأدبي النافع محفزاً للشباب الباحثين في الأدب العراقي المعاصر كما أرجو لحضرة المؤلف الفاضل مزيد التوفيق والتسديد ليمد بقلمه الفياض وشاعريته الدافقة دنيا الأدب الحي والأوساط الأدبية وأوطان الضاد بكل جديد طريف. والله اسأل أن يزيد في توفيقه وتسديده انه بالإجابة جدير.

بغداد: الاعظمية/ توفيق الفكيكي

تحريراً في يوم الاثنين ٢٢/شوال

(١٣٨٥ هـ - ١٤/٣/١٩٦٦)

كلمة

بقلم الخطيب الشهير فضيلة

الحاج السيد مرتضى القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

إنَّ لكربلاء المقدسة منزلة عظيمة في نفوس المسلمين وغيرهم فهي محط أنظار الأمة، ومعقد آمالها، لأنها ضمت رفات سيد الشهداء وأبي الأحرار وقائد الثوار الإمام السبط الحسين صلوات الله عليه. ولقد نمت هذه المدينة وترعرعت خلال عشرات القرون منذ فاجعة الطف إلى يومنا هذا وأثمرت تربتها الطاهرة خير الثمار من فطاحل العلم وجهابذة الأدب ورجال الجهاد المقدس، فكانت لهم آثار خالدة في التاريخ وصفحات بيضاء تنم عن طاقات هائلة وثروات علمية وأدبية زاخرة.

وقد تصدى الكثيرون لتدوين هذه الآثار والمآثر، فمنهم من كتب عن تاريخ كربلاء وعمرائها والتطورات التي مرت بالحائر الشريف^(١).

^١ انظر - تاريخ كربلاء وحائر الحسين - للدكتور السيد عبد الجواد الكليدار آل طعمة وبيغية النبلاء في تاريخ كربلاء - العلامة الباحثة السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة ومدينة الحسين - في ثلاثة أجزاء للسيد محمد حسن الكليدار آل طعمة وموسوعة العتبات المقدسة، وغيرها.

ومنهم من كتب عن البيوتات الأدبية والأسر العلمية فيها^(١). ومنهم من دون الحوادث التاريخية والواقع التي شهدتها هذه المدينة عبر القرون قديماً وحديثاً منها - ثورة العشرين - على الأخص.

حتى قيص الله كذلك أحد أبناء كربلاء البررة ليتصدى للبحث والتنقيب عن مآثر هذه البلدة المقدسة فيخرج إلى المجتمع هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم باسم (الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء) وهو حصيلة جهود مضية، ومساع مشكورة بذلها مؤلفه الفاضل أخونا الشريف المنيف، الحسيب النسيب، الشاعر الأديب اللامع السيد صادق نجل سيدنا الجليل الورع الكامل الحاج السيد محمد رضا آل طعمة الموسوي المنتهى نسبه العريق إلى سيدنا الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه.

وقد نهض من زمن ليس بالقصير باحثاً ومنقياً، يتحرى الأخبار ويجمع تراجم الأعلام، ويتتبع كل شاردة مما يتصل بموضوع الكتاب حتى أناف ما كتبه على ثلاثة مجلدات كبار هذا أولها، وسوف يقدم الجزء الثاني إلى الطبع بأذن الله تعالى.

^١ انظر - البيوتات الأدبية في كربلاء - للأستاذ موسى الكرباسي. و البيوتات العلوية - للسيد الدين القزويني. وكربلاء في التاريخ - للمرحوم السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة وغيرها.

والكتاب كما تصفحت بعضه يستوعب التراجم، ويكاد يجسد للقارئ كل ما يتصدى لوصفه وبعته، ويمتاز بدقة التعبير وسلامة الألفاظ، ورصانة الأسلوب.

وربما استطرد في تراجم بعض الأدباء إلى ذكر أعلام آخرين بالمناسبة، وتدوين الحوادث التي تتصل بالمتراجم لهم من قريب أو بعيد وهو مضاف إلى ما ذكر.. مجموعة تحتوي على غرر الشعر وعيون الأدب التي تفجرت من هذه الأرض الطاهرة الخصبة فسالت عذبة رقراقة على السنة أدبائها وشعرائها. وجرت بأقلام كتابها لتسقى طلاب الفكر والأدب والمعرفة.

كما انه يضم بين دفتيه سوائح تاريخية شهدها المؤلف بنفسه مما سوف نشير إليها.

وهو إلى جانب هذا لا يقتصر على ذكر النصوص وسرد القضايا فحسب، بل يتناول كل شخصية بالدرس والتحليل، ويلقى عليها أضواء من التمحيض والتدقيق، مما يزيد من عمق الكتاب وغزارته وأهميته الأدبية والتاريخية ويرفع من مستواه.

أما المؤلف:

فهو غنى عن التعريف بانتمائه إلى أسرة من أجل الأسر العلوية العريقة في هذه المدينة المقدسة، وكان منذ الطفولة يتذوق الأدب ويتعاطاه نظماً وشعراً، وكان له مزيد رغبة في تلقى العلوم العربية وآدابها خاصة.

(١) _ وقد صرف جهوداً طويلاً في مزاولة الخط العربي بل مختلف الخطوط على تعدد أنواعها حتى أصبح بفضل الله من مشاهير الخطاطين، وإنك لا تجد لوحة جميلة أو قطعة جذابة، أو خطأ حسناً، إلا وترى معظمها مزدانة بتوقيع الأستاذ الخطاط السيد صادق طعمة.

(٢) _ كما أن مواهبه الأدبية لم تقتصر على النظم والنثر كتابة فحسب، بل تعدت ذلك إلى المقدرة الخطابية في الحفلات والمهرجانات والمناسبات العامة، في كربلاء حيث كان ولا يزال يساهم في معظمها بكل جرأة وجدارة، حتى تسنى له أن يكون (عريفاً وخطيباً) عدة سنوات في المهرجان السنوي العظيم الذي اعتادت كربلاء على إقامته في ليلة ١٣ رجب من كل عام بمناسبة ميلاد سيد الأوصياء الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

(٣) _ وللمؤلف - إلى جانب ما ذكرنا عنه - مواقف صامدة إبان المد الشيوعي الأحمر الذي اجتاح العراق على عهد الحكم القاسمي المقبور، وحيث كانت كربلاء قد انفردت عن كافة مدن العراق باستقامتها وصلابتها في مواجهة التحدي الشيوعي السافر بفضل الله تعالى وبجهود علمائها وأبنائها الغيارى فكان حينئذ للمؤلف صوت ومواقف مشهورة بقلمه ولسانه ويده وقد دون بعض تلك السوائح في ثنايا الكتاب بالمناسبة، ويجد القارئ الإشارة إلى ذلك خلال مطالعته لصفحاته.

٢٤ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
إنني في الوقت الذي أهنيء نفسي وأبناء جلدتي - قبل تهنئة
المؤلف الفاضل - بنشر هذه الدراسات القيمة، أرجو الله تعالى أن
يأخذ بيده إلى ما يحب ويرضاه ويسدد خطاه انه ولي التوفيق،
وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كربلاء المقدسة
في ١/ربيع الأول سنة ١٣٨٨هـ
مرتضى القزويني

كلمتي

عزيزي القارئ:

أنت الآن معي بروحك ومشاعرك وأحاسيسك..
أجل: _ أنت معي على صفحات هذا الكتاب المتواضع بداية ونهاية،
ولا أخالك تجهل تاريخ كربلاء المقدسة ذات الكيان العظيم، الذي
استطال بالشرف الرفيع وشارف آفاق السماء.

كربلاء الحافلة بعظمة المجد الإسلامي الزاهر الخالد، التي شرف
أرضها الجرداء بإقدامه الطاهرة أبو الشهداء الإمام الثائر الحسين عليه السلام
سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وشبل أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب عليه السلام يوم وقف وقفته البطولية النادرة بنهضته الجبارة
التي تحدى بها جيوش الكفر والغدر والخيانة، وكان مصرعه الأليم
ومصارع الكرام من ذويه وأنصاره الأبرار « إيداناً» بغناء ملك - يزيد
بن معاوية - العضوض ودولته الباطلة الفاسدة وإمبراطوريته الباغية
العاتية و«إعلاناً للنصر الذي كتبه الله للإسلام باستشهاده في سبيله
وقد نال بذلك أسمى مراتب المجد والخلود».

فلقد ضحى بكل غال ونفيس، وأدى رسالته المقدسة، رسالة الآباء
والشرف والحرية والكرامة والقيم الإنسانية التي كان هو معدن
جوهرها النقي.

فهو شهيد الحق والعدالة والمثل العليا، وهذا مرقده الطاهر،
المتأرجح بأشداء العقيدة والإيمان ما زال منذ شهادته حتى آخر الأبد

يزداد نوراً على نور - بإرادة الله - ينير الطريق بإشعاعاته القدسية وقبساته الروحية، ويكتسح الظلام. وهو خالد مع العصور والأجيال. خالد خلود الكون والحياة. وهو كذلك مهوى الأفئدة وملاذ النفوس ومنتجع العشاق والوالهين. ومطاف العقيدة والإيمان ومشوى ملائكة الله المقربين. يحجّه المسلمون بمختلف أجناسهم وقومياتهم في مشارق الأرض ومغاربها للتشرف بأعتابه المقدسة والتقرب إلى الله بالولاء له كما يحجون البيت الحرام فهو يقف في مصاف الكعبة المشرفة بقدسيته وروحانيته وعظمة مقامه.

* * *

أجل: أيها القارئ الكريم - هذه هي كربلاء، وهذه منزلتها العظيمة في نفوس العرب والمسلمين. وتاريخها المشرق المجيد يزخر بروعة التراث العلمي والأدبي قديماً وحديثاً. فهي مهد العلوم والآداب، وفيها تفجرت ينباعها الثرة، وأينعت ثمارها الشهية. وما الحركة الأدبية المعاصرة اليوم إلا امتداد للحركات الأدبية في عصورها الماضية. واستمداد منها. في ترابط جوهري وتماسك روحي وثيق.

وما الأدباء والشعراء المعاصرون الذين تحتضنهم كربلاء إلا وهم الأبناء والأحفاد الذين ورثوا مواهبهم الأدبية من آبائهم وأجدادهم من الأدباء والشعراء الماضيين، وهم اليوم - بأدبهم الرفيع الموروث -

يحملون مشاعل للفكر ينرون بها الطريق للأجيال التي تتعاقب بعدهم على هذا الصعيد الطاهر وهم إذن - خير خلف لخير سلف.

ومن يتتبع تاريخ هذا البلد المقدس - العربي الأصيل - بروح العدل والإنصاف يمتلكه الإعجاب ويقف إزاء صفحاته المشرقة بنور الفكر والعرفان موقف الإجلال والإكبار، ثم يؤمن من أعماق قلبه إيماناً راسخاً بأن هذه المدينة لم يكن حظها من الرقي أقل من حظ غيرها في ميادين الحركات الفكرية بل إنها كانت دائماً جنباً إلى جنب مع الحواضر العلمية والأدبية في العراق التي ساهمت في بناء صروح العلم والأدب الشامخة.

ولقد أنجبت كربلاء المئات من جهابذة العلم ومراجع الدين الإسلامي العظام والأدباء والشعراء النوابغ الذين هم في عداد العباقرة في التاريخ.

وخشية الإطالة والإسهاب نجعل حديثنا يقتصر على تاريخ الأدب في كربلاء وحسب. ونبدأ في ذلك بإيجاز من مطلع القرن الثالث عشر الهجري الذي هو "العصر الذهبي الزاهر" حيث بلغ الأدب فيه أوج مراتب السمو في هذه المدينة رغم ما شهدت منذ حلول هذا القرن من الفتن والاضطرابات السياسية إذ كانت كربلاء مسرحاً للحروب والحوادث الدامية لانتفاضاتها وثوراتها المتعاقبة ضد الحكم العثماني العسوف حتى كانت نهايتها "ثورة العشرين" التي أشعلت "هي" نيرانها اللاهبة ضد جيوش الاحتلال البريطاني وقدمت الضحايا

٢٨ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
والشهداء من خيرة أبنائها ورجالاتها الأشاوس في سبيل عروبتهما
وكرامتهما ومن أجل السيادة والاستقلال الوطني في جميع الحوادث
التي وقعت وأهمها:

١- غارات الوهابيين على كربلاء "١٢١٦-١٢٢٢".

٢- واقعة داود باشا أو - المناخور- سنة ١٢٤١هـجـ.

٣- واقعة نجيب باشا سنة ١٢٥٨هـجـ.

٤- واقعة حمزة بك سنة ١٣٣٣هـجـ.

٥- ثورة العشرين ١٩٢٠.

مقومات الحركة الأدبية:

والجدير بالذكر انه رغم وقوع الفواجع والمآسي التي شهدتها
كربلاء منذ أوائل هذا القرن - الثالث عشر- فان الحركة الأدبية فيها
كانت آخذة بالنمو والازدهار ولم يكن لذلك الجو السياسي المرعد
القاتم أي تأثير عليها. ومن أهم مقومات هذه الحركة:

١- طبيعة هذا القرن الذي توفرت فيه إسهاب النهوض بالأدب إلى

المستوى الذي صح أن نعبر عنه بـ(العصر الذهبي)، في كربلاء.

٢- نبوغ العشرات من الشعراء الأفاضل خلال هذا القرن.

٣- شعور هؤلاء الشعراء الذين كانت قرائحهم الوقادة تتفجر في

وجه الأعداء من الحكام العثمانيين والانجليز في معترك تلك

الحوادث السياسية وكأنها قذائف النيران المحرقة.

٤- وجود دواوين سادات البلد وزعمائه ورؤسائه وشيوخه التي كانت تنوف على "٤٠" ديواناً حيث كانت هذه الدواوين في كربلاء مسرحاً لأفكار أولئك الأدباء والشعراء، ومنطلقاً لهم، ومرتعهم الخصب، الذي ساعد على نضج قابلياتهم والتهاب حماسهم وإبراز طاقاتهم الخلاقة إلى حيز الوجود.

لقد كان الأدب في القرن الثاني عشر الهجري قد بلغ مراتب عالية من السمو بوجود الشعراء الفحول الذين نبغوا فيه وكان في طليعتهم السيد نصر الله الحائري الفائزي مدرس الطف. إلا أنه كان أقل ازدهاراً من القرن الثالث عشر الهجري للأسباب التي تقدم ذكرها.



كانت تنعقد مجالس الشعراء الكربلايين والوافدين وندواتهم في الدواوين، وكانوا يتبارون فيها بمواهبهم الأدبية ومساجلاتهم الشعرية في صفاء من الفكر والعاطفة والشعور إلى جانب عقيدتهم الخالصة وقوة إيمانهم بدينهم الحنيف - الإسلام - ووعيهم السياسي الذي لم تخمد جذوته، لان مدينة كربلاء كانت مبعث الوعي السياسي والوطني الجبار الذي كان يرعب الخصوم ويقطع دابر المعتدين، والحقيقة إن هذه الدواوين - المدارس والمعاهد، كما إنها للمدينة عزها وهيبتها ومرآة شخصيتها، وهي التي نشأ أولئك الشعراء الخالدون في رحابها وترعرعوا في أحضانها وحلقوا في أجوائها - الفكرية والأدبية - وهم عدد كبير لا نستطيع أن نذكر أسماءهم في

هذا الإيجاز ولو على سبيل المثال، وقد نبغ جلهم في البيوتات الكربلائية العريقة مثل:-

آل الوهاب - آل زيني^(١) - آل كمونة - آل الحميري - آل عواد -
آل بدقت - آل أبي الحب - آل الهر - آل عويد - وغيرها.

وقد تركوا من مناهل عبقرياتهم الفكرية الزاخرة تراثاً أدبياً رائعاً ظل يتعطر بأشذائه تاريخ الأدب في كربلاء جيلاً بعد جيل.

ونستعرض الدواوين لنعطى لها صورة جديدة في موضوعيتها عن الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في كربلاء، ولنعكس أيضاً عروبة هذه المدينة الأصيلة التي تتمثل في بيوتاتها العلوية وغير العلوية، ولكي نخرج من ذلك بهذه الحقيقة:-

إنَّ كربلاء قد اتجهت من عظماء الرجال ونوادير الشخصيات إلى جانب أعلام العلم والفكر والأدب الذين يعتز تاريخها بأمجادهم وتراثهم دائماً وأبداً، ولم تنجب أمثالهم أي مدينة في عراقنا الحبيب. ولقد كانت كربلاء حتى العهد القريب من تاريخها الماضي المشرق مريض الأسود، وقلعة الثوار، وحصن الأبطال المغاوير وموطن الأحرار، ولا غروا: فأنها البلد العشائري الثائر العريق الذي لم يكن

^١- آل زيني أسرة عريقة في كربلاء في السيادة والأدب ويمثلهم اليوم الوجيه السيد سعيد زيني، وهو من الذين قاوموا المبدأ الهدام عام ١٩٥٩ خاصة موقفه يوم ورد الإمام الحكيم إلى كربلاء يذكر بخير، وله مشاركة فعالة في احتفال كربلاء السنوي بميلاد الإمام علي عليه السلام.

ليرضخ للنفوذ الأجنبي بأي شكل من أشكاله، لبطولاته وجهاده الطويل، وكفاحه المتواصل، وتضحياته الخالدة في مختلف عهوده وأدواره التاريخية.

وبهذه المناسبة نقول للذين دأبوا على الطعن بعروبة كربلاء بوحي من ضمائرهم: إن كربلاء بلد عربي يحتضن العشائر والبيوتات العربية العريقة إضافة إلى العشائر المحيطة به، وكلما يقال خلاف هذا الواقع إنما هو (هراء) يتمشّدق به منطق الجهل وينفت في ثناياه السموم بل - نكرة - من نعرات الحقد والزيف المكشوف في تخرصات المغرضين.

مع الدواوين أهمها وأبرزها:

١- ديوان السادة الأجلاء - آل الشهرستاني - ويرجع تاريخ هذا الديوان إلى عهد المرحوم الورع التقى سيد المجتهدين آية الله العظمى السيد محمد مهدي الشهرستاني الخالد، وآل شهرستاني يلتقون مع (آل زحيك) في نسبهم المتصل بإبراهيم المرتضى الأصغر بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. وهم كربلائيون عريقون هاجروا من كربلاء إلى إيران على عهد السيد فضل الله في عهد الصفويين في القرن العاشر الهجري وأقاموا في أصفهان وفيها ولد السيد محمد مهدي من أحفاد السيد فضل الله عام ١١٣٠ هـ ونزح في أيام شبابه إلى كربلاء موطن آبائه وأجداده القدماء وتلمذ على كبار مراجع الدين الذين كانت تموج بهم كربلاء يومئذ وأصبح من أعظم العلماء

وصاحب نفوذ روحي واسع، توفي عام ١٢١٦هـ وكانت له اليد الطولى في تطوير وتوسيع الروضة الحسينية المقدسة.

وبيته في كربلاء بيت علم وشرف وأدب، وما زال ديوان آل الشهرستاني مفتوحاً وهو مجمع الفضلاء والوجهاء وذلك برئاسة الوجيه الحاج السيد خليل نجل المرحوم السيد إبراهيم الشهرستاني (أحد العاملين في ثورة العشرين) ابن العالم الكبير السيد مرزاه صالح بن آية الله السيد محمد حسين بن السيد محمد مهدي المذكور، والبارزون فيهم اليوم كثيرون منهم الأديب الباحثة السيد صالح الشهرستاني نزيل طهران وهو شقيق السيد خليل - أبي فؤاد.

٢- ديوان الزعيم الديني السيد كاظم الرشتي، وكان منتدى الأدباء والشعراء «سوق عكاظ» لأهميته الدينية والسياسية الكبيرة.

٣- ديوان السادة الأكارم (آل ثابت) ومنهم نقباء الحائر وسدنته كما برز فيهم رجال أقوياء اشتركوا في معظم حوادث كربلاء السياسية التاريخية منها ثورة العشرين، وأربعة منهم تولوا فقط سدانة الروضة العباسية المقدسة وهم: السيد محمد علي بن درويش والسيد ثابت بن درويش والسيد سعيد بن سلطان. السيد حسين بن السيد سعيد، وما زال ديوانهم مفتوحاً للقاصدين ومن شخصياتهم البارزة اليوم عميد الأسرة الجليل السيد محمد حسن والسادة الفضلاء محمد سعيد ومحمد رضا وبهاء وعزي والمحامي عبد الأمير وعبد الرزاق.

٤- ديوان المرحوم السيد محمد مهدي بحر العلوم وكان من الشخصيات السياسية البارزة تقلد وزارة المعارف والصحة العراقية عام ١٩٢٠ وهو والد الأستاذ السيد محمد صالح بحر العلوم نائب كربلاء في أواخر العهد الملكي البائد^(١).

٥- ديوان المرحوم السيد أحمد الوهاب آل السيد يوسف بنو عم «آل زحيك»، وسيأتي ذكره.

٦- ديوان المرحوم السيد صالح السيد سليمان آل طعمة وكان من أعظم شخصيات كربلاء، قابل السلطان عبد الحميد العثماني مرتين في "الأستانة" وكان في ضيافته، وقد قلده السلطان ثلاثة أوسمة شرف وعينه "والياً" فخرياً على كربلاء توفى عام ١٣١٩هـ - ١٨٩٩م، ومن نواذر أعماله ومآثره الجليلة انه عندما أصدرت السلطات العثمانية ببغداد حكم الإعدام على حوالي ١٢٠ شخصاً من أهالي - قفقاس - لأنهم جاءوا لزيارة العتبات المقدسة في العراق بطريق غير مشروع فتدخل السيد صالح لإنقاذهم من الموت حيث ابرق إلى السلطان عبد الحميد بذلك فلأجله عفى عنهم وأمر بإطلاق سراحهم.

^١ - ومن آل بحر العلوم اليوم في كربلاء حجة الإسلام السيد مرتضى الطباطبائي والعلامة السيد عباس الحجة والسيد علي بن آية الله والمرحوم السيد عبد الحسين الحجة والسادة الفضلاء الإخوان جواد ومهدي وجعفر أنجال المرحوم السيد حبيب وغيرهم وتربطهم بالبحر العلوم في النجف روابط النسب والقربى.

٧- ديوان المرحوم السيد حسين الدّده وكان من رجال السياسة المبرزين، مثل كربلاء في البرلمان في العهد الملكي وكان من ابرز قادة ثورة العشرين، وعندما قتل الشيخ ضاري " القائد البريطاني - لجمان" في معارك الثورة العراقية الكرى جاء إلى كربلاء لاجئاً عند الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة، فأمر الإمام السيد الدّده بأن يقوم بضيافته فأتمثل الأمر وضيّفه ثلاثة أيام وبعد ذلك قدم مجلس القيادة الحربية في كربلاء للشيخ ضاري مبلغاً كبيراً من المال مع الرجال والسلاح وبعثه إلى أعالي الفرات لمواصلة جهاده ضد الانكليز.

٨- ديوان سدنة الروضة الحسينية للزعيم السيد عبد الوهاب الكبير آل طعمة والسيد محمد جواد آل طعمة وابنه السيد علي^(١) وابنه السيد عبد الحسين:

٩- ديوان السادة الأماجد آل النقيب من آل زحيك تولى العديد منهم نقابة الحائر وكان جدهم المرحوم السيد محمد الدراج نقيب نقباء العراق عام ١٠٣٢هـ وما زال ديوانهم مفتوحاً، ومن ابرز شخصياتهم اليوم عميد الأسرة السيد كاظم السيد أحمد والسيد كاظم السيد مهدي والسيد جواد السيد مهدي، والسيد محمد علي السيد حسن، والسيد

^{١-} كان (عليه السلام) زاهداً ورعاً تقياً يتفقد الأرحام والفقراء ويطعمهم ويكسيهم وينفق موارد الضريح المطهر والهدايا والندور عليهم وعلى المعوزين من الخدم وأبناء السبيل من الزائرين وتلك هي الباقيات الصالحات. كان يوم رحيله يوماً مشهوداً.

بهاء ومنهم الشاعر السيد رضا صادق والأديب السيد كاظم محمد النقيب وغيرهم.

١٠- ديوان المرحوم السيد مرتضى آل ضياء الدين سادن الروضة العباسية وكان من اكبر الشخصيات المرموقة لسمو مقامه وقد تمثلت شخصيته الفذة في شخص نجله المرحوم السيد محمد حسن سادن الروضة العباسية المتوفى عام ١٩٥٣ الذي أغلق بوفاته ذلك الباب الواسع الذي كان مفتوحاً على مصراعيه للوافدين والقاصدين من كل فج عميق وتولى السدانة بعده نجله السيد بدر الدين آل ضياء الدين.

١١- ديوان المرحوم السيد عبد الوهاب آل طعمة حفيد السيد وهاب الكبير وسيأتي ذكره.

١٢- ديوان المرحوم السيد عبد الحسين الأعيان آل طعمة.

١٣- ديوان المرحوم السيد مصطفى السيد هاشم الشروفي نائب سادن الروضة الحسينية وكان من رجالات كربلاء وانتهت شؤون ديوانه من بعده إلى نجله المرحوم السيد سعيد الشروفي وكان من كبار الشخصيات الكربلائية ومن رجال ثورة العشرين^(١).

^١ بيت الشروفي فخذ من عشيرة آل طعمة وقد أنجب رجالاً أشداء وشخصيات لامعة وأولاد السيد سعيد وأحفاده منهم طبيب أساتذة وتجار ولهم مكانة مرموقة وغيرهم من أفراد هذا البيت كثيرون يزالون الخدمة في الروضتين المقدستين، ومن البارزين فيهم أيضاً الوجه السيد عبود جواد الشروفي وهو يتصف بالجرأة والهمة العالية قاوم المبدأ الهدام وأصحابه الفوضويين بكل قواه عام ١٩٥٩، وله اليد الطولى

١٤- ديوان المرحوم آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية الخالد.

١٥- ديوان آل كمونة وهم من عرب كربلاء الاقحاح من قبيلة بني أسد ومن ابرز رجالات هذا البيت الشاعر الكبير الشيخ محمد علي كمونة والإخوان مرزه مهدي ومرزه حسن سادنا الروضة الحسينية المطهرة في القرن الثالث عشر الهجري والشيخ محسن كمونة وولده الشيخ فخري والشيخ محمد علي وقد شهد هذا الديوان ندوات الشعر والشعراء إلى جانب الحركات السياسية الصاخبة وما زال ديوانهم مفتوحاً برئاسة الوجيه الأستاذ عبد الحسين آل كمونة.

١٦- ديوان المرحوم الحاج محمد رشيد الجلبي الصافي وهم من العرب الاقحاح أنجب بيتهم شخصيات لامعة منهم اليوم الحاج محسن وحميد والأستاذ جعفر الصافي الجلبي وكان المرحوم محمد رشيد رئيس بلدية كربلاء ومن بعده تولّى زعامة الأسرة الحاج محسن الجلبي الصافي.

في إقامة المهرجان السنوي الذي يقيمه الكربلائيون بمناسبة مولد الإمام علي عليه السلام وخاصة في عامه الأول. وقد اعتقل من جراء هذا الحفل العظيم في عام ١٣٨٣- ١٩٦٣ يوماً واحداً لمقاومته الشديدة ضد السياسة القاسمية المباداة ومعارضتها له. وهو ممثل لجنة الاحتفال، وإنسان متواضع سليم القلب مرموق الشخصية يسعى دائماً لانجاز أعمال الخير كثر الله من أمثاله.

١٧- ديوان آل عواد العشيرة العربية المعروفة التي لعبت أدواراً مهمة في حركات كربلاء السياسية بوجود زعمائها الوطنيين الأشاوس سواء في حادثة المناخور أو في ثورة العشرين.

١٨- ديوان عشيرة بني سعد وكان رئيسها المرحوم علوان جار الله.
١٩- ديوان عشيرة الوزون العربية برئاسة عمر العلوان وشقيقه عثمان العلوان وكانا من قادة العشرين.

٢٠- ديوان المرحوم الحاج حسن الشهيب ثم نجله المرحوم الشيخ محمد والد الوجيه الفاضل إبراهيم الشهيب المعاصر.
٢١- ديوان الزعيم السياسي الشيخ عبد المهدي الحافظ الشاعر المعروف.

٢٢- ديوان عشيرة (النصاروة) وكان رئيسها طليفيح الحسون أحد قادة ثورة العشرين.

أخي القارئ: وضعت أمامك صورة مصغرة تعطيك رغبم اختصارها انطباعاً عن الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في كربلاء.
وأود بعد ذلك أن أعطيك فكرة موجزة عن تاريخ ثورة العشرين فهي كلمة لا بد منها.

أقول: لقد وقع تاريخ ثورة العشرين فريسة الأهواء والنزعات وحامت حوله أقلام كالمباضع فمزقته شر ممزق، ثم اخذ كل ذي غاية سهمه من أشلائه المبعثرة وراح يعضغه مضغاً كلقمة سائغة يستمرؤها ثم يطلب المزيد.

أجل: إن العبث بالتاريخ، خاصة تاريخ أعظم ثورة وطنية كثورة العشرين لا يقل شأنًا عن عمل المباحث التي تعبت بالجسم السليم وتقطعه إربًا إربًا.

أقول هذا القول لأولئك الذين غيروا مجرى تاريخ تلك الثورة وزيفوا حقائقه، وجعلوا من اللاشيء أشياء، وحاولوا أن يسدلوا على صفحاته المشرقة ستاراً من أنانياتهم التي نسجها الباطل من خيوط المغالطات وهي (او هن من بيت العنكبوت).

ولا شك إن أول مسيء إلى تاريخ ثورة العشرين وإلى مدينة كربلاء بالذات هو الفريق مزهر الفرعون (غفر الله) صاحب كتاب «الحقائق الناصعة» فهو حريٌّ أن يسمى بـ «الأباطيل الخادعة»^(١) وكان أكثر الكتاب الذين كتبوا عن الثورة العراقية - على شاكلته - حيث عولوا على كتابه وزادوا في «الطين بلّة- وفي الطنبور» فزيفوا كما زيف، وشوهوا كما شوه، وحرفوا مثلما حرف، وقد جعلوا مصالحهم الذاتية فوق مصلحة التاريخ، وتعصبهم الإقليمي المقيت فوق التعصب للحق، « وكلُّ يجر النار إلى قرصه» واقسم لو أن قادة الثورة العراقية الكربلايين وعلى رأسهم الإمام الزعيم الشيخ محمد تقي الشيرازي

^١ وقد رد المرحوم السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة عليه بسلسلة من المقالات في حينه نشرت في مجلة رسالة الشرق الكربلائية وفند فيها مزاعمه وآراءه بالأدلة الثابتة.

يعودون إلى الحياة من جديد (وهيهات ذلك) ليصرخون في وجه الكتاب المزيفين يقولون لهم:

ما كانت ثورة العشرين التي أجبنا شعلتها في كربلاء - إقليمية - بل كانت وطنية ومن أجل سيادة البلاد ونيل استقلالها الوطني، ولربما يجددون ثورتهم تلك على هؤلاء لأنهم ما أنصفوا مدينة كربلاء ذات المواقف المشرفة والبطولات الجبارة في معترك الثورة العراقية.

إننا لا ننكر قط، مواقف أي مدينة ساهمت في خوض المعارك الدامية أثناء الثورة وضحت من أجلها بالأموال والأرواح من حدود البصرة إلى الموصل خاصة النجف الأشرف، بل نشمها ونقدرها ونعتز بها كما يعتز بها التاريخ، والتاريخ هو الحاكم الفاصل، ولكننا لا نسكت وليس من الإنصاف والوجدان أن نسكت عن حقوق مدينتنا البطلة التي مهدت للثورة قبل غيرها وارتفع صوتها في البلاد قبل أن ترتفع أصوات غيرها، وكان لها قصب السبق في ذلك.

ولكن كان نصيبها بعد ذلك الجهاد المقدس إنها لاقت من عدد غير قليل من مؤرخي هذه الثورة عنتاً شديداً، وتجاهلاً سافراً، ونكراً مقصوداً، وتلك جريمة لا تغتفر.

فكثيراً ما نقرأ في الصحف أو المجلات مقالات عن الثورة العراقية فنجدها لا تنطبق مع الواقع التاريخي الوضاء، بل هي والحقيقة على طرفي نقيض، وكأنها تتحدث عن ثورة غير ثورة العشرين، وكذلك الكتب التي صدرت بين فترة وأخرى فهي تحمل نفس الطابع، ولعل

تلك المقالات التي دبجتها أقلام الباطل مستقاة منها، وذلك تسير مع الكتب جنباً إلى جنب على خط واحد غير مستقيم.

إن ثورة العشرين التي حيكت حولها أساطير المؤرخين الخيالية قد مهدت لها مدينة كربلاء بالاجتماعات العشائرية السرية والعلنية، بالمظاهرات الصاخبة التي كانت تطوف في شوارع كربلاء صباح مساء، بالحفلات الرهيبة التي كانت تقام في الروضة الحسينية وفي الروضة العباسية على الأغلب.

وكان تلقى فيها قصائد الشعراء وكلماتهم التي كانت اشد وقعاً على المستعمرين من وقع القنابل المحرقة.

بالمؤتمرات السياسية التي كانت تعقد بين يوم وآخر في دار آية الله أبي القاسم الكاشاني - الذي كان يعتبر لولب الحركة السياسية وبطلاً من أبطالها، وفي دار المرحوم السيد نور الياسري في كربلاء. وأعظم مؤتمر سياسي عشائري عقد بمحضر زعيم الثورة الخالد الإمام محمد تقي الشيرازي، في ليلة النصف من شعبان ١٣٣٨هـ حضره معظم زعماء وشيوخ الفرات مع زعماء ومشايخ كربلاء. ورؤساء العشائر والبيوتات الكربلائية.

وكان الحزب الإسلامي والمجلس الملي في كربلاء هما اللذان يمهدان السبيل، بقيادة سياسية حكيمة، وبرز قادة الثورة في كربلاء من العلماء والرؤساء والشيوخ المغفور لهم كل من:-

السيد أبي القاسم الكاشاني، والسيد محمد علي الطباطبائي الذي كان لا يهاب الموت، والشيخ مهدي الخالصي وولده الشيخ محمد، والسيد محمد مهدي المولوي، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد حسين القزويني، والشيخ محمد رضا نجل الزعيم الإمام الشيرازي، وشقيقه الشيخ عبد الحسين، وعبد الكريم وعبد الرحمن وعبد الجليل آل عواد، والشيخ كاظم (أو أذان)، والسيد عبد الحسين الدّده، والسيد عبد الوهاب آل طعمة، والسيد محمد رضا فتح الله آل طعمة، والسيد محمد حسن آل طعمة وعمر الحاج علوان رئيس قبيلتي الوزون والسالمة العربيتين وطليفح الحسون رئيس قبيلة (النصاروة) وشاعر الثورة الخالد الشيخ محمد حسن (أبو المحاسن) والشيخ محسن أبو الحب خطيب الثورة، وكثيرون غيرهم.

والجدير بالذكر أن المغفور لهم الشيخ محمد رضا الشيبلي وشقيقه الشيخ محمد باقر والشيخ رحومي الظالمي وغيرهم، كانوا بمثابة الرسل للثوار الكربلايين يحملون عنهم الأوامر والتعليمات الثورية إلى زعماء القبائل في الفرات وبغداد وغيرها في المناطق الثائرة يومئذ.

والحقيقة الأخرى التي يجب أن تذكر هي إن زعماء الفرات وغيرهم من أقطاب الثورة في بغداد بالمرحوم الزعيم جعفر أبي التمن وأتباعه، والإمام الراحل الشيخ محمد رضا آل ياسين وجماعته في الكاظمية، وكذلك عدد من العلماء الأعلام في النجف الأشرف.

كان جميع هؤلاء على اتصال دائم بالإمام الشيرازي وأعوانه الثوار الكربلايين بمراسلاتهم المستمرة، وكان همزة الوصل بينهم على الأغلب المرحوم محمد رضا الشيبلي^(١).

إن الثوار الكربلايين هم أول من رفعوا العلم العربي العراقي على مبني البلدية القديمة وقد صنعوه في كربلاء، وكان قد رفعه المرحوم السيد محمد حسن آل طعمة رئيس خدمة الروضة الحسينية، وأول رصاصة أطلقت إعلاناً للثورة أطلقت هنا في كربلاء.

فأين هذه الحقائق من أباطيل كثير من الكتاب الذين سجلوا حوادث الثورة العراقية وفقاً لرغباتهم وتجاوباً مع عصبياتهم المقيمة وانحرافاتهم عن الحق والعدل والإنصاف ويغمطوا حقوق هذه المدينة المجاهدة التي ضحت بالغالي والنفيس، ولاقى أحرارها وأبطالها ألواناً من التنكيل في المعتقلات والسجون والنفي في الداخل والخارج.

إن التاريخ يشهد بطولات كربلاء الخالدة ويحفل بمآثرها الجليلة وخدماتها الوطنية الكبرى التي تشرق بمعاني المجد والخلود.

^١ انظر - كربلاء في التاريخ - للمرحوم عبد الرزاق الوهاب آل طعمة (الجزء الثالث) كربلاء ١٩٣٥.

وأخيراً والحق يقال إن الغربيين الذين كتبوا عن الثورة العراقية كانوا أكثر إنصافاً من كتابنا العراقيين لأنهم ثمنوا مواقف كربلاء ثورة العشرين.

* * *

ونأتي بعد ذلك إلى التحدث عن محتوى الكتاب، فلقد كنت في صدد إن أضع دراسة مفصلة عن الحركة الأدبية في كربلاء خلال قرنين وأختمها بالسيد مرتضى الوهاب كبير شعرائنا اليوم والدكتور السيد صالح جواد آل طعمة الذي يعد اليوم من طلائع مفكري العصر بشخصيته الأدبية اللامعة وهو الذي بعث إلى الحركة الأدبية في كربلاء روح النشاط والوثوب بعد سبات طويل من الجمود كاد يقضي على معالمها.

ولكنني رأيت أخيراً من (الأفضل) أن اكتب عن الأدباء والشعراء المعاصرين فان هذه الدراسات تعكس بطبيعتها صوراً من ماضي الأدب في كربلاء وعلى هذا الأساس عقدت العزم وباشرت وإن هذا الكتاب حصيلة تلك الفكرة بأجزائه الثلاثة ويضم هذا الجزء - الأول - سلسلة دراسات عن اثني عشر أديباً وشاعراً منهم تتضمن تحليلات أدبية فكرية وقضايا تاريخية واجتماعية وغيرها، وقد أسميته بادئ ذي بدء (أدباء وشعراء كربلاء المعاصرون) ثم استبدلته أخيراً بـ(الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء).

ولقد حاولت خاصة في - (كلمتي) - أن اربط حاضر الأدب الزاهر في كربلاء بماضيه المشرق العريق ولذلك رجعت إلى القرن الثالث عشر الهجري - العصر الذهبي - وبينت أهم مقومات الحركة الأدبية فيه وكان أبرزها (دواوين كربلاء) التي كانت مطمح الأنظار، ومحط الرحال، ومبعث الفكر، ومنشأ الأدب، وهي التي ما زالت بقاياها مفتحة الأبواب حتى اليوم، وأما دواوين العلماء الأعلام ومراجع التقليد العظام فلم اذكر إلا بعضها، فالحركة الأدبية المعاصرة تستمد حيويتها من جذورها المتأصلة خلال ماضيها المنصرم زمنياً بعد زمن، وجيلاً بعد جيل حتى اليوم.

وكم يحز في النفس، أن نرى حياتنا الاجتماعية قد غيرتها تطورات العصر الحديث بسبب التيارات العقائدية الفاسدة التي غزت بلادنا العربية والإسلامية من الشرق الملحد والغرب الكافر وأثرت تأثيراً كبيراً في صميم عاداتنا - نحن العرب والمسلمين - وتقاليدنا وسلوكنا ومعتقداتنا الإسلامية لذلك فإن الوضع الاجتماعي العام يحتاج اليوم إلى الإصلاح من جميع الوجوه، ويتطلب ذلك وعياً سليماً وتفكيراً جدياً باللجوء إلى أصولنا وقواعدنا الأساسية في شريعتنا الإسلامية المقدسة فهي المناهل الرقراقة التي تتدفق ينابيعها الفياضة ولا تنضب. ولأنها وحدها تهذب النفوس، وتصلح المفاسد، وتعالج الأمراض، وتسعد المجتمع، وتنتشله من رذائل المدنية الحديثة وتزيل عنه آثارها.

فالمرجو من أدبائنا وشعرائنا اليوم - وهم الطليعة الواعية النيرة - أن يكونوا أكثر شعوراً بالواجب والمسؤولية من غيرهم لان رسالة الأدب الهادف تحتم عليهم خوض معركة التوجيه والإرشاد للحفاظ على الأخلاق والقيم والمثل العليا في بلادنا العزيزة خاصة إننا اليوم في صراع محتدم مع الاستعمار والصهيونية المجرمة، فطبيعة صراعنا ومعركتنا المصيرية تتطلب أول ما تتطلب التمسك بديننا الحنيف والاستمداد منه بالعقيدة والإيمان لإعادة القدس الشريف وكافة الاجتزاء الأخرى المغتصبة وذلك هو النصر المبين، وأعود بعد ذلك إلى القول:

.... أفهل يدرك النشء الجديد أو الأجيال الصاعدة من بعده مدى قيمة هذه المدينة المقدسة الشامخة بكيانها العظيم؟ أو ما مقدار أهميتها التاريخية العظمية في النواحي الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية.....؟ بديهي أن الجواب سيكون - كلا!! لذلك فان توعية النشء بما هو المطلوب ضرورة لا يمكن التغاضي عنها. وأود هنا أن أشير إلى الملاحظات القيمة التي أبداها استأذنا الكبير (أبو أديب) توفيق الفكيكي في مقدمته للكتاب حول تكراري لفظة - كلما - في جمل مترادفة تقبلتها منه بإكبار وتقديره.

ولعلي - بمجهودي المتواضع هذا - أسديت بعض الخدمة للأدب المعاصر في كربلاء، بلد القداسة والأشراف، بلد أعظم ثائر في

الإسلام بعد جده وأبيه وأخيه الإمام الحسين عليه السلام - روعي فداه - بلد
الأمجاد الزاهرة والمآثر الخالدة.

وخير ما أختتم به (كلمتي) - بعد هذه الإطالة المملّة كما اعتقد -
هو قول صديقنا الجليل أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب - جامعة
بغداد - وأمين المجمع العلمي العراقي وسكرتير جمعية المؤلفين
والكتاب العراقيين الدكتور يوسف عز الدين الذي يقول وما أحسن
قوله:

"الكتاب جزء من كيان الكاتب وقبس من روحه ودمه وقلمه
يصاحبه كما يصاحب الوالد ولده ويتعهد به بكل ما لديه من قوة
ويصرف عليه ما يملك من جهد ليراه نضرة النفوس وابتسامة الثغور
حتى يستوي على ساقه فتعجب الباحث أصالته ويرضى عنه"^(١).
واستميح قرائي الأعزاء عذراً والله تعالى أسأل أن يسدّد خطاهم وإياي
ويهدينا سواء السبيل وهو الموفق.

- المؤلف -

^١- الشعر العراقي الحديث - للدكتور يوسف عز الدين - ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠.

السيد مرتضى الوهاب



-١-

كأني أشعر - وأنا أكتب هذه الدراسة - بارتياح عميق يغمر قلبي، ويمازح أحاسيسي، ويخالج وجداني، ثم يفيض علي بالعاطفة الدافقة من أعماق شعوري الذي استمدته من رسالة الأدب التي تعشقتها منذ صغري، وكنت وما أزال أرتشف من منهلها العذب الرقراق. واقتطف من ثمار رياضها الفيحاء ما عساني أن اشبع بهما نهمي. وهيهات أن يشبع المتأدب المنهوم نهمه وهو على مائدة الأدب وفي رياضها الغناء....

أجل: - شعرت بالارتياح لأنني أقدم للأوساط الأدبية بفخر واعتزاز شاعراً بارزاً قلما أنجبت أمثاله مدينة كربلاء في عصرها الحديث، ألا وهو الأستاذ السيد مرتضى الوهاب.

الشاعر المطبوع، الموهوب، صاحب القريحة السيالة والشاعرية الوقادة التي ينساب منها الشعر انسياباً.

ولا أغالي إذا قلت: إن شاعرية (الوهاب) تكاد تكون معجزة الإلهام في عالم الفكر. وانبثاق من صفاء الفطرة وسلامة الفكرة وهي ذاتها وجوهرها معين لا ينضب.

مولده - نشأته - ثقافته:

ولد شاعرنا في كربلاء عام (١٩١٦) ونشأ في أحضان والديه، وفي ظل عنايتهما الشاملة بالتربية المهذبة الصالحة من جميع وجوهها، ونشأ معه الذكاء المفرط، والطموح الشديد، ونمى في نفسه حب التطلع إلى الحياة تطلعاً فكرياً نامياً عن الفهم والإدراك، ثم الاستقصاء والاستنتاج في رجاحة من العقل، وشعر برغبة ملحة إلى دراسة الأدب وهو بعد صبي لم يتجاوز العقد الأول من عمره.

فدخل المدرسة الابتدائية في الوقت الذي كان المرحوم والده الجليل السيد محمد الوهاب في سفر بعيد خارج العراق^(١) وقد اجتاز

^١- كان ذاهباً إلى تركيا لمواجهة (السلطان العثماني عبد الحميد) في سبيل انجاز بعض القضايا الوطنية وما كان يتعلق منها على الأخص بمدينة كربلاء المقدسة، وكان السلطان عبد الحميد على جانب كبير من الاهتمام والتعلق بالسيد محمد هذا يتجاوب معه في آرائه الإصلاحية المفيدة جداً له وتقديراً لشخصيته المرموقة المبجلة. وإن السيد محمد الوهاب كما يصفه الواصفون كان رجلاً قديراً يضرب به المثل في الشهامة والهمة والغيرة والجرأة وكان من دعاة الإصلاح السياسي والاجتماعي. ومن شخصيات كربلاء العظيمة التي يشار إليها بالبنان. والحق إن كربلاء قد أنجبت من أفاذ الرجال الإنسانيين العظام نماذج قد انفردت بها عن كثير من المدن العراقية في شتى الأدوار التاريخية.

المرحلة الابتدائية إلى المتوسطة وحاز على شهادتها بتفوق باهر، وارتضى لنفسه أن يقف عند هذا الحد مكتفياً بهذه الشهادة وحسب.

ذلك لأنه كان يقاسي من شظف العيش ويعاني من مصاعب الحياة الشيء الكثير، حيث أقعدت هذه العقبات عن مواصلة الدراسة الثانوية والعالية بالرغم من رغبته وشوقه إليها، وطموحه فيها.

فكأنّ الحياة أبت إلا أن تشاكسه وتعلن عليه حرباً شعواء وتحاصره أبداً بجيش عرمرم من ظروفها القاسية القاهرة، ولم تشأ أن ترحمه بأن تترك له منطلقاً فسيحاً في ميادينها الواسعة ليلبغ فيها أهدافه ويحقق آماله وأمانيه، وتلك هي سنة الحياة ولن تجد لسنة الحياة تبديلاً ولا بد للإنسان من التسليم إليها على أي حال.

لكنه في خلال سني دراسته الابتدائية « التي أصيب بها باليتم » وبعدها المتوسطة قد استطاع أن يكتسب ألواناً من الثقافة وأن يرتشف كؤوساً من مناهل الأدب والمعرفة حتى تفتحت بذلك مداركه على آفاقها الرحبية، واختبر الحياة بذكائه واستطاع كذلك أن يميز بين خيرها وشرها بفطنته وبين جوانحه عواصف شديدة من الآلام والحسرات تهب تارة وتهدأ أخرى، وهو ثابت الجنان والكيان،

وبعد أن زار السيد محمد الوهاب (عبد الحميد) وأنهى معه مهماته غادر تركيا إلى إيران وأقام فيها مدة من الزمن حتى وافاه الأجل فيها ونقل جثمانه إلى كربلاء في حدود عام (١٩٢٦م).

لإيمانه بما قسم له الله وإن الإيمان يخلق في الإنسان إرادة قوية يصمد بها أمام مكاره الدهر وصروف الحياة.

أسرته:

ينحدر السيد مرتضى من بيت عريق في السيادة والشرف عرف بـ«آل الوهاب» وآل الوهاب في كربلاء بيتان من البيوتات العلوية العربية الأصيلة ذات الشأن الكبير في تاريخ البلد والأسر الكربلائية. وتمتد عراققتها إلى جذور عميقة نبتت منذ القرون الغابرة على أرض هذه المدينة العربية المقدسة.

وربما التبس الأمر على البعض فأعتبرهما بيتاً واحداً. يرتبط بأصل واحد في النسب، بيد إنهما ليسا كذلك، وإزالة لهذا الالتباس نأتي بالإيضاح التالي:ـ

(أ)ـ يلتحق بيت شاعرنا من حيث النسب هو و(آل النقيب وآل ثابت)، بـ (آل زحيك) وينتهي إلى الإمام موسى بن جعفر سابع أئمة أهل البيت (عليه السلام).

وقد لقب هذا البيت بـ (الوهاب) بعد استشهاد المرحوم السيد موسى بن السيد محمد علي في واقعة (غارة الوهابيين) على كربلاء عام ١٢١٦هـ^(١) حيث أطلق أبناء إخوته على أنفسهم هذا اللقب تخليداً لذكراه، إلا أن هذا اللقب المحدث يبدو أنه كان شيئاً اعتيادياً

^١ مدينة الحسين _ تأليف الأستاذ محمد حسن مصطفى (الكليدار) آل طعمة.

ليس له رصيد رسمي من الشهرة كما أعتقد، حتى جاء دور أحفاد إخوته مؤخراً وهو السيد حسين جدّ شاعرنا الذي تولى سدانة الروضة العباسية في عام (١٢٥١هـ) حتى عام (١٢٥٦هـ) والذي عزل عنها.

فهذا أول من لقب نفسه من هذا البيت بـ (آل الوهاب) ليكون لقباً ثابتاً يعرف به بيته هذا بين البيوتات الكربلائية ثم ليكون الغرض منه أيضاً إحياءً وتخليداً لذكرى جده السيد موسى شهيد تلك الواقعة التاريخية الدامية التي ارتكب الوهابيون فيها أبشع الجرائم بسفك الدماء البريئة في كربلاء عند حملتهم المباغثة النكراء عليها، وهجومهم العدواني الأثيم على روضة الإمام الحسين ريحانة الرسول الأعظم والبطل الشهيد الخالد.

وقد استطاع السيد حسين أن يثبت هذا اللقب لنفوذ الشخصي بحكم منزلته الرفيعة وشخصيته المرموقة كـ (سادن للروضة) وقد عرفت أسرته بذلك من عهده حتى اليوم. ويعتبر الأستاذ محمد حسن الكلidar آل طعمة السيد حسين هذا (الجد الأعلى) لأسرة آل الوهاب في كتابه القيم (مدينة الحسين).

ثم نبغ من هذه الأسرة المرحوم السيد «احمد الوهاب» وكان يعد من أشرف كربلاء ومن شخصياتها السياسية البارزة ورجالها الأفاضل، وقد اتصف بحصافة العقل وسداد الرأي والجرأة الشديدة والهيبة والوقار والخلق الكريم، وكان ديوانه العامر مجمع العلماء والفضلاء

٥٢ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
والوجهاء ومنتدى العلم والأدب والشعر كما كان نائب كربلاء في
(البرلمان) العراقي في العقود البائدة لخمسة أدوار منذ عام -
١٩٢٨ حتى عام ١٩٤٣^(١) - وتوفى عام ١٩٤٦ وقد بلغ البيت أوج
شهرته بهذا اللقب في عهده وزمانه وما زال^(٢).

^١- انظر التفاصيل في كتاب: تاريخ الوزارات العراقية ج ٩ ص ٢٤١ والصفحات التي
تليها للأستاذ السيد عبد الرزاق الحسني.
^٢- وللمرحوم الشاعر الكربلائي الفذ الشيخ عبد الحسين الحويزي قصيدة عصماء
تعتبر من عيون الشعر العربي في ديوانه المطبوع منذ أكثر من عشرين عاماً قالها في
مدح وتهنئة السيد أحمد الوهاب بمناسبة فوزه في أحد أدوار النيابة تقتطف منها ما
يلبي:-

إن يدع من آل الوهاب فإن له
يداً بها نفسه والمال قد وهبا
رأتك أهلاً لها والناس كلهم
عنها وان كثرت أعدادهم غربا
أوقد لها إن دجت في الدهر داجية
آراء ففكر تجلست أنجماً شهباً
والشعب أصبح يدعو في قبائله
ومثل شخصك للتحكيم قد طلبا
أرى العراق رحي دارت دوائره
وأنت أصبحت فيها ثابتاً قطباً
لدى الرهان مساعي أحمد سبقت

(ب) - يتفرع هذا البيت « الثاني » من أسرة - آل طعمة - التي يلتحق نسبها بالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).

وقد لُقّب - « الوهاب » من عهد المرحوم السيد عبد الوهاب الكبير الذي تولّى سدنة الروضتين المقدستين الحسينية والعباسية في وقت واحد كما عهدت إليه سدانة الروضة الحيدرية المقدسة ولكنه توفي قبل تسلمه مقاليدها وهو في طريقه إلى النجف الأشرف^(١) وكان والده المرحوم السيد محمد علي "آل طعمة" سادناً للروضة الحسينية المقدسة من قبله.

وفي عهد السيد الوهاب (الذي يقال عنه أنه زعيم كربلاء بدون منازع) كانت الحوادث السياسية قائمة على أشدها في كربلاء في

فأحرزت يده من سبقها القصبا

يا أحمد المرتقى معراج كل علا

ومن علا غارب الجوزاء قد ركبا

بداره شعراء العصر قد مدحت

وباسمه أعلنت في نعتها الخطبا

مهذب النفس لا تهوى نقييته

غير العلى فهو فرع السادة النجبا

اهدى وداداً لعليا أحمد مدحاً

آياتها رأت الدنيا بها عجباً

^١ - مدينة الحسين. مصدر سابق.

أيام الحكم العثماني طبعاً، ولم تذق المدينة طعم الهدوء والاستقرار لما كان يسودها من الاضطرابات حيناً بعد حين، وكانت سدانة الروضة الحسينية يومئذ قد انتقلت ولأول مرة إلى «آل كمونة» بسبب مغادرة السادن السيد وهاب مدينة كربلاء. إذ تعين الشيخ مهدي كمونة عام (١٢٦٨هـ) سادناً للروضة الحسينية بأمر القائد التركي الفريق "نجيب باشا" الذي حاصر كربلاء بجيشه اللجب وكان يهدف إلى قتل السيد وهاب الذي قاومه أشد مقاومة.

وبعد وفاة المرحوم الحاج الشيخ مهدي كمونة في عام (١٢٧٢هـ) تولى السدانة شقيقه المرحوم الشيخ المرزّه حسن كمونة حتى عام وفاته "١٢٩٢هـ". وبعد ذلك انتقلت السدانة إلى بيتها القديم في "أسرة آل طعمة" مبتدئة بالسيد محمد جواد السادن الخامس عشر إلى يومنا هذا، أما السيد وهاب الكبير فقد كان أحد مفاخر كربلاء ومن رجالها العظام لمقوماته الشخصية ومفاهيم الرجولة والإنسانية التي توفرت فيه.

ثم برز من هذا البيت "الوهاب" المرحوم السيد عبد الوهاب بن السيد عبد الرزاق بن المرحوم السيد الوهاب الكبير، وكان من ألمع الشخصيات الكربلائية في العلم والفضل والسخاء وإقراء الضيف والخلق الرفيع كما كان حسن المعاشرة مفكراً شديداً ذكياً وسياسياً رشيداً محنكاً، متفانياً في وطنيته الصادقة وكان في مزاياه وسجاياه

النبيلة أشبه بجده الوهاب الكبير كما كان موضع تقدير العلماء الأعلام والأشراف والوجهاء وسائر الطبقات الكربلائية وغيرها.

وله مواقف مشرفة في الدفاع عن الوطن في سبيل الحرية ونبيل الاستقلال مع الثوار الأحرار من قادة "ثورة العشرين" في كربلاء^(١). وقد تقلد مناصب عديدة أهمها عضوية مجلس إدارة اللواء ورياسة البلدية مرتين، لذلك فهو مشهور حتى اليوم بالسيد عبد الوهاب الرئيس.

وكان أيضاً من أبرز أعضاء "الجمعية السرية" و- المجلس الملي - في كربلاء^(٢) بمعية ثلة من رجال السياسة ورؤساء العشائر العربية الكربلائية في إبان الثورة العراقية بقيادة زعيمها الروحي الخالد الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي.

والسيد عبد الوهاب الرئيس كان من الذين قبضت عليهم حكومة الاحتلال البريطاني بعد الثورة العراقية وأودعتهم سجون الحلة وتعرضوا لإيذائها حيث كان يتمثل نصب أعينهم شبح الموت وكان جلهم من علماء وزعماء كربلاء والنجف وغيرها وقد أحصى أسماءهم العلامة الكبير السيد محمد علي (هبة الدين) الشهرستاني

^١ كربلاء في التاريخ للمرحوم السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة.

^٢ انظر مجلة المرشد المجلد ٤ ص ١٧٨ بتاريخ ١٠ محرم الحرام سنة ١٣٤٨ هـ - ٩ حزيران ١٩٢٩ لصاحبها: الأستاذ الأديب السيد صالح الشهرستاني نزيل طهران وهو نجل المرحوم السيد إبراهيم عميد أسرة "آل الشهرستاني" في كربلاء.

في أرجوزته الرائعة التي نظمها حين كان معهم في السجن على بساط المحنة السياسية تلك التي تتجلى وكأنها مرآة ناصعة تنعكس عليها معالم القوة والشهامة والبطولة والتضحية الخالدة التي قدمها أبناء الجنوب عامة وكربلاء خاصة في سبيل الحرية والحكم الذاتي المستقل وبناء كيان العراق على دعائم متينة من السيادة والمجد الإسلامي والعربي.

وهذا بعض ما قاله السيد "هبة الدين" في أرجوزته في ذكر أسماء بعض زعماء كربلاء أمثال آية الله السيد حسين القزويني والسيد عبد الوهاب الرئيس والسيد عبد الحسين الدّده والسيد محمد الكشميري^(١).

^١ راجع كتاب "شعراء الثورة العراقية" ص ٤١، ٤٠ تأليف خضر العباسي:

هاك أسامي نخبة الأفاق

من حوكموا في نهضة العراق

سبع وعشرون شيوخاً رؤوساً

وستة من نسل أصحاب الكسا

هم هبة الدين لأهل الدين

وحبرنا الحسيني من قزوين

والسيد الوهاب مظهر الإبا

والهادي للحق الزوين نسبا

والمرشد الحسيني من نسل الدّده

خاتمهم محمد ذو المحمّدة

وقد توفي المرحوم السيد عبد الوهاب في ليلة الاثنين الثامن من شهر رمضان المبارك عام ١٩٤٧هـجـ^(١).

^{١-} خلف ثلاثة أولاد برة وهم السادة كل من المرحوم الأستاذ الأديب المعروف عبد الرزاق الوهاب مؤلف كتاب - كربلاء في التاريخ - في ثلاثة أجزاء وهو كتاب قيم وسجل تاريخي لحوادث العراق في ثورة العشرين التي كانت كربلاء مقرر قيادتها الدينية والسياسية والتوجيهية. والأستاذ محمد مهدي الوهاب المحامي والأستاذ أحمد الوهاب وقد كان متصرفاً في لواء العمارة ثم معاوناً لوزير الداخلية ومديراً للوحدة الإدارية العامة في الوزارة نفسها وبيت الوهاب هذا فرع من آل طعمة كما أسلفنا. وللعلامة الحويزي قصيدة رائعة في رثاء المرحوم السيد عبد الوهاب ورد منها البيتان التاليان في مجلة المرشد وهما:

من غال بدر سما العلا وهلالها

والشمس عن فلق الصباح ازالها

وأحال بيض المكرمات بأسرها

سوداً وغير بالحوادث حالها

كما أن له قصيدة أخرى في مدحه عندما تقلد منصب رئاسة البلدية في كربلاء نشرت في ديوانه عام (١٣٣٥هـجـ ١٩٥٩م) القديم السالف الذكر نقتطف منها الأبيات التالية:ـ

أمشيداً للفخر بيتاً لم يزل
 للقاصدين مفتح الأبواب
 أترى الرياسة زينت بك عقدها
 فأبنت تناط عقودها برقاب
 حتى رأتك من الخليقة أهلها
 فضفت عليك نقيّة الجلباب
 آراء قوم أنت متخّيب لهم
 ما حل موقع رأيهم بعتاب
 نسبو زعامتها إليك لعلمهم
 بك باذخاً شرفاً من الأنساب
 قالت لهتمك النجوم سوارياً
 حطي ركاب علاك فوق ركابي
 إن تحضر النادي يهش بك الندى
 أو غبت تمدحك الورى بغياب
 وأبوك خازن روضة القدس التي
 جبريل عد بها من الحجاب
 من أسرة طهرت أرومة مجدها
 نسلا من الأرحام والأصلاب
 تعزى لعزته الرياسة حيوة
 نيطت عليه جليّة الاحساب

نبوغ شاعرنا:

الأستاذ مرتضى الوهاب من الذين بلغوا ذروة الشخصية الأدبية بواسطة الموهبة الفكرية وأصبحوا نوابغ وأفذاذاً في عصورهم ومجتمعاتهم وأطلقوا على مسرح الحياة من قمم النبوغ العالية. وإن تاريخ الأمم والشعوب في واقعيته يكفينا شاهداً على ذلك، كما إن الحضارات الفكرية الإنسانية الزاهرة وخاصة العربية منها قديماً وحديثاً تؤيد هذا المعنى بأكثر من دليل.

وإذا كانت العبقرية من المقومات الفطرية والمكتسبة التي تكون الشخصية في الفرد وتكسبه المكانة الرفيعة في مضمار الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية فإن شاعرنا من الذين أوتوا حظاً وافراً منها، وقد رفعته عبقريته الفكرية إلى مصاف العباقرة النابغين من رجال الأدب والشعر في عصرنا الحديث.

وجميع أسماء المناقب من يد
ليد أتتك كريممة الألقاب
أباؤك الغر الذين تفضلوا
بحجى ومكرمة وفصل خطاب
أيمانهم تنهل صوب غمائم
جوداً ومنطق صدقهم بصواب
شهب بأفاق السماء منيرة
ينقض ثاقب عزمها بشهاب

ولا غرو، فإن نبوغه في عالم الأدب ينم عن عبقريته النامية في شخصه وشخصيته.

ولقد كانت ومضات نجمه المتألق في سماء الأدب والفكر في مطلع شبابه تبشر بمستقبله الزاهر الذي سيرقى إلى ذروته وكأنها كانت أشبه بخيوط الفجر الصادق الذي لا يلبث أن يعقبه موكب النهار المشرق الوضاء.

لقد بدأ الأستاذ الوهاب ينظم الشعر في عهد مبكر من حياته جداً، وينشر إنتاج قريضه قصيدة تلو الأخرى في الصحف والمجلات العراقية وقد صقل عبقريته الموهوبة بقبسات من فطاحل الشعراء الماضيين وعظمائهم أمثال المتنبي والشريف الرضي والبحري وأبي تمام وأبي نؤاس، من اشعر الشعراء الجاهلين كالنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وامرئ القيس إلى جانب كبار الشعراء المعاصرين.

وقد تأثر بهم وانكب على دراسة دواوينهم وحفظ أشعار بشوق لاهف ورغبة غير متناهية، واستخرج من بحارها الطامية المتلاطمة درر المعارف وغرر الأفكار نمى بها قابليته وأضفى من كنوزها الدفينة على (ملكته) روح البلاغة والبيان وأشبعها قوة وحيوية.

والحق يقال: إن السيد مرتضى الوهاب أستاذ شعرائنا المعاصرين في كربلاء خاصة، وسيد الشعراء والمؤرخين في العراق عامة. كما وصفه ذلك العلامة الشاعر الكبير المرحوم الشيخ محمد علي

اليعقوبي إذ قال له ذات يوم بين حشد من الحاضرين في كربلاء بعد إن ربت على كتفه « أنا شيخ المؤرخين وأنت سيد المؤرخين ». وذلك للنقد الأدبي الوجيه الذي وجهه إليه الأستاذ الوهاب حول التاريخ الشعري.

فهو في مضمار التأريخ الشعري له قصب السبق فلا يجاريه أو يرقى إليه أحد من المعنيين بهذا الفن الأدبي مهما برعوا فيه.

شعره وأسلوبه:

إن شعر الأستاذ الوهاب أخذ للنفوس، نفاذ إلى القلوب يثير فيها كوامنها، ويخرق حجب العواطف والأشواق وينبه الذوق في القارئ والسامع معاً لما فيه من نغم موسيقية وخصائص فنية وجاذبية ساحرة وهي من أهم ما فيها من مزايا.

وشعره نموذج للشعر المجدد، المنطلق مع التفتق الذهني، فهو يساير ركب الزمن، ويماشي روح العصر، ويواكب التطور في مجالات الحركة الفكرية الآخذة نحو الرقي والازدهار.

وشعره كذلك تجسيد حي للواقع الذي يعيشه الإنسان في حياته الصاخبة، الحافلة بالخير والشر والحزن والسرور، واللذة والألم. والسعادة والشقاء، والعدل والظلم، والغنى والفقر..... الخ.

فهو شاعر واقعي في منطقته معالم الصدق والإباء والحق الصريح، وفي شعره دلائل الوجدان النابض وروعة الابتكار الشائق، وجمال الفن والإبداع والخيال السامق.

يتخذ من القوافي الجميلة قلائد الجمال. ويتصيد المعاني اللطيفة في أسلوبه الرقيق الرصين، ويضفي عليها هالة من البراعة بذوقه السليم، وقريحته آية في الفيض والانسباب، ينظم القصائد الطوال التي تربوا على الـ«١٠٠» بيتاً من غير أن يعتريه عجز أو يصيبه كلل.

وأبواب الشعر على اختلافها مفتحة أمامه، وأسلوبه في النظم يتعدى حدود الجودة والبداعة، ويزخر بالقوة والمتانة وتقمصه البلاغة بأبرادها القشبية، وتطغى على شاعريته روح إنسانية نبيلة تفيض برهافة الحس ورقة الشعور وهي ملتقى الحب والعاطفة على حد سواء.

وفي أدبه الرفيع ثورة عارمة على الاستعمار والمستعمرين أعداء الوطن الإسلامي والعربي، وعنده أن الأدب رسالة إنسانية يسمو بها الإنسان إلى مراتب الكمال الإنساني ولا يجوز اتخاذها وسيلة لتكوين شخصية فارغة (كالهيكل الأجوف) على حسابها عن طريق التزلف و"الملق، وبدافع اللاشعور والتفاني في حب الذات والتهالك على حب الظهور على جانب الأنانية الحمقاء والهوى والطيش والغرور".
أفهل يعتبر أدبياً ذلك الذي يجهل قيمة هذه الرسالة الخالدة السامية؟.

ولله در الشاعر الكبير أحمد الصافي النجفي إذ يقول:

هل ترتقي الآداب في عصر به

لا صيت إلا للأديب الموسر

فبييع بالإعلان سقط متاعه

ويحيطها بتكبر، وتجبر

والآن دعني عزيزي القارئ أتحنك بغذاء روعي فكري بأن أقدم
لك نتفاً من الغزل الرائع الذي عودنا الأستاذ مرتضى الوهاب أن يعطر
بنفحاته أجواء نفوسنا التواقه إليه وأن يفتح براعم قلوبنا الوالهة بأريج
نسماته المنطلقة من جو شاعريته التي خيمت عليه العبقرية بسمائها
الصافية.

وستجد نفسك وأنت تقرأ هذا الشعر الغزلي البديع أمام عبقرية "
ابن زريق - وشوقي" وستلفحك حرارة الزفرات الصاعدة من أعماق
فؤاده المكتوى بنار الوجد والهيام وهو في محراب الحب والهوى
يستغيث وليس ثمة من مجيب:

أضنى مـضناك تـسـهده

يا من بوصالك يسعده

قد طال بليل بعادك في

محراب الحب.. تهجده

يرميه الهجر على حرق

سهما بحشاه يسدده

لوقض عمارة مضجعه

(شبح للبعد يهدده)

أرسي أركان تفاؤله

ومنم الماشوك توسده

يرتاد الكأس ويملي الرأس
وينفسي الـرجس ويطرده
وعلى شفثيه صريم الليل
نشيد الحـب يـردده
"يا ليل الصب متى غده"

أقيام الساعة موعده؟
كانت هذه استجابة لنداء عقيدة الشاعر ومدحه للإمام المهدي
المنتظر عجل الله فرجه بمناسبة مولده الأغر الذي يصادف اليوم الخامس عشر
من شهر شعبان المعظم في كل عام.

وقد بدأها بالغزل كما رأيت، وبلغت هذه الخريدة حوالي السبعين
بيتاً وفي آخرياتها بيت لواعج أشجانه من الواقع المرير بما فيه مأس
ومظالم اجتماعية يتقزز منها كل ضمير حي يمت إلى الإيمان بصلة
الروح والجوهر، فهو يستعرضها في أحسن صورة، ويجسدها في
أجمل منظر، وأنت تشاهد فيه الإنسانية المعذبة على أيدي الناس
خارجين على القيم والمثل العليا في مجتمع إسلامي، واليك خاتمة
هذه القصيدة القيمة:

والعابد صار عدو الدين
وللدينار تعبده
وأحل "الشرع" ربا الأموال
وكان حراماً مورده
والعبد على الحر استولى

طمعاً واستاء تودده

يا من قام لنصر الحق

وداعيه يستنجده

صرخ الإسلام لنجدته

"وطني والحق سينجده"

كانت هذه أنشودة الغزل وأغرودة الحب، وترنيمة العقيدة في إطارها البديع، وأنغامها العذبة التي تتراقص لوقعها أوتار القلوب، وقد تجلى فيها أيضاً شعوره الإنساني بمشاركة الفقراء والضعفاء والمساكين في جشوبة عيشهم، فتراه يمثل واقعهم المزري عند وقوعهم في "شرك" المتاجرين بالظلم الاجتماعي السافر من آكلي "الربا" وهو المورد الحرام والسحت الفظيع بحكم الشريعة المقدسة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ ﴾. ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۗ ﴾. ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ ﴾. ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ ﴾.

وغيرها من الآيات البيّنات في كتاب الله الحكيم، التي فيها نهى قاطع من الله سبحانه وتعالى عن تعاطي المنافع الربوية التي أصبحت اليوم شيئاً مألوفاً بين الناس خلافاً لأوامر الله ونواهيه مع الأسف. وترى كيف تطغى القسوة والغلظة والدناءة على الرحمة والعطف والمروءة؟.

وأىُّ إثم أكبر من استغلال جهود الفقراء والبؤساء وامتصاص دمائهم... وافتراسهم بمخالب الظلم الفاحش وتقطيع أوصالهم بمباضع الجشع الخبيث؟ وهل ذلك كله من الإيمان أو الإسلام والضمير الإنساني في شيء!!

إنَّ الربَّبا في حقيقته جريمة كبرى لا تغتفر، بل هو من كبائر الذنوب التي لا تمحى، لأنه يشل الحركة الاقتصادية ويعطل جهود العاملين في مجالات النشاط والإنتاج ويكون سبباً مباشراً للبؤس والشقاء والحرمان وموت القابليات المواهب في حياة المجتمع إضافة إلى تفكيك عرى المحبة والصفاء والوئام وانعدام الثقة بين الأفراد، وحرث ضرور مع الله ورسوله يقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾. فأين المرابون الظالمون من هذا الخطاب السماوي الصاعق؟

أنا لا أدري كما وغيري أيضاً لا يدري كيف تستعمل هذه الشكليات التي يستسيغها المتخمون باسم الإسلام من المعاملات الربوية في أضعافها المضاعفة بإجرائهم مبايعة المقترض (المسكين) ببضاعة جد زهيدة أو سيجارة مثلاً!! وذلك لقاء ربح طائل من الفائدة المحرمة التي يجنونها منه ويستمرؤونها نحو (١٠ او ١٦٪) أو يزيد على ذلك تناسباً مع جشعهم المقيت مع العلم إن المقترض مجبر بحكم

ظروفه القاسية على الرضوخ بشكلياتهم هذه التي يرغمونه عل تقبلها وهو إذ ذاك لا حول له ولا قوة يريد تمشية أمره مهما كلفته الظروف القاهرة عل أيدي هؤلاء الأثمين ومن الجدير بالذكر إن معظم هؤلاء المرابين هم بين ظاهر مليح وباطن قبيح يبرأ منهم الإسلام.

فالمقطوعة الشعرية المتقدمة قد تعدت (الغزل) إلى الشعر الوجداني والاجتماعي في أجلى مظاهرها وأعمق معانيهما، وكذلك التقت مع المقطوعة التالية في نفس الغرض، وهكذا يجب أن يكون الشعر معالجاً للقضايا والمشاكل الاجتماعية والدينية في واقع المجتمع فأقرأها معي لتعرف مآسي وفداحة أضرار الربا في حياة الناس كما يصورها ويجسدها لنا شاعرنا الوهاب:ـ

قل لقوم آزرُوا أهل الربا
وأحلوه لهم في جملتين
هل يبيح الشرع تحليل الطلا
باعتبار الخمر ماءً أو لجين
إنهم في فعلهم من جهلهم
أبطلوا حكمة رب العالمين
هل علمتم إنما أكل الربا
يقطع المعروف بين الأخوين
هل علمتم إنما أكل الربا
يظهر العجز بقوت الكادحين
هل علمتم إنما أكل الربا

فيه تمجيد ثراء الموسرين

هل علمتم إنما أكل الربا

فيه تعطيل جهود العاملين

وننتقل من هذا الميدان الاجتماعي إلى رحاب الطبيعة ومسارح جمالها، فإن للطبيعة أثرها الكبير الفعال في تنمية القابليات الفكرية والنضوج العقلي، وهي تكاد تكون مصدر الإلهام حين يتغنى بها الشعراء، ويستلهمون منها الأغاريد، ولقد كانت لشاعرنا وقفة ذات مرة أمام "زنبقة" فتملكه الشعور بالأسى صرعها على يد صاحبه الذي تعشقها ولم يستطع صبراً حتى إذا مد إليها يده واقتطفها منفذاً بذلك حكم العشق وإرادة الحب.

وإن للحب لأسراراً تعرف معانيها القلوب المتعطشة للوصال أيّما تعطش.

فيصف لنا الأستاذ الوهاب واقع الحال لهذه (الزنبقة) الصريعة وهي بين قريناتها في رياضها الغناء، وما أجمل هذه اللوحة الفنية الخلاصة التي رسمتها شاعريته المبدعة ببراعة وصفاء فكر، فإن شاعرنا في فنه رسام ماهر، وفي تفكيره شاعر حاذق وفي إنشاده بلبل صداح وهزار طروب فاستمع إلى ألحانه الشجية الرقيقة في وصف ما جرى لهذه الزنبقة:—

ومفتن باقتطاف الزهور

وشم الرياحين وقت السحر

تخطى فجاس خلال الرياض
وقد بلل الزهر دمع المطر
فعاد به الزهر غرض الاهداب
ندي العبير زهى الصور
فلاحت له بين تلك الزهور
زنبقة "تحدى القممر
تدله من سحر اغفائها
ومن طيب ريا شذاها سكر
تعشق فيها عروس الرياض
وراح يصبوب فيها النظر
فمد إليها يد الأثمين
مقتطفاً يا لإثم البشر
فرفت بكفيه مقطوعة
وقد ذبلت عندها بالأثر
لا شك إنَّ هذا الوصف الرائع لاقتطاف (الزنبقة) الذي حدث على
مرأى منه قد رن في أعماق نفسك واخذ طريقه سويداء قلبك وهو
مركز العاطفة والشوق.

ويمتاز شعر (السيد الوهاب) بالروح التأملية الدقيقة والموسيقى
العفوية المنسجمة مع تفكيره وشعوره وإحساسه وحالاته النفسية التي
تبدو طبيعية ليس فيها شيء من التكلف والتصنع، لأنه من المهارة
الفنية في أوسع نطاقها. فاصغ إليه مرة أخرى في قصيدة «عودة

الحبيب» لترى كيف يترجم أحاسيسه بلغة الوجد والحنين الطافحة
بمعاني الحب والغرام:ـ

زهر الحمى واستوطن الأحباب
فاستوجب التقييل والترحاب
وأطل بدر الوصل ينشر نوره
من برجه فاستقبله رحاب
وجلّت عن القلب المبرح شجوه
شمس المنى فانجاب عنه سحاب
وتخللته أشعة من نورها
فاستحكمت بخيوطها الأسباب
يا جوذراً باتت تحلق حوله
الأحلام حيث أزيح عنه نقاب
يا وحدة الحسن التي قيست بها
صور المحاسن فاستقام حساب
يا دمية الريحان والنبت الذي
في عوده عذب الصبا ينساب
نشرت أشعة طرفها سحراً به
فتكت بليث الغاب حيث الغاب
يا جنة الأحباب يا روض المنى
حسدت بهاك كواعب أتراب
في ثغرها وخذودها وشفاهها
الشهد والتفاح والعناب

يا نازلين حمى الفؤاد ترفقوا

من بعد لأي فالفؤاد مذاب

ثم انظر كيف تموج قريحته بالولاء لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام
وكيف تضطرب هذه الأمواج وتصطك كأن ينافس بعضها البعض
لتجد منطلقاً لها من خضم هذه القريحة لتجري في وهاد النفوس، وها
هي قصيدته العصماء في مولد أمير الحق والعدل والبلاغة وحكيم
الإنسانية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهي مزيج من الغزل والمدح
والوصف والخيال الواسع وفيها وقائع تاريخية تشع في خلالها مآثر
الإمام البطل العظيم ومجده الإنساني المشرق في آفاق هذا الوجود
فاسمعه وهو يقول:

ركب الوجود شدا بعذب حدائه

ونفى العذار وشق برد حيائه

وتنافست أنغامه وتتابعته

تنساب كالأنوار في أجوائه

والدوح عاد إلى التصابي وانبرى

ماء الحياة يسيل في أعضائه

طرب العنادل والقمارى غردت

فوق الغصون اللدن في أفنائه

واخضر روض العيش ذبوله

فاخضرت الأحلام في أنحائه

وتناشد العشاق ألحان الهوى

وفنون موسيقاه في أصدائه
 ومواكب النور استطلت في الفضا
 فسمت من البطحا إلى جوزائه
 فاسمع حفيف الغصن حيث يميله
 طلق النسيم ومرتقى ورقائه
 لاحت تباشير الصباح نديّة
 بالطل فاستنشق شذا صهبائه
 والبيت شع بركنه ومقامه
 وسرى بززمه السنن وصفائه
 واستبشرت عرفاته شوقاً إلى
 النبأ العظيم يمور في أبهائه
 خرجت بكنز الله حيرى (أمه)
 حيث اقتضى التكوين في إبدائه
 حملته فانتبذت به البيت الذي
 خصت لوضع وليدها بلوائه
 فاجاء "فاطمة المخاض" وقد جلا
 في الأرض (سيف الله) من عليائه
 وافى "علي" ساجداً وجبينه
 أثر السجود يلوح في سيمائه
 ولد الذي نسف التماثيل التي
 نصبت ببيت الله في أفنائه
 ولد الذي دك العروش وكان في

الهيجا ملوك الأرض من أسرائه
ولد الذي خضعت لقائم سيفه
أسد الشرى والوحش في بيدائه
نفس النبي وصره ووصيه
وأبو الهداة الغر من أبنائه
الصدق والإعجاز والإيثار في
إيمانه وبيانه وبلائه
والغيث والرعد المدوي والسنا
من صوته وسخائه وبهائه
قد طلق الدنيا ثلاثاً زاهداً
فيها ولم يغتر بطول بقاءه
لن ينج من نار الجحيم أخو تقى
بسوى مودته وصدق ولائه
طوبى لمن جاء "الإله" بحبه
والويل للآني غداً بعدائه
سن الفصاحة والبيان بنطقه
وبنى لعلم "النحو" أس بنائه
للغرب باتت معجزات بيانه
واحتار فيه الصيد من بلغائه
نهج البلاغة توأم القرآن في
آياته قد صيغ من إيحائه
فعنى به المستشرقون وأيدوا

إعجازه وخلوده ببقائه
 القابض الأرواح في حملاته
 والباسط الإرشاد في إفتائه
 المقبر الإلحاد في إحيائه
 والباعث الإيمان في أحيائه
 الراكع السجاد في محرابه
 والفاثق الهامات في هيجائه

وقد بلغت هذه القصيدة "٦٠" بيتاً وكانت هذه مقتطفات منها وهي
 لعمري من أبلغ ما جاء في لغة المديح والثناء لوليد "الكعبة" المقدسة
 الإمام علي عليه السلام.

وحرى بفؤادك أن يغمره الخشوع مرة أخرى لهذه النفثات
 المتصاعدة من أعماق قلب الشاعر وشاعريته القوية، وإلى هذه
 الألحان التي تعزف لها المشاعر، وهو واقف موقف الإجلال والإعظام
 والتقديس أمام شخصية عظيمة اكتحل بنور ميلادها الأغر بيت الإمامة
 الطاهر، فتراه يترنم ترنم العاشق المدله في مدحه الرائع للإمام السبط
 الحسن الزكي شبل أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وما
 أجمل ما يتغزل بمولده المبارك في مثل هذا البيان الساحر وفي هذه
 المقتطفات:ـ

يا منى القلب الامه
 يكتم الصب هيامه
 يكبت الوجد بحال

لم يطق فيها اكتامه
شفه الهجران حتى
فضح الدمع غرامه
وتولاه نحول
صار في الحسم علامه

إلى قوله:

شع ثغر الفجر نوراً
وضوت منه ابتسامه
وتجلى الحجر الأسود
ففي خدك شامه
والهوى أصبح نجداً
وغشى عليا تهامه
وتغنى بهواه
كل طير، وحمامه
صاح هيا لصبوح
وامأ الكأس مدامه
خمرة تذهب عنا
(الرجس طهراً) والسامة
وانصب الأوتار
تنساب بشدوا واستقامه
وأدر نخب وليد
حل في بيت الإمامه

لعظيم جَلَّ قَدْرًا
واختصاصاً بالإمامه
سبط "طه" الحسن
الزاكي وعنوان الكرامه
جود أهل البيت فيه
ولدى الحرب أسامه
كان للراية في صفين
أسَّأ ودعامه
في قتال شباب منه
الرأس إذ خاض قتامه
وله قصيدة أخرى في مدح الإمام علي ع تعتبر من عيون الشعر
وقد بلغت (١٠٠)، منها ما يتعلق بيوم (الغدِير) وهو اليوم الذي نصب
النبي ص علياً ع خليفة على المسلمين بأمر من الله تعالى،
فاستمع إلى وحي العقيدة من فم شاعرها:
ألست أولى بكم قال من
أنفسكم بالأمر قالوا بلى
قال لهم من كنت مولى له
حقاً فمولاه علي العلي
ثم دعا اللهم وال الذي
وإلى (علياً) واخذلن من قلى
عبارة فاه بها المصطفى
وحيأ من الله له أنزلا

مكرمة خصص (علياً) بها

أنطقها نبيها المرسل

ثم يتدرج الشاعر (الوهاب) في أغرودته هذه إلى استعراض بطولات الإمام الجبارة في ميادين الحروب التي خاضها ضد الكفرة والمشركين والطغاة والتي كان هو - وحده - النصير الأول والأخير فيها للإسلام ولصاحب الرسالة المقدسة رسول الله ﷺ فإنك لست تقرأ شعراً مقفى فيما تقرأ وحسب، وإنما أمامك وبين يديك عقود من التاريخ الإسلامي في أعظم حوادثه وأهم ماجرياته منظومة في أحسن ما يكون النظم، وفي أروع ما يتجلى فيه الفن كما سترى:

وقام يقضي أمرهم بينهم

بعلمه في الشرع ما استمهلا

وهو الذي لو شاء أفناهم

بصارم في الحرب لن يفلأ

وفيهم من فر في (خيبر)

وممن (بأحد) فر مستعجلا

فهو على نقيض أفعالهم

خلد ذكراً عاطراً أمثلاً

فيوم (بدر) لأبي خالد

بروحه إلى الردى عجلاً

وخيبراً داهمها حيدر

بغير (ذي الفقار) ما قتلاً

وبعد أن وضع الشاعر أمامنا صوراً جلية من مشاهد البطولات والتضحيات ومعجزات الشجاعة العلوية الخارقة التي أذهلت العقول وجعلتها في حيرة منها. وقف في ختام هذه القصيدة خاشعاً بقلب كئيب من قضية (فلسطين) وهو يشارك اللاجئين العرب في مأساتهم الأليمة ويصب جام غضبه على اليهود الغاصبين أعداء الوطن العربي والإسلامي ويتمنى لو يثوب العرب إلى رشدهم ليكونوا وحدة فكرية وعسكرية متضامنة متضافرة بالقول والعمل لنسف هذه الدويلة اللقيطة وقد أجاد شاعرنا في قوله:ـ

أمسى بنو (صهيون) في حقلنا

جراد (بر) يقضم السنبل

حوقلة الحياة أودت بها

وأجلت اليافع والحوقلا

هذي جموع العرب مطرودة

عن أرضها هائمة بالفلا

تاركة جنات عدن بها

تؤتى جناها القلب الجولا

وانتشرت تحصد خيراتها

أيدي ذئاب تحمل المنجلا

إن اختلاف الرأي في أمرها

أطمع فيها الصاغر الزملا

من بات جنب البحر في مده

أصبح والماء عليه اعتلا
وقال يرثي فقيد العلم والجهاد والإسلام الإمام المصلح المرحوم
السيد عبد الحسين شرف الدين، وقد أرّخ وفاته في نهاية قصيدته.
وها هو يردد نشيد الحزن والأسى في موجة دافقة من التعبير
الشاعري الرقيق:ـ

الله أي بناء هـد منخسفاً
وأي بدر بأفاق الهدى خسفا
وأي ركن من الدين الحنيف هوى
وأي قرص ذكاء خر منخسفا
وأي سفر طواه الدهر ذي خطر
وفلك أمن طواه الموج منجرفا
وأي خطب عرى ماء الشجون جرى
به وغير عبير الدم ما نزفا
خطب له نشرت بالحزن قاطبة
أعلامها أمم الإسلام وا أسفا
إلى قوله:ـ

لبنان والشام ثم الرافدان معا
والنيل كلا أرى للنوح منصرفا
والعرب تندب والإسلام مغترف
من المحاجر دمعاً سيله وكفا
فدى الحسين بنصر الحق مهجته

وعبده أثره نهج الجهاد قفا
لله مجتهد في الدين مضطهد
قاسى العذاب وبالإيمان ما اختلفا
سامته ظلما (فرنسا) العظيم حين لوى
على العصا كفها واستأثرت صلفا
نفوه معتقلا بعد انتصارهم
إلى فلسطين بالإخلاص متصفا
جلا عن الوطن المحبوب مغتربا
جلاء موسى لوائي (مدين) قرفا
فأحرقوا داره من بعده حنقا
بنارهم وأبادوا الكتب والصحفا
تذلل الصعب في ميدان حجته
ومال كل عنيذ فيه وانعطفا
بك استطلت رياض العلم يانعة
أثمارها فجلت مجنى ومقتطفنا
أفئيت عمرك بالأسفار تصدرا
طبعاً ونشراً عليها ظلت معتكفا
ليبصر النور من أعشته داجية
ويعرف الدرب من أخطاه منعطفنا
ويتبع النهج من زاغت بصيرته
ويقتفى الحق من قد ضل منجرفنا
"بالنص والاجتهاد" المقتضى أثراً

يزداد علماً ويلقي عنه ما صدفا

وفي "فصولك" للماضين رتب

فصل الخطاب وفيها اثنان ما اختلفا

(مراجاتك) تدعو من تخلف عن

قصد السبيل ليستهدى ويأتلفا

قضى يراعك فيها بالبيان على

ما يستراب وشيخ الأزهر اعترفا

سألت دين الهدى من زاده شرفا

فقال لي شرفاً عبد الحسين كفى

يا من تغرب عن لبنان موطنه

واستقبلته جموع (الطف) حين غفا

وجدد القرب "بالنورين" مرتحلا

وسار للمرتضى واستوطن النجفا

وهناك مساجلات شعرية بين شاعرنا العبقري مرتضى الوهاب

والشاعر المعروف الشيخ علي البازي الذي بعث إلى "الوهاب"

بالأبيات التالية مؤرخاً ميلاد كريمته "بشرى" في عام ١٣٧٥ قائلا:

ألا يا مرتضى الوهاب

يا بن البضعة الزهرا

جباك الله في بشراك

فأهنأ واغنم الأجر

لكم تاريخها (يبدوا)

زفنا البشر في بشرى

الركعة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١ _____ ٨٣

فردّ عليه الأستاذ الوهاب بنفس القافية والوزن قائلاً:ـ

حبّاني شاعر الكوفة

ففي تقريـضه فخرًا

بدا بالفضل إذ كان

بشكري فضله أحري

كساني ثوب عز حيك

من أبياته الغرا

وقد سجل تاريخاً

لميلاد ابنتي الصغرى

وقد قال وما أحسن

ما قال وما أطرى

(لكم تاريخها يبدو

زفنا البشر في بشري)

لذا أرخت ما أنشا

بييت بعد ذا يترى

علي طار بالشعر

كباز قد زها قدرا

١٣٧٥ هـ جـ

وكان الشاعر الألمعي فضيلة العلامة السيد محمد هادي (الصدر)

الذي كان قاضياً في المحكمة الشرعية بكربلاء لمدة أربعة عشر عاماً،

وعندما نقل لمزاولة القضاء في المحكمة الشرعية في الحلة عام
 "١٩٥٤" بعث إلى شاعرنا بالبيتين التاليين:ـ

رحلت للحلة الفيحاء منتجعاً

مناهل العلم والتاريخ والأدب

فلا غرابة إن فاقت حواضرنا

(وفي الحمية معنى ليس في العنب)

فاستوضح الأستاذ الوهاب منهما أن السيد (الصدر) قد بالغ في
 تفضيل مدينة الحلة على مدينة كربلاء في النواحي العلمية والتاريخية
 والأدبية فبادر إليه بتوجيه النقد الذاتي في أبيات رائعة مبيناً فيها أن
 كربلاء محلها في العلم والأدب والتاريخ محل القطب من الرحي،
 وهي لأهميتها العظيمة منار تشع منه أنوار الفضيلة والقداسة والمثل
 العليا تنير حياة الأجيال قديماً وحديثاً، وإن كل ما تملكه (الحلة)
 وغيرها من العلوم والآداب إنما هي قبسات من الإشراق العلمي
 والأدبي والفكري في هذا البلد المقدس العظيم وهكذا كان جواب
 شاعرنا الأستاذ الوهاب:ـ

مدينة السبب نور العلم يغمرها

فضلاً من الله إلهاماً بلا سبب

وأحرزت علمها الفيحاء عن تعب

تكلفاً فاستحقت عالي الرتب

فكربلاء فاقت الأمصار حيث غدا

أين التكلف مما جاء موهبة

مكانها (الصدر) في التاريخ والأدب

(وفي الحمية معنى ليس في العنب)

وعلى أثر ذلك كان سماحة الحجة السيد محمد هادي الصدر قد أعاد النظر في بيتيه السابقين وشطرهما تشطيراً بديعاً وأرسلهما إلى السيد الوهاب بقوله: -

(لئن رحلت إلى الفيحاء منتجعاً

فقد بلغت بوادي كربلاء إربي

فكربلاء علت بالدين رتبها

(نوادي الشعر والتاريخ والأدب)

(ولا غرابة أن فاقت حواضرنا)

فدونها عالم الأفلاك والشهب

ما بابل، بل وما الدنيا بأجمعها

(وفي الحمية معنى ليس في العنب)

وهذه نفحة أخرى من نفحات شاعرية (الوهاب) وعبقريته أرّخ بها

ميلاد نجل المؤلف (ضياء) وهنأه بمقدمه قائلاً:

لك الهنا يا بن الرضا

بـيـمـن ضـيـف طـارـق^(١)

قـد رـسـمـت صـورته

رـيـشـة خـيـر خـالـق

^١ الرضا: إشارة إلى والد المؤلف وهو الحاج السيد محمد رضا ولكن فيها تورية يفهم من معناها: الإمام الرضا من أهل البيت عليه السلام.

بجده الهادي سما

لشأو مجد لائق^(١)

بين الملا أرخته

(شع ضياء صادق)

٣٧٠ ٨١٢ ١٩٥=١٣٧٧هـ

ولا يخلو أدب المساجلات الشعرية من فوائد معنوية كبيرة وأثر مباشر في ازدهار الفكر ورفع المستوى الأدبي، فقد رد عليه المؤلف بنفس القافية والوزن بالمقطوعة التالية:-

غمرتنا أبا العطا

بموج لطف خارق

من عطفك النابع فيك

من وفاء صادق

أتحفتنا خريدة

فاحت كزهر عابق

أبهجتنا نسيمها

من روض شعر رائق

سرى إلى نفوسنا

كنشوة المعانق

بوركت يا شاعرنا

^١ والهادي:- هو عم المؤلف و"جد" ولده ضياء لأمه وفيها أيضاً لطيفة تشير إلى الرسول الأعظم ﷺ الذي من صفاته وألقابه الكريمة (الهادي الأمين).

من ماهر وحاذاق
ركبت متن الشعر من
أفكرك البوارق
حتى بلغت قمة
تزهو بمجد لائق
يا بئس من يغيظه
من حاسد أو حائق
أن ترتقي سلالما
بذي المقام الشاهق
دع جانباً كل أنا
ني حقيـر ناعق
وطائش مراهق
وحاقـد ممـاذق
وغارق في زهوه
وجاهل منافق
ملكنتني أبا العطا
يا ذا الجميل السابق
حييت يا فنان في
التاريخ بالحقائق
وأنت أنت الشاعر
المعروف بالسوابق
تصوّر الأمور والـ

أحداث لم تفارق

بريشة قدارة

ونور فـكـر بـارـق

قريحة فياضة

كالمسحب الرقارق

موهبة أوتيتها

سبحانه من رازق

قد قيل من أشعركم؟

قلت برأي واثق

أبو (عطاء) انه

أضحى كنجم شارق

فلا أرائك وهذا

الشعر خير ناطق

جاء إليك عن فؤاد

بلسان صادق

أما شعر الأستاذ مرتضى الوهاب في التأريخ فهو الفن الجميل الذي لا يجاريه فيه أحد من الشعراء العرب في العراق وغيره من حيث ضبط الحساب والمعاني المطابقة للأغراض التي ينظم من أجلها هذا النوع من الشعر وقد قلت آنفاً إن المرحوم الخالد الذكر الشيخ محمد علي اليعقوبي قد أذعن للنقد الوجيه الذي قدمه إليه شاعرنا الوهاب في هذا الفن الشعري.

وإليك هذا النموذج الرائع يؤرّخ به (الألفيه الهائية) للمرحوم
الشيخ عبد الحسين الحويزي في مدح الرسول الأعظم والإمام علي
والزهراء عليها السلام الموسومة بـ(فريدة البيان) جاء فيه:ـ

ألفية أم روضة للزهور
فريدة أم مجمع للبحور
أم مرج البحرين إذ يخرج
اللؤلؤ والمرجان حلى الصدور
أم لج بحر من خيال به
تجرى جوارى منشآت الشعور
أم غاب أسد برزت أسده
زئيرها يملأ سمع الدهور
بألف بيت حجر ثابت
إشعاعه في الحق نار ونور
في مدح أهل البيت نور وفي
أصلاء أهل البغي نار تفور
حاز (الحويزي) بها رتبة
لأجلها خلد مد العصور
نال وسام الفخر من (أحمد)
ونال من (حيدر) رمز العبور
وفاطم الطهر وأبنائها
تاجرهم (تجارة لن تبور)
أظهر فيها الحق مع (حيدر)

٩٠ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١

وحيثما دار (علي) يدور

لخاطبي الفن وأهل النهى

وللعللى قلائد في النحور

لدى الصراط في الجزا أرخت

(فردية البيان صد المرور)

٦٩٤ ٩٤ ١١٠ ٤٧٧ سنة ١٣٧٥هـ

وقال في رثاء نابغة الأدب العربي المرحوم الشيخ (الحويزي)

الكربلائي قصيدة جاءت روعة ساحرة في البلاغة والوصف والتعبير

ألقيت في ذكره الأربعينية عام "١٣٧٧هـ" وكان المؤلف من

المساهمين فيها، وسترى كيف يبث شاعرنا شجونه في فاجعة الأدب

والشعر بموت هذا الفقيه الخالد بقوله:ـ

نعاك بالويل ناعي النظم والنثر

فغبت منظوياً في صفحة الدهر^(١)

وأصبح الطف يبكي روح شاعره

مذ غبت مرتحلاً بالأدمع الحمر

فأقفرت منك جنات البيان وقد

كانت مظلة بالدوح والزهر

وأوحشت منك لآداب أنديّة

كانت مزودة بالمونس النضر

واظلمت منك للشعر الرصين سما

^١ - جريدة المجتمع الكربلائية (١٩٦٣)

كانت منورة بالأنجم الزهر
وغاص بحر المعاني حيث كان هدى
يفيض باللؤلؤ المكنون والدر
نظمت بالمصطفى الهادي وعترته
مدحاً ترده الأجيال بالذكر
مخلداً حين يتلى في فضائلهم
يضع منه لذكراهم شذا العطر
سبقت في مدحهم أهل المديح بما
أبدعت في شعرك الراقي مدى الدهر
لم يرق شأوك فيما قد مدحت به
الغر الميامين إلا محكم الذكر
نشرت في فضل "أهل البيت" مفتخراً
صحائفاً كل عنها متدى النشر
بلغت في كل فن أوج غايته
من الكلام بما يسمو عن القصر
يا مكثراً ومجيداً في فرائده
أمسى القريض عليه لاطم الصدر
إلى قوله: _

أتى بألفية بز الألو ف بها
كما شأت ألف شهر ليلة القدر
فيها لآل رسول الله صدق ولا
وفاز بالخلد من وإلى (أولي الأمر)

ساروا بنعشك بعد الجهد في فئة
 ناءت به مثقلا بالعلم والفخر
 مذ أودعوا حجة الإسلام ما علموا
 بأنهم أودعوا الإعجاز في القبر
 قضى الحسين وهذا عبده أسفاً
 من المحرم أودى أول الشهر
 مذ غاب وحي القوافي الغر أرّحه
 (مات الحويزي رب الوحي والشعر)
 "١٣٧٧هـج"

وفي عام ١٩٥٥ تم تذهيب "قبة" روضة سيدنا أبي الفضل العباس
 ؑ بطل الإسلام العظيم، وحامل لواء أخيه الحسين ؑ وحارس
 مخيمه الأمين، ورجل الشهامه والوفاء والإباء، والبطولة والتضحية
 الخالدة التي هي في مفاهيمها القيمة أكاليل مشرقة من الشرف
 الإنساني الباذخ توطر وما زال اسم "العباس" بالمجد المؤثل وهو شبل
 أبيه الأسد علي بن أبي طالب ؑ.

فقد ضرب هذا البطل الفذ أروع المثل في جهاده المشرف
 "المنقطع النظير" في سبيل الله والعقيدة والإيمان والحق والكرامة
 والمثل العليا والقيم السامية، وفي سبيل نصره أخيه الإمام الشهيد
 الحسين ؑ في وادي كربلاء يوم حاصرته الفئات الباغية من
 جيوش الكفر والغدر والخيانة والرذيلة وقتلته وأصحابه الميامين
 وذويه الكرام ظمأ في وحشية فظيعة لا تعرف شريعة الغاب لها مثيلاً.

وذلك تنفيذاً لأوامر الطاغية الأثيم ربيب الشرك والإلحاد "يزيد بن معاوية" الأموي.

والعباس هو ذلك العملاق الذي كان يخافه الأبطال، وترتعد لهيبته الفروسية وصولاته الحربية فرائص الكفرة والمشركين وأبطالهم من أعداء الإسلام. وهو ذلك الإنسان الذي عرف الحق وآمن به بقلبه وروحه وكل جوارحه، واستشهد من أجله، وهو ذلك البطل القاهر الذي انتدبه الحسين ليغلب الماء من "الفرات" ويسقي به الأهل والعيال والأطفال.

فاستجاب لنداء أخيه الإمام واقتحم بنفسه جحافل الشرك والضلال وفرقها يمناً ويسرة ونزل إلى "المشرفة" وغرف الماء بيده ليشرب ولكنه إذ ذاك تذكر عطش أخيه الحسين وأصحابه وأطفاله وهزته أريحية النفس العامرة برسوخ الإيمان والولاء فخاطب نفسه قائلاً:ـ

يا نفس من بعد الحسين هوني

وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين شارب المنون

وتشربين بارد العين

ثم رمى الماء من يده ولم يذقه قط إذ لم يشأ تفضيل نفسه على أخيه الإمام المظلوم في سدّ غائلة العطش في أشد حالاته، وذلك هو معنى الوفاء الإيثار، ومعنى الأخوة الصادقة التي تجسدت معالمها الوضاعة في شخص "العباس البطل" وكان هو خير مثال لهي وكفى،

وحمل الماء إلى مخيم العيال والأنصار وفي عودته قابلته السيوف من كل جانب ومكان حتى ذهبت كلتا يديه ووقع صريعاً على الأرض وتلك هي حياة العظماء الخالدين وقادة الحرية والتحرر والإنساني في دنيا البشرية.

ولقد كان تذهيب (قبة) الروضة العباسية المطهرة من دواعي الغبطة والبهجة والسرور لكافة المسلمين الموالين لأهل البيت الإبرار عليهم السلام وكان لكثير من الشعراء المخلصين في إيمانهم وعقيدتهم دور كبير من المباراة في مجال التعبير الصادق عن معاني غبطة - ومشاعر الجماهير المؤمنة التي يحتل "العباس" أسمى المنازل في أعماق نفوسها.

وكان منهم شاعرنا الفذ السيد مرتضى الوهاب الذي صاغ من فكره وإيمانه قلائد من الشعر الموشح الرائع مؤرخاً به تذهيب "القبة" في طريقتة الفنية التي يبدع فيها أيما إبداع، فانظر إلى ذلك بمنظار الذوق والسليقة فهو فن، والفن موهبة، والموهبة من هذا النوع جديرة بالتقدير والخلود.

وإليك بعض ما جاء في هذه الموشحات في لحنها الجميل، وما يتخللها من أغاريد الشاعرية الخصبة وما فيها من خيال واسع يحلق فيه بالوصف الخلّاب: -

شعّ ثغر الفجر نوراً وانجلى

عن سما الدنيا رداء الغيب^(١)
خلتها بالتبر لما برقت
نار موسى جانب الطور بدت
أم سنا الشمس جلالاً سجدت
أم غريض الماء يشفي الغللا
سال مشفوعاً بنهر سرب
انثار الورد في الروض انتشر
فتراءى كاللألى للبشر
أم ترى أدركت الشمس القمر
أم جلال الله بالقدس جلا
فتجلى للورى عن كذب
من بوجه الجيش فرداً غبرا
وأذاق القوم موتاً أحمر
فاتحاً نحو الفرات انحدرنا
غرف الماء وعنه عدلا
ذكر السبط ولما يشرب
قبة فوق الثريا ارتفعت
وعلى الأفاق بدرأ طلعت
من أبي الفضل بنور سطعت
وحكى تاريخها صدقاً على

^١مجلة (رسالة الشرق) الكربلائية..

وشعر الأستاذ الوهاب التاريخي على اختلاف اتجاهاته وأغراضه كثير وكثير جداً، ومعظمه منشور على صفحات الكتب والمجلات ويكفيها والقارئ الكريم ما قدمناه في هذه الدراسة من نماذج مختلفة منه.

وخلاصة القول: إن السيد مرتضى الوهاب مفخرة كربلاء وموضع تقدير أبنائها وأدبائها وشعرائها المعاصرين، وقد نالت هذه المدينة نصيبها الوافر من الازدهار في الحركة الأدبية بواسطة سواء في حفلاتها التي يساهم فيها بإنتاجه النفيس، أو المجلات الأدبية التي تصدر عنها بين حين وآخر، أو الندوات الأدبية التي يهيمن عليها بفكرة الثاقب وأدبه الرفيع.

وأراني قد أدت ما تيسر لي من الواجب الأدبي لاستأذنا وشاعرنا العبقري "أبي عطاء" الذي جمعنا به رابطة الأدب والصدقة منذ ١٦ عاماً أو تزيد عرفته خلالها أنساناً نبيلاً محباً للخير متواضعاً يفيض خلقاً وفضيلة وحماساً شديداً في الوطنية الصادقة واعتزازاً بدينه وقوميته.

وليس الأستاذ "الوهاب" شاعر كربلاء فحسب، بل يعد من شعراء العراق المعاصرين ويلتقي مع أقطاب الفكر والأدب اللامعين في "القمة" بموهبته وعبقريته بالرغم من أنه يؤثر العزلة والانزواء.

وأودّ أن تحفل هذه الدراسة في خاتمة مطافها بذكرى رجل جليل الشخصية رفيع المكانة، خالد ما خلد العلم والأدب والشعر وهو المرحوم السيد عبد الوهاب (آل الوهاب) وكان عالماً فاضلاً ومن فحول شعراء كربلاء الخالدين، وموضع تقدير واحترام فطاحل العلماء والفقهاء وأرباب الفكر وعلى رأسهم حجة الإسلام والمسلمين العلامة الكبير المرجع الديني المرحوم السيد محمد باقر الطباطبائي المتوفى عام "١٣٣٣هـ".

وكان السيد (الوهاب) يحضر مجالسهم ويتباحث وإياهم في أصول الفقه والعلوم الفكرية والإسلامية ويناقشهم فيها، وهو أول شاعر نبغ من أسرة (آل الوهاب) وأما الشاعر الثاني لهذه الأسرة فهو السيد مرتضى. وقد توفي السيد عبد الوهاب عام (١٣٢٢هـج) بمرض الوباء.

وممّا يؤسف له أشد الأسف إن كل ما أنتجته قريحته من الشعر في شتى الأغراض والمناسبات قد ذهب عرضة للضياع الأمر الذي جعله مغموراً في مطاوي النسيان بيد أن قصيدة واحدة فقط بقيت من ثروته الشعرية وهي في رثاء جده الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام بلغت "٦٤" بيتاً وهي من عيون الشعر العربي، ومما جاء فيها:-

ذكرت سيوف الغر من آل هاشم

غدت بسيوف (الهند) وهي تهشم

وتلك الوجوه الغر بالطف أصبحت

يحطمها شوك الوشيج المثلّم
 تساقوا كؤوس الموت حتى اثنوا وهم
 نشاوى على وجه البسيطة نوم
 قضاوا فقضوا حق المعالي أماجداً
 بيوم له الأسد الضياغم تحجم
 ولم يبق إلا السبط في الجمع مفرداً
 ولا ناصر الا حسام ولهذم
 لئن عاد فرداً بين جيش عرمرم
 ففي كل عضو منه جيش عرمرم
 وقد تكرم علينا بهذه القصيدة مشكوراً فضيلة الباحثة السيد مجيد
 السيد سلمان الوهاب (آل طعمة) وهو في العقد السابع من عمره
 متبحر في التاريخ وحدثني عن شخصية هذا العالم والشاعر الفحل بما
 فتح أمامي من باب الكلام عنه تخليداً لذكره وشاعريته البارعة، وإذ
 أحيينا للشاعر المغمور ذكراً فإن الفضل يعود في ذلك لسيدنا -
 المجيد - طبعا.

الدكتور صالح جواد آل طعمة



الأدب مقياس الفضيلة والكمال، والشعور
والعاطفة، وجزء طبيعي من كيان الإنسان في
ذات الأديب. وهو كذلك فن بديع من
الفنون المستوحاة من عالم الفكر فتري في
معالمها الوضاعة مشاهد الطبيعة

وجمال الكون، وصور الحياة التي تستهوي العقول والألباب، وتعي
حقائقها القلوب، وتنطوي في مسارحها الأمم والأجيال على تعاقب
الأزمان ومر العصور بينما تبقى آثارها العلمية وفنونها الفكرية
وحضاراتها شامخة المجد رفيعة الكيان، زاهرة المعالم، محصنة
بالخلود.

ولا شكَّ إنَّ الفكر كلُّما كان ناضجاً، والعقل كلما اتسم بمستوى
الكمال، والعبقرية كلما حلت في رؤوس المفكرين، كانت البشرية
أكثر تقدماً، وأعظم حضارة والحياة أكثر جمالاً وازدهاراً.
فإنَّ المفكرين والعباقرة والفلاسفة هو نوابغ الأمم وأفذاذها وقادة
البشرية منذ وهب الله العقل والفكر والعبقرية للإنسان وجعله أشرف
مخلوق في ظل الكون وفي أحضان هذا الوجود.

وإذا تكاملت العناصر الإنسانية لأية أمة من أمم الدنيا فإن تكاملها بوجود علمائها ومفكريها.

ولئن تعاظمت شخصيتها وتسامت في قمة الحياة فإنما سبب عظمتها الشخصية هم أصحاب المواهب والعبقريات المتفجرة وفي طليعتهم الأدباء والشعراء.

فالأدباء والشعراء أشبه بالنجوم السواطع في سماء الفكر تزهو وتزدهي بها بلادهم في شرق الأرض وغربها، وهم المصابيح التي تنير دروب الحياة لكيلا ترى إلا نوراً متلألاً تتمزق بأشعته غياهب الجهل، وتنقشع وتزول، فيبدو الطريق إذ ذاك لاحقاً مستقيماً لا وعورة فيه، ولا عقبة كأداء أمام الإنسان بل أمام الأجيال كلها.

وليس أصدق دليل على ما نقول سوى التاريخ، وسوى التراث الفكري الخالد الذي تركه لنا عمالقة الفكر الإنساني الموهوبون، ونبغاء البشرية في مختلف عصورها، وكذلك عباقرة الفنون والآداب في أمتنا العربية والإسلامية على الأخص الذين اكتشفوا بعقولهم الجبارة النيرة أسرار الحياة، وتوصلوا إلى حقائق القيم والمثل العليا، وكنوز الإنسانية الحقة، وجعلوا من أنفسهم شموعاً تحترق وتذوب من أجل الإنسان وفي سبيل رقيه وازدهاره ورفع مستواه الإنساني على الأرض، وقد عاشوا ولا يزالون يعيشون في قلوب الناس، وفي أعماق أعماقها، بمثل ما يعيش الناس أبداً في أفكارهم وعقولهم

ومواهبهم وطاقاتهم المتفجرة حتى إذا كان التاريخ وهذا التراث نتيجة ذلك التجاوب الروحي والفكري والعاطفي والإنساني.

أجل: _ هذا هو الأدب وأثره المباشر في حياة الشعوب، والمقياس الصحيح الذي يعرف على ضوئه مدى تقدمها أو تأخرها رقيها أو انحطاطها..... الخ.

فرقيّ الأمم وازدهارها في الحياة لا يقتصر على العلم وحده وحسب وإنما يتم بالعلم والأدب معاً على اختلاف مجالتهما وفنونهما، وبتعاون العلماء والأدباء في كافة الميادين.

ومن طلائع الأدباء، الذين تفخر بهم الحياة، وتتجلى بهم مظاهر الأدب ومعالمه الإنسانية في عراقنا الحبيب هو الدكتور (صالح) أمثاله من بناء الفكر وقادته.

فلنا جولة واسعة في هذه الدراسة بعد هذا العرض التمهيدي عنه فيما تقدم، فهو من الشخصيات الأدبية الكربلائية الفذة التي تجاوزت بعبقريتها حدود الأوساط المحلية إلى نطاق أوسع تدخل في فلكه البلاد العربية جمعاء.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد في كربلاء عام (١٩٢٩م) واكتحلت عيناه بنور الحياة على هذه الأرض الطيبة، وبذل أبواه أقصى الجهود في تربيته مادياً ومعنوياً، وعملاً سوية لإعداده للحياة إعداداً صالحاً، أو نموذجاً رائعاً للإعداد الصالح.

وكانت مدرسته الأولى بالذات أحضان والديه التي هيأته لان يشق طريقه في الحياة باتجاه سليم تحدوه الآمال والأمنيات العذاب التي كانت بحق مواعيد صادقة كتبت له اللقاء الأكيد مع مستقبله الزاهر الذي كان ينتظر احدهما الآخر على صعيد الرقي وكان (لوالدته) أكبر الأثر في ذلك الإعداد الفذ حتى إذا نبغ حقاً صالح النشأة والعقل والتفكير، ومثالا سامياً للنبل والفضيلة والأخلاق الكريمة.

وكان (صالح) يشعر في أعماق نفسه وهو في أدوار نشأته الأولى وتحت أمواج عاطفة الأبوة، وحنان الأمومة، بأنه سوف يكون شيئاً في الحياة.

وكان يرافقه ذلك الشعور أيام كان طفلاً فصيباً، فشاباً غض الإهاب. كما يرجع هذا الشعور أيضاً إلى قابلياته الفطرية التي كانت توحى إليه بتنبؤات تبلورت في نفسه وزادته طموحا في تحقيقها بعزم ونشاط نابعين من تفكيره الجدي في العمل وثقته بذاته، واعتداده بنفسه.

وكانت إمارات النبوغ ومعالم العبقرية على رغم حداثة قد نقشت خطوطها البارزة في محياه الوسيم بريشة الذكاء المفرط العجيب، حتى كان الناظر إليه يتوسم فيه معالم الرفعة والسمو في مستقبل أفضل يشارف فيه ذروه الشخصية ليستوي بها مع النوابغ والمفكرين الأقطاب على الصعيد العربي والإنساني، وحقاً لقد صدقت تلك النبوءات تلك الأحلام.

أما أسرة شاعرنا فإن الحديث عنها أشبه بـ(نقل التمر إلى هجر) كما يقولون. إذ هي غنية عن التعريف وليس ثمة من لا يعرف أسرة "آل طعمة" العربية، والعلوية أصلاً ومحتدأً، والموسوية حسباً ونسباً، والتي هي أقدم أسرة قد استوطنت كربلاء^(١).

وقد نبغ فيها في ميادين العلم والأدب والسياسة رجال عظام وعباقرة أعلام، وشخصيات لامعة فذة.

^١ كان أول من هاجر إلى كربلاء هو (إبراهيم المجاب بن محمد العابدين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) وكان مكفوف البصر، وضريحه في الزاوية الشمالية من الرواق الغربي للروضة الحسينية المقدسة وقد ذكره جل المؤرخين في كتب التواريخ والأنساب قديماً وحديثاً، راجع كتاب (تاريخ كربلاء وحائر الحسين) للمرحوم الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار "آل طعمة" - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٦ م - ص ١٤٠ وكتاب "عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب" وكتاب "تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أولاد الأئمة الأطهار - عليهم السلام -" تأليف "ابن شدم" مخطوط. وكتاب "نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين" للعالم المحقق العلم المرحوم السيد حسن الصدر حيث جاء في ص ٣٦ - ما نصه: "فاعلم أن آل إبراهيم المجاب ويقال له إبراهيم الضربير الكوفي بن محمد العابدين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أول من سكنوا الحائر فيما أعلم ولم أعثر على من تقدم في المجاورة عليهم.

وقد كانت هجرة إبراهيم المجاب إلى كربلاء على رأس رهط من أهل بيته وذوي قرباه في عهد "المنتصر بالله العباسي الذي قتل أباه المتوكل" وأمر بتشيد "القبه" لمرقد الإمام الحسن عليه السلام - العمارة الثالثة - التي سبق أن هدمها "أبوه المتوكل" من قبل. راجع: - مدينة الحسين - وراجع أيضاً: (البيوتات العلوية) تأليف: السيد إبراهيم شمس الدين القزويني.

فمنها نقيب السادة والأشراف، ومنها "سدنة الروضتين المقدستين" منذ القرون الغابرة حتى اليوم مما يزيدا كل ذلك فخراً واعتزازاً بأرومتها الطيبة وأمجادها الزاهرة الخالدة ومكانتها الرفيعة بين الناس. وثلاثة هم الذين سموا بـ(طعمة) من هذه الأسرة التي كانت تعرف قديماً بـ"آل فائز" نسبة إلى أبي الفائز محمد^(١) وهم كما يلي:ـ

(طعمة الثالث):ـ نقيب الأشراف بن علم الدين بن (طعمة الثاني) نقيب الأشراف بن شرف الدين نقيب الأشراف بن [طعمة الأول]

^١ كانت محلة باب السلامة اليوم في كربلاء تعرف بمحلة (آل فائز) في العهود القديمة وقد جاء في رحلة بن بطوطة ص ١٣٩ ما يؤيد ذلك بقوله:ـ "وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد "زحيك وأولاد فائز" وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً "إمامية"ـ يرجعون إلى أب واحد ولأجل فتنتهم تخربت هذه المدينة".

وقال المرحوم العلامة الشيخ محمد السماوي متفاخراً بأسرة (آل فائز ـ أو آل طعمة) ورجالاتها الأعظم وهذا بعض ما ورد في أرجوزته الرائعة في هذا الشأن، بقوله:

لم يك رهط مثل آل الفائز
بنائيل النقايلة أو حـائز
فقد مضت في كربلاء قرون
منهم نقيب كربلاء يكون
مثل أبي الفائز أو محمد
أو طعمة الأول مقبول الندي
أو شرف الدين الفتى أو طعمة
الثاني أو خليفة بن نعمه

كمال الدين نقيب الأشراف بن أبي جعفر محمد بن يحيى ضياء الدين بن أبي جعفر محمد بن أحمد أبي ظراس^(١) بن أبي الفائز محمد بن أبي جعفر محمد بن علي الغريق بن أبي جعفر الحبر الملقب بخير العمال بن أبي الحسن علي المجدور بن أبي عانقة أحمد بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد^(٢) بن الإمام موسى بن جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والسيد طعمة الثالث كان عالماً فاضلاً جليلاً وهو الواقف للأراضي الواسعة المشهورة بـ"فدان السادة" الواقعة في شمالي كربلاء في حدود المدينة على أولاده الذكور في عام "١٠٢٥هـ" وإن شهرة آل طعمة اليوم هي منه وإليه وقد تفرعت منهم أفخاذ كثيرة.^(٣)

^١- السيد أحمد هو المشهور لدى عامة الناس خطأ بـ[أحمد بن هاشم] الناظر لرأس العين والمدفون في شغاثا والمكنى بأبي ضراس وقبره يزار وكراماته مشهورة.
^٢- محمد العابد مدفون في شيراز وله مرقد وروضة زاهرة يزورها الناس كبقية العتبات المقدسة. وهناك أيضاً مرقد أخيه أحمد الورع الشهير بـ"شاه جراع".
^٣- وأشهر هذه الأفخاذ اليوم هي: بيت الوهاب - بيت مصطفى - بيت الشروفي - بيت فتح الله - بيت رزوق - بيت القطب - وغيرها من الأفخاذ التي لا مجال لذكرها. وإن المشجرات العائلية التي توجد لدى الكثيرين من أفراد الأسرة هي من تحرير وتنميق والد المؤلف الحاج السيد محمد رضا آل طعمة حفظه الله وهو على الرغم من بلوغه حدود الثمانين عاماً ولوع بها منذ سنوات طويلة باعتباره واسع الإطلاع في قضايا الأنساب وخاصة نسب هذه الأسرة وأستاذاً في فن الخط العربي والفارسي وقد كتب لحد الآن أربعة مصاحف من القرآن الكريم على شكل "أحزاب" متجزئة

ومن طعمة الأول يتفرع نسب السادة (آل ضياء الدين) كما أن (من علم الدين) يتفرع نسب السادة "آل نصر الله" كما يلي: - علم الدين - جميل - يونس - ناصر الدين - نصر الله ومن طعمة الثاني يتفرع نسب (آل تاجر) وآل جلوخان والسيد صالح (المترجم له) هو ابن السيد جواد بن السيد كاظم ابن السيد مرتضى بن السيد مصطفى بن السيد احمد بن السيد يحيى نقيب الأشراف بن السيد خليفة بن السيد نعمة الله بن السيد طعمة الثالث.

الدكتور صالح وبداية حياته الأدبية:

ما زال يتمثل أمامي الماضي البعيد (وكأنه الأمس القريب) وفيه تجسيد حي للذكريات الغالية التي طبعتها أيام طفولتنا الحلوة على صفحات قلوبنا لتبقى خالدة فيها ما دامت تنبض بالحياة وما أجمل ذلك العهد... وما أبهج ما فيه من ذكريات..!

لقد كان يجمعنا بيت واحد ولدنا فيه ونشأنا سوية في أحضانه على بساط الحب وصفاء الأخوة الروحية، ووشائج القربى الوثيقة.

ولقد تتلمذنا معاً على المربي الكفاء المرحوم الشيخ محمد السراج الأسدي المعروف بـ(أبو خمرة) المتوفى عام (١٣٦١هـ) -

وأوقفها على مجالس الفاتحة التي تقام في الروضتين المقدستين وذلك بالخط النسخي الفاخر النفيس وهي الباقيات الصالحات. وما من مولود ذكر يولد لأفراد الأسرة في أي (فخذ أو فرع) إلا ويخبره ولي أمره لتسجيله في المشجرة الأصلية لديه.

١٩٤١م) في مكتبه المزدهم الصاحب، بعشرات الطلاب، وكان يشغل الزاوية - الشمالية - الغربية من الصحن الحسيني الشريف.

أمّا الشيخ محمد هذا فقد كان يمتاز عن معاصريه من شيوخ الكتاتيب باعتباره رجلاً عربياً فاضلاً، وشاعراً شهيراً من الشعراء الشعبيين في كربلاء وشعر القريض أحياناً ومن قوله في القريض:

فإلى متى يا قلب ويحك جاهل

فاحذر من الدنيا فإنك غافل

وإذا حملت إلى القبور جنازة

فاعلم بأنك عن قريب راحل

وله أبيات متفرقة في القريض.

وكان معظم تلاميذه من أبناء البيوتات العربية المرموقة التي تمثل

طبقات الأشراف والأعيان والوجهاء في البلد.

وفي أواخر الحكم العثماني كان شيوخ الكتاتيب كثيرين في

كربلاء وكانوا عرباً على الأغلب ونذكر منهم المرحوم الشيخ علي

العاملي والمرحوم الشيخ حمد الحويزي وكان خطاطاً ماهراً قديراً

وخاصة في خط الثلث والنسخ.

وأما من المعاصرين للشيخ محمد (أبو خمرة) فهم المغفور لهم

الشيخ عبد الكريم الكربلائي وكان رجلاً فاضلاً ومن أقطاب الأدب

الشعبي في كربلاء يشار إليه بالبنان وله ثلاثة دواوين في الشعر

الشعبي الفاخر في مدائح ومراثي (أهل البيت - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -) تحت

١٠٨ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
عنوان: _ (المنظومات الحسينية) وله بعض الدواوين الخطية الأخرى،
وقد توفي في ١٩ ذي الحجة عام (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م).

وأما من الإيرانيين فالبارزون منهم المرحوم الشيخ محمد علي
النائيني وشقيقه الشيخ علي أكبر النائيني أستاذ الخط النسخي
والفارسي المتوفى عام "١٣٨٥هـ" والشيخ محمد مهدي الراجي الذي
هو الآخر خطاط ماهر وقد ترك منذ زمن بعيد مهنة التعليم لكبر سنه
وما زال حياً.

حقيقة الوضع في الكتاب:

لعلنا لا نخرج عن الصواب حين نستعرض بدقة وضع الكتاب
ونصور واقعها الذي كانت تعيشه سابقاً، وربما لم ينقطع أثرها حتى
اليوم في بعض الأماكن فنقول:

مسجد صغير تكاد تنقبض فيه النفوس، أو فناء دار تكاد أن
تتداعى، أو حجرة ضيقة يكاد جوها القاتم يخنق الأنفاس ويلعب فيها
جيش لجب من الذباب لما فيها من أوساخ قذرة، وروائح كريهة نتنه،
وسبب ذلك انه كانت معتادة على ذلك الوضع لا تعرف شيئاً من
وجوه النظافة على الإطلاق.

وكانت خاضعة بالإضافة إلى ذلك لطقوس الجو وعوامل الطبيعة
من برد قارس في الشتاء، وحمارة القيض في الصيف، وعلى الأخص
إذ كانت في (الصحن) مثلاً، ولهذه الأسباب كان التلاميذ يتعرضون
لبعض الأمراض بين حين وآخر.

وكنت ترى التلاميذ في هذه الكتاتيب على اختلاف أمكنتها يدرجون الأيام والأسابيع والأشهر وربما السنين الطوال أرقاماً متسلسلة في حساب الزمن والعمر دون إحساس. ودون أن تتسع مداركهم العقلية، من زيادة في العلم.

وكانت المعلومات التي يتلقونها يومياً جامدة ومحدودة لا تتعدى القرآن الكريم ومبادئ، الحساب الأولية وأداء الفرائض اليومية وحسب. وأما الثقافة بمعناها الجوهرية فهي عديمة الوجود في قاموس الكتاتيب على الإطلاق.

أما الكتابة أو الواجب اليومي حسب الاصطلاح الحديث... فما أن يلوح وجه الصبح الباكر بإشراق الشمس المشعة حتى يحضر الطلاب المكتب وهم في أعمارهم المختلفة، وتتعالى أصواتهم في ضوضاء شديد يجتاح الفضاء حين يبدوون دروسهم اليومية الأنفة الذكر في إطارها التقليدي الذي اعتادوا عليه والذي لم يكن قابلاً للتطور.

ثم يبدأ (الشيخ) علمه بكتابة سطر من الحروف الهجائية أو بيت من الشعر أو حكمة من الحكم المأثورة الخالدة في أعلى صفحة الدفتر بالخط النسخي الجلي وبالحبر الأسود وقلم القصب^(١) ثم يتناول التلميذ دفتره هذا من (شيخه الأستاذ) ويمضي على منواله

^١ كان معظم شيوخ الكتاتيب قديماً يحسنون كتابة هذا النوع من الخط العربي الذي يعتبر وسائر أنواع الخط العربي من تراثنا القومي الفني الجميل الذي نعتز به جيلاً بعد جيل مادماً عرباً ومسلمين ونحافظ عليه.

بملاء صفحة أو أكثر شريطة أن يتبع في الكتابة (المشق) قواعد الخط وتعليماته الفنية ليكون ذلك دليلاً على ذكائه واجتهاده وتقدمه، ووسيلة لاكتساب رضى (الأستاذ - أو - الملا) وإلا فإنه من الأغبياء والمتقاعسين عن أداء الواجب ويستحقون الصفعات والعصا الغليظة أو (الفلقة) أحياناً خاصة إذا كان كثير التغيب والإيذاء.

وكانت كلمة وليّ أمر الطالب معروفة وهي أول ما ينطق بها عند إيتائه بولده إلى مكتب ما، فهي قوله للشيخ أو الملا: — (هذا ولدي لك لحمه ولي عظمه) ثم يكرر هذا القول في مناسبة وغير مناسبة.

وهكذا كانت الكتابات في مثل هذا الوضع الذي كان يسودها وفي مثل هذه الحالة التي رأيناها وعشناها أعواماً في بداية نشأتنا وربما كان التلميذ يبلغ أشده في المكتب ويستوي شاباً مفتول العضلات رشيق القد ولكنه في الوقت ذاته (هيكل أجوف) لم يعرف من حياته شيئاً، ولا يدرك مصيره كأنسان كائن حي في ظلال الحياة، وقد خلقه الله ووهبه العقل ليستخدمه في تحسين أحواله ورفع مستواه المادي والمعنوي وليرتقى بسلطانه سلالمة العلم والأدب والمعرفة ولكي يساهم في بناء المجد الإنساني ما دام حياً.

على أنّ التعليم القديم الذي كان يبدأ منهاجه فقط بتعليم الحروف الهجائية من الـ(ألف) إلى الـ(الياء) والقرآن الكريم^(١) من جزء "عم"

^١ كان إذا وصل التلميذ إلى سورة: (لم يكن الذين كفروا) كان يقول له الشيخ (حلوى بكن) أي اعمل لنا حلوى ومفهوم ذلك اكتساب الطالب قابلية قراءة القرآن.

ابتداءً ثم يأخذ بالتوسع شيئاً فشيئاً حتى يبدأ من سورة الفاتحة حتى ختام الكتاب المجيد.

ليس فيما قدمنا كان مجرداً من الفوائد والمحاسن، وصحيح انه كذلك لك يكن قائماً على المساويء والحسيات والبديهيات المجردة من كل حقيقة يكن الإيمان بها والتسليم إليها، ولئن جردناه من صفاته الجوهرية فقد جردناه من أهدافه الإنسانية النبيلة، ومعنى ذلك إننا تجاوزنا عليه بالظلم، في حين إننا لا ننظر إلى التعليم القديم وشيوخه الأفاضل إلا بمنظار الإكبار من قلب سليم ونحترم رسالته الكريمة أيما احترام.

بيد أن الواقع، وموضوعية البحث، ونزاهة القصد في نقدنا الذاتي الوجيه هذا يثبت كل ذلك إن التعليم القديم كان محدوداً يعني فقط بالتربية الروحية بغرس بذور العقيدة والإيمان والخلق الإسلامي الكريم في نفوس الأطفال وينير عقولهم بمفاهيم الإسلام ولكن إذا دخل الطلاب العقد الثاني من أعمارهم فإنما يدخلون مرحلة جديدة من الحياة فهو حينئذ كان عاجزاً عن مسايرتهم وفتح منافذ عقولهم على آفاق الحياة وعاجزاً عن حل ما كانوا يواجهون من المشاكل وهم على أبواب الحياة وفي أول الطريق ثم انه لم يكن ليستطيع أن يعمل

وأما إذا ختم أحدهم القرآن فان على والده أن يقوم بوليمة يدعو إليها (الشيخ) وطلابه ويقدم للشيخ بعض "الهدايا" اللائقة وكانت تلك مراسيم جارية. وتقاليد متبعة موروثه.

على إيجاد وتأمين مستقبلهم في مختلف المجالات كما لم يستطع كذلك أن يكتشف المواهب والملكات والقابليات والطاقات الحيوية الكامنة في الأطفال الناشئين وينميها فيهم الأمر الذي كانوا يصبحون من جرائه بعد زمن طويل يقضونه هباءً في تلك الكتاتيب في واقع مؤسف من أفق ضيق، وفكر محدود، ومعلومات ضحلة بخلاف، ما تفعله مناهج التربية والتعليم الحديثة في المدارس العصرية إلى جانب ما تبذل من إمكانيات واسعة في غرس بذور العقيدة والإيمان في نفوس النشء الصاعد وتوجيهه الوجهة التربوية المشبعة بروح الإسلام في المرحلة الابتدائية على الأخص إضافة إلى العلوم التاريخية والأدبية والثقافة العامة سواء في هذه المرحلة الابتدائية أو المراحل الأخرى التي تليها حتى نهاية المطاف.

وأخيراً: بالرغم من أن التعليم القديم كان أكثر عناية بالجانب الروحي والتربية الروحية للنشء من التعليم الحديث بحيث لا يستطيع احد أن ينكر هذه الحقيقة الواضحة إلا أنه في الوقت ذاته كان جامداً لا يستسيغه روح العصر الحديث ولا تؤمن به عقلية النشء الصاعد، وإن البون بين التعليم القديم والتعليم الحديث شاسع جداً يخرق حدود المقاييس من غير إسراف أو شطط منا في موضوعية هذا البحث الذي تحدثت فيه عن نظريتي الخاصة ورأي الشخصي فحسب^(١).

^١ لقد أعجبني البحث القصير القيم الذي كتبه الكاتب الأستاذ المعروف الأديب الشيخ جلال الحنفي عن التعليم القديم وأصوله والتقاليد التي كانت جارية فيه وذلك

عود على بدء:

لقد أمضى (الدكتور صالح) عاماً أو يزيد في المكتب المذكور آنفاً حتى إذا فوجئ أستاذنا المغفور له الشيخ محمد ذات يوم بـ(هيئة رسمية) اقتحمت مكتبه وأخذت منه قسراً ثلة من طلابه إلى المدارس الحكومية الابتدائية في كربلاء وكانت يومئذ حديثة الافتتاح وخالية من الطلاب إلا القليل وكان من بين زملائنا الذين فارقونا - السيد صالح السيد جواد آل طعمة - وقد ادخل مدرسة "باب الطاق" الابتدائية واسمها اليوم (مدرسة السبط) نسبة إلى الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) سبط رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكان ذلك في عام ١٩٣٥ على ما أذكر.

ولقد كان بالنسبة لي وأمثالي التحاق السيد صالح وأمثاله بالمدارس الرسمية كالقافلة التي تنطلق مسرعة الخطى ثم تغد السير حتى تبلغ الهدف المنشود ويحدوها النحام التام في ذلك بينما يخسر المتخلف عنها ثم لا ينفعه الندم ولات حين مندم؟

تحت عنوان (التكسب بالتعليم والموالد والشعر) في كتابه الجدير بالمطالعة (الصناعات والحرف البغدادية).

ولكن الأستاذ الحنفي وان كان قد أعطى الموضوع حقه من بعض الوجوه إلا أنه كان يحتاج إلى إسهاب أكثر لأنه موضوع تربية وأجيال وعهود.

وأخذت الأعوام تمضي سراعاً كأنها سحب الربيع، وإذا بصالح يجتاز المرحلة الابتدائية والمتوسطة بنجاح باهر وتفوق عظيم دون أقرانه.

واستمر كذلك حتى أنهى الدراسة الإعدادية في فرعها الأدبي قضى منها شطراً في كربلاء السنة الأخيرة في (العمارة) وكان في ذكائه ونشاطه وخفة روحه وقابلياته الفكرية مثار إعجاب الأساتذة والطلبة والأهل والأقارب والأصدقاء القريب منهم والبعيد على حد سواء، وكانت تلهج بذكره الألسن، وتردد حديثه الشفاه، وكان في شهرته الفائقة يشار إليه بالبنان، وقد أنزلته أخلاقه الفاضلة وصفاته وسجاياه من قلوب عارفيه أسمى المنازل.

وفي الحقيقة أن (صالحاً) قد اتعب نفسه في سني دراسته فوق استطاعتها، وأرهقها أشد ما يكون الإرهاق كان يعكف على المطالعة والحفظ والتحضير ويواصل ليله بنهاره في جد وانهماك لا يعرفان الكلل والملل، وكان من الذين ينطبق عليهم القول المأثور: (ومن رام العلى سهر الليالي).

وقد ودّع الإعدادية كما ودعته هي الأخرى في هالة من الإكبار والإجلال، وإذ ودعته فإنما ودعت في شخصه نابغة الطلبة، وقدوة المجتهدين في الحياة الذين يشعرون بالواجب، ويقدرّون المسؤولية خير تقدير لبناء مستقبل زاهر مجيد وكأنهم خلقوا للعلم والعمل وحسب.

دخل (دار المعلمين العالية ببغداد وكان شعلة من عقليته الجبارة المفكرة، ونفس كبيرة كأن بين جنبيها كل هذا العالم الفسيح، وتخرج منها بنجاح كان مثار الغبطة والحسد في آن واحد).

وتلك من نعم الموهبة والذكاء والاستعداد الذاتي أن يكون طالب العلم في مراحل دراسته (الناجح الأول) بداية ونهاية، وحليفه التوفيق في حلبات السبق أولاً وآخرًا "ولا ينالها إلا ذو حظ عظيم".

ولكن يا ترى.. هل اكتفى - صالح - بذلك المستوى الرفيع الذي بلغه؟ وهل ارتوى غليله بهذا المقدار الكبير الذي انتهله من مناهل العلوم والآداب وينابيعها الفيضة الثرة؟

كلا.. فإن نهمه الشديد كانت تطالبه بالمزيد، ولأن صدره كان متسعاً رحباً لاستيعاب كل ما يحل فيه من ألوان المعارف الإنسانية.... (وكل وعاء يضيق بما فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع) فإن وعاء العلم هو صدر الإنسان بطبيعة الحال كما في مفهوم هذا القول المأثور.

ثم هناك عوامل الرغبة والطموح لم تزل متفاعلة في أعماق نفسه وفؤاده تدفعه إلى الانطلاقة الكبرى في أبعد أمادها لنيل القدر المعلى والمستوى الأرفع.

وقد تم له ذلك حيث ذهب في بعثة ثقافية للحكومة العراقية إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام (١٩٥٤م) وحصل على شهادة (الدكتوراه) في الآداب من جامعة (هارفرد) وعاد إلى العراق عام (١٩٥٧) وعيّن أستاذاً في دار المعلمين العالية ببغداد وبعد ثورة الرابع

عشر من تموز (١٩٥٨) اختير عضواً في لجنة الوحدة الثقافية مع الجمهورية العربية المتحدة ومديراً للمناهج والكتب بوزارة التربية ثم تعين بعد ذلك ملحقاً ثقافياً للعراق في أمريكا عام "١٩٦١" ثم استقال من منصبه هذا في عام (١٩٦٣) وبقي نزيلاً هناك مع زوجته وأطفاله ولعله يعود إلى الوطن في المستقبل القريب لاسيما أن العراق اليوم بحاجة إلى أمثاله من رجال الفكر والأدب والتربية اللامعين.

نشاطه الأدبي:

ومن يتطلع إلى تاريخ مدينتنا المقدسة بعين الإنصاف ويدرس الحركة الأدبية المعاصرة فيها دراسة موضوعية ووجدانية مجردة عن الأنانية، يؤمن إيماناً عميقاً بالواقع المتجلي في البحث عن هذه الحركة القوية ومدى التقدم الزاهر الذي أحرزته في السنوات الأخيرة بجهود عدد لا يستهان به من الشباب الناهض وكان في طليعتهم أديبنا المغترب.

ومن الحق أن نعتبر (صالحاً) قائد الركب الأدبي المنطلق في رحاب الحياة المزدهرة الآخذة بسنة التطور الفكري الحديث وحامل راية الفكر الخفاقة التي انضوى إليها أولئك الشباب الذين آمنوا بإنسانية الأدب ورسالته الخالدة في دنيا الناس والأجيال.

بذلك كانت كربلاء مضماراً واسعاً للنشاط الفكري الخلاق الذي نستطيع - إن جاز لنا - أن نعبر عنه بـ[النهضة الأدبية] لما كان يتسم بعناصر ومقومات وطاقات متفجرة هائلة، وصولات وجولات صاحبة

مدوية يعود الفضل فيها للسيد صالح الذي كان رائدها ولولبها المتحرك، ومحورها الكبير، منذ كان طالباً (متوسطاً) حتى مغادرته لنيل الدكتوراه.

وكانت شقيقته هي الأخرى أديبة فاضلة بارعة في مستوى رفيع من الفكر، ولها معه مساهمات فعالة من النشاط الأدبي في تلك الأدوار^(١).

^١ هي السيدة "فاطمة" السيد جواد آل طعمة وقد تزوجها قرينها الكف ابن عمها الأستاذ الفاضل السيد كاظم السيد عبد الوهاب [آل طعمة] بعد إكمالها الدراسة الإعدادية. ولها بحوث أدبية قيمة منشورة في مختلف المجالات العراقية خاصة في جريدة [القدوة] ومجلة (رسالة الشرق) الكربلائية الصادرة سنة ١٩٥٤ وقد شغلته الحياة الزوجية أكثر من "١٥" عاماً عن مزاولة العمل الأدبي وانصرفت إلى تربية أولادها.

وفي الواقع أن السيدة فاطمة (الأديبة المتقاعدة) تعد من خيرة الأمهات المثقفات الفاضلات اللاتي يشعرن بمسؤولية التربية الحقة وأن أحضانهن (المدرسة الأولى) للأطفال كما يقول الرصافي:—

وبالرغم من بعض الفتور والجمود الذي اعترى تلك الحركة الوثابة من بعده إلا أنه لم يأن لشعلة الأدب أن تنطفئ جذوتها سيما وإن الأدب المعاصر اليوم في كربلاء أخذ نحو التقدم والازدهار أكثر من ذي قبل.

أجل: _ هكذا كما أسلفنا كان (صالحنا) عاصفة مدوية في عهد شبابه، ثائراً في نشاطه، كما كان ولا يزال عملاقاً في نبوغه عبقرياً في مستوى علمه وأدبه وشخصيته، يعمل للأدب وفي سبيل الأدب بإخلاص منقطع النظير.

الأدب والأديب:

الأدب كائن حي بمقوماته التي يستمدّها من واقعية الفكر والوجود، وصورة ناطقة لحياة الأديب وكل ما يخالج عقله وضميره ووجدانه

ولم أر للخلائق في محل
 يهذبها كحوض الأمهات
 فحوض الأم مدرسة تسامت
 بتربية البنين أو البنات
 وأخلاق الوليد تقاس حسناً
 بأخلاق النساء الوالدات
 وليس ريب عالية المزايا
 كمثل ريب سالفه الصفات
 وليس النبات ينبت في جنان
 كمثل النبات ينبت في الفلاة

من شعور وإحساس وعاطفة، وما تنطوي عليه نفسه في صفات وسجايا وانفعالات تبعاً لظروف الأدب وتأثيراتها الفعّالة في أعماق نفسه اغلب الأحيان.

والأدب هو الترجمان لكل هذه الظواهر، وهو كذلك مرآة الأديب ذاته، تنعكس عليها خصائصه الروحية والفكرية والشخصية وملكاته الخلاقة ونزعتة ومعتقده مهما كان لون تلك النزعة أو طابع ذلك المعتقد.

ونستطيع القول: أن الأديب (كائناً من كان) يفقد قيمته الأدبية والإنسانية معاً إن لم يكن مؤمناً بالله خالق الكون والحياة وبحق الإنسان في الحياة، وبالحرية الشخصية المقدسة التي جعلها الله جزءاً طبيعياً من ذات وجوده وكيانه بمقتضى فطرته، والتي يجب بحكم الشرائع السماوية جمعاء أن يتمتع بها في دنياه ولا تستطيع أية قوة في الأرض مهما بلغ بها الظلم وطغت بجبروتها أن تسلب منه هذه النعمة الإلهية الكبرى. كما أن الإنسان نفسه يجب أن يكون ذا وعي وإدراك يناضل من أجلها مهما كانت طبيعة الظروف وحتى لو يضحى في سبيلها لك غال ونفيس.

ذلك لأنّ الحرية رمز إنسانية الإنسان وكرامته وبدونها يصبح عبداً مملوكاً تستغله المآرب والمطامع وتجعله (أداة عمل صماء) تميت

فيه مواهبه وإمكانياته الفكرية الخلاقة أو تحكم عليه بالنار والحديد أو تحجبه عن النور وهو لا حول له ولا قوة!!^(١).

ولذلك قال حكيم الإنسانية العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلمته المدوية الخالدة يخاطب بها الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم قائلاً: « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً ».

وما لم يكن الأديب كذلك مكافحاً بصدق وأمانة وإخلاص في سبيل هذه الحرية المعقولة الخاضعة للآداب والمصلحة العامة والمثل العليا التي تضمن حريات الأفراد والجماعات على حدٍ سواء وكذلك في سبيل نصره أخيه الإنسان وإنقاذه من مخالب الظلم والسيطرة، ومن كابوس الفقر المدقع، وانتشاله من حضيض الجهل، كما لو يكون عوناً له في إصلاح ما فسد من أموره مادياً ومعنوياً ومعالجة مشاكله التي تقف للحيلولة دون تحقيق آماله وآماله المنشودة في معترك الحياة.

فالأديب الذي تتوفر فيه هذه المزايا الكريمة أديب حقاً، وقدوة مثلى، ورائد إنساني بالمعنى الصحيح، وتتجلى قيمته الأدبية والإنسانية بما يقدمه لمجتمعه وشعبه وأمتة من خدمات صالحة نافعة عن طريق أدبه.

^١ تجري مثل هذه الأوضاع اليوم في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية جمعاء، وإن الفرد فيها ملك الدولة يولد ويعيش ويموت وهو لا يعرف قيمة نفسه كإنسان كائن حي وهكذا تمسخ الشيوعية الماركسية معالم الإنسانية في الإنسان.

وإنَّ أديبنا الكربلائي الكبير « السيد صالح آل طعمة » من الأدباء الإنسانيين، ومن الطراز الذي دار حوله الكلام كما تقدم وهو بذلك يدعو إلى الفخر والاعتزاز.

ولقد كان ولا يزال منذ بزغ فجر نبوغه في سماء الأدب يغمر قلبه ذلك الإيمان، ويقدس الحرية الإنسانية بكامل شعوره ويعمل من أجل الإنسان في الحياة بكل قواه، وقد وقف أدبه في سبيل ذلك كله إيماناً منه برسالة الأدب الإنسانية الخالدة.

ولقد صال وجال، وأنتج وأثمر، من دون أن تطغى عليه نشوة الشهرة بكبريائها وغرورها، إذ لم يكن ضعيف الإرادة حتى يستسلم لتلك المظاهر البراقة الزائفة وما فيها من حب الظهور وحب الذات والأنانية الحمقاء التي تبعد صاحبها عن الهدى فالإنساني الأسمى.

وإن "صالحاً" هو ذلك الأديب الإنسان الذي خدم الأدب وحسب، وترفع بنزعة الإنسانية الخيرة وقوة إرادته وترفعه الشديد عن تلك الصفات اللاإنسانية واللاأدبية التي لا يتصف بها إلا ذوو النفوس المصابة بداء (مركب النقص).

ولقد رسم "صالحنا الشاعر وأديبنا الصالح لنفسه نهجا مستقيماً لا يخرج عن كونه نهجا أدبياً وإنسانياً محضاً عن ضوء عقليته النيرة، وتفكيره العميق البناء، وسار عليه منذ نبغ أديباً وذاع صيته في الأوساط الفكرية.

إنتاجه الأدبي:

لقد آنس الدكتور صالح في خضم نشاطه السالف الذكر من المجلات والصحف تلهفاً شديداً كان ينبئ في واقعه عن تعشقها لثقافته الراقية، وإبداعه في الإنتاج، فراح يتحفها بروائع شذية من أدبه الناضج الممتع، ويمدها بأقباس من شاعريته البارعة وينثر على صفحاتها رذاذاً من عبقاتها.

وقد توثقت صلته الفكرية بأبرز تلك الصحف والمجلات العراقية وغير العراقية كمجلة الغري والبيان والهاتف والبطحاء والآداب والأديب والعقيدة والشعاع والمنهل "المكية" والقلم الجديد "الأردنية" وعدد من الجرائد وأخص بالذكر منها - الأنباء المصورة- والأسبوع^(١). كما أكسبته المراسلات الأدبية والودية بينه وبين أكبر عدد من المع الأديب والشعراء في العراق ومصر وسوريا والأردن ولبنان والحجاز وسائر الأقطار العربية الأخرى.. ألواناً من المعارف الإنسانية زادت سعة في افقه الفكري، ولا غرو، فان أدب المراسلات جدير بأن يضفي على شخصية الأديب حلاً قشبية من الجمال والكمال والفضيلة اللامتناهية.

وقد أصدر وهو في (دار المعلمين العالية) ديوانه - ظلال الغيوم - وكان باكورة إنتاجه، بل مجموعته الشعرية الأولى، فتناولته الأيدي في

^١ كان صاحب هاتين الجريدتين في بغداد - الأديب الكربلائي المعروف الأستاذ عباس علوان الصالح.

كل مكان بالإشادة والإعجاب والدراسات المستفيضة ذات النقد الوجيه البناء أحيانا، وما لبث أن أخرج مجموعته الثانية باسم "الربيع المحتضر" ولم تكن أقل روعة عن "الأولى" في أدبه وأغراضه وأهدافه.

شعره وأسلوبه:

لقد واكب شاعرنا المفلق حركة التجديد في الشعر الحر وعد من دعائها المبرزين، وأقطابها اللامعين في عراقنا الحبيب وكلا "ديوانيه" يجمعان ألواناً مختلفة من هذا النوع من الشعر الحديث الذي غزا دولة القريض وحدث ضجة كبرى في كافة الأوساط الأدبية وكثر حوله الكلام وطال، واحتدم ضده الخصام وما زال، بين مؤيد ومعارض، ونصير ومناهض.

وفي ميدان هذه الحركة التجديدية للشعر الحر الذي أخفق بعد نجاح كبير كان أدينا الشاعر "آل طعمة" يفوق المرحوم فقيد الأدب والشعر الحر الشاعر الموهوب "بدر شاكر السياب" في النضج الفكري، ويضاهي شعره شعره في مختلف المجالات.

وشعره في مزاياه رقيق الأسلوب، عميق المعاني بديع الوصف والتعبير، واسع الخيال أنساني النزعة، واضح المرمى، نبيل الهدف، سليم الاتجاه، ويطفح في حناياه بالحب الشديد والغزل الرائع، والوجد الصارخ، والحنين المشبوب بعاطفة حارة إلى جانب الشعور الوطني الثائر.

وإلى جانب هذه المزايا والمحسنات تتجلى فيه صور الحياة ومعالمها ومفاهيمها، وتتجسد على شاشة شاعريته الحياة الاجتماعية وما يسودها من متناقضات في سننها ونواميسها الطبيعة منذ الأزل. ومنذ زمن بعيد، لم نقف على نظم جديد له سواء في الشعر الحر أو في الشعر العمودي - المقفى - الذي تتجلى فيه عروبة الشعر العربي وعبقريتها الواهبة والموهوبة بأجلى مظاهرها وأسمى معانيها، والذي هو وليد النزعة الإنسانية الحقة في ضمير الأدب العربي الأصيل الذي انطوت في ظل "دولته" الشامخة الخالدة في قمة الوجود قرون وأجيال منذ العصور الجاهلية حتى اليوم وستبقى كذلك شامخة إلى الأبد.

ولأن الشعر العمودي كذلك أقوى إمكانية في تصوير الحياة العامة، وأعظم قدرة على معالجة المشاكل وقضايا المجتمع والإنسانية وأجدر بالبقاء والخلود في ظل الحياة.

لقد كان شاعرنا الإنساني "السيد صالح" يحاول دائماً أن يوفق بين النوعين من الشعر - العمودي - والحر، نظماً وإبداعاً، وكانت تستجيب له القريحة تجاوباً منها مع ذوقه واتجاهه كما يشاء وهل تستطيع القريحة أن تعلن العصيان على الشاعر؟.

نماذج من شعره:

هذه قصيدة رقيقة يعبر فيها الشاعر عن مشاعره، ويبث فيها حنينه للذكريات التي يحلم بعودتها، ومنها تتعالى نغمات الحب والهوى

الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١ _____ ١٢٥
تعزف لها القلوب، وتطرب لإيقاعها النفوس، فاستمع إلى هذا الحنين
الهادر من أعماق قلبه:

"عناق"

هناك.. هناك العتاب المسر
وبث الشجون إلى الفرقد
على عودة الذكريات الحسان
هناك على الملتقى الأسعد
وفي دقائق الهوى المستحم
بعطر الولاء، وحلم الغد
مضينا نجوب الزمان الندى
لنروي الفؤاد الكئيب الصدي
فكان عناق كفرض الصلاة
أقمناه في حرمة المعبد
وضم الزمان العناق إليه
ولاح على المغرب الأبعد

"إعراض"

أبنت الضياء علام النفور
وهذا الذراع طهور اليد
وذاك النذير العفيف العبوس
يطل من الأفق الأسود
تعالى تري في غنائي الجريح

وفاءً كمن هب للموعد

تعالى، ترى من محاني الفؤاد

ملاذاً لضوئك كي ترقدي

فنامي على خفقة في الغروب

وعود لدى طلعة المولد

"عباب"

وفي بحر تلك الأمانى الظماء

أفقت على زورقي المفرد

هناك، صراخ العباب المخيف

ولا من منار لكي اهتدي

وللموج بطش كبطش الظلال

يبيد مني السائح المرشد

فؤادي هات النشيد الدليل

فما في السكوت أرى منجدي

يميناً وثيقاً ساطوي الظلام

لأبلغ قلب الهوى المنشد

ومن روعي اللاهب المسهام

ساطلع لحننا من المسجد

"أمل"

هناك، على مغرب الأمنيات

رجعت إلى خافقي المعبد

لئن غاب عنه البشير الحبيب

محالا يمل هوى المقصد
سيهفو إليه ببطش الرجاء
ورغم ضنى فكره المسهد
وإن شق نبع الهناء عليه
سيملي على الحجر الأصلد
غدا حين ننهي الصراع الطويل
يزاح الستار عن المشهد
ثم اصغ مرة أخرى إلى صرخة العاطفة المشبوبة وترانيمها
الساحرة، فيخيل إليك أنها مناجاة الروح مع الروح، حيث تتراءى لك
من خلالها ابتسامة القلب للقلب، وكلاهما مفتتن ولهان.
ثم استمتع بألحانها الموسيقية العذبة التي تكاد تأسر المشاعر، وتقيد
القلوب بأغلال الحب والهيام، فانظر أليس كذلك؟:
عذراء يا نفح الرواء
لانت للقلب الحزين
مثل الظلال الوارفات
تبيد نار المصحرين
أتري نسيت هناك في
وادي الهوى وادي الهيام
عشنا زمانا بين
أحضان المحبة والوئام
عند الجداول، مرتمانا،

تحت أروقة الظلام

نشوى ونشواناً يضمهما عناق أو حنين

هذا الفضاء الرحب يمرح بالنجوم الباسمات
يغمرننا بالضوء يكشف دربنا للأمنيات
حتى سواقي الغاب تملأ مسمعينا أغنيات
فنجوب في دنيا الهناء وراء حلم العاشقين

عذراء، يا بنت السني، ما للدياجي الأثمة
تلقي على قلبي السهاد وأنت نشوى حالمة
أنسيت روعي في مسارب من هوانا هائمة
وفقاً ألا من طلعة تهدي السراة التائهين

أدوس أشواك الطريق ولا نهاية للطريق؟
ويطول بي المسرى ونشوى أنت في حلم عميق؟
إن دست شوكة هب يثار تحت أقدامي رفيق
وحدي هناك ولست أدري بت انتظر المنون

عذراء ما للنجم في ألم يطل على الظلام
وضياؤه المكدود أغفى بين أكفان الغمام
إلا ارتعاشات تفيق على سراي وكم تنام

تغفون.. فتجهر. مثلك "الساري" المعنى للشجون

عذراء ما للبدن.. يغمره الحياة أم الوجوم
يبدو ويحجبه السحاب يئن من وجع الكلوم
وينام (نرسييس) الغدير على الغدير بلا هموم
إلا فؤادي لم ينم، يهفو إلى الأخت الحنون

ويقول في قصيدته:

[الليل والنهار]

الليل يخنق غمغمات العابرين على الطريق
ويشيع النور المعنى.. للمقابر في الغروب
إلا بقايا شاحبات في السماء
لا.. لن يشيعها الظلام إلى الفناء
بل سوف تبقى.. سوف تسخو بالبريق
تلقى الضياء على الطريق
وليخنق الأنفاس هذا الليل هزء احتقاراً
أما الممالك الأسارى.. لن يلذ لهم سكون
ما دامت الأنات يوقظها رنين
رنات هذا الغل يعبث بالممالك الأسارى
يقسو عليهم بالعذاب أسى وعارا
فترن أغلال لتلقم أوجه الأسياد نارا
صوتاً وناراً

في ألعانة الءمراء؁ عربءة الكؤوس بلا انتهاء
 تهازأ بـصمءك ييا ظلام
 والقهقهاء من السكارى لن يكفنها منام
 ماءام ءلف الباب باب الءان أبناء الشقاء
 يءسابقون إلى البكاء
 فلعل أؤوسهم - إذا أظمأء - ءروئها الدموع
 أوأه ءروئها دموع الأشقاء
 فءظل عربءة الكؤوس بلا انتهاء
 ءروي وءروي بالدموع فلا يمر بهم هءوع
 إلا إذا ءفءء عيئون الأشقاء
 - من ءمعها المنساب ءمراً عند ميلاد الضياء
 في الصبء ءيء ءموت عربءة السكارى بالبكاء

ءقاً لءء ءانت هءه القءعة في ءاية الرقة والءمال الفنى بءمئلها
 ءانباً من الءالة الءءماعية الءى اسءعرض الشاعر فيه الواقع المءزرى
 لأصءاب اللهو والفسق والاسءءءار والءءارة والمءون وعشاق
 (الءمرة) المءرمة الءى ءؤءر أسوأ ءأءئر على العقل والصءة وءسلب
 ءيرة الإنسان وءءرءه من ءءير من المءايا الإنسانية وقيمءها؁ ولءلك
 ءرمءه الشرايع السماوية المقدسة في نصوصها الءريمة وءاصة
 الءين الإسلامى الءنيفة ءما ءاء في القرآن الءريم بقوله

تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجِسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ.....﴾

وإنَّ تعاطي الخمر والإدمان على شربها داء وبيل وفي غاية الخطورة لأنه يسبب العداوة والبغضاء وانعدام الثقة فيما بين الأفراد، والمجتمع بما يعمل على مسخ الصفات الإنسانية الكريمة في نفوس شاربها وذلك قال تعالى: -

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾.

أرأيت كيف نطقت هذه الآية الكريمة بالحكمة الإلهية في مساوئ الخمر وأثرها السيئ في حياة المجتمع، وكذلك الميسر وأمثاله من المنكرات التي تبعد الإنسان عن طاعة الله، ولكن أين الأذن الصاغية؟ وكثيراً ما شوهد ويشاهد السكارى في الشوارع وغيرها من الطرق العامة وهم يترنحون عندما تلعب الخمر برؤوسهم ومضطربين كما تضرب الأغصان عند هبوب الرياح وحين اشتدادها، وعربدات النشوة وصيحات (اللاشعور) تنطلق من حناجرهم وتثير سخط الناس و انزعاجهم واستنكارهم وهم غافلون عن أنفسهم وواقعهم المخجل. وما أكثر ما وقعت وتقع حوادث مؤسفة من الجرائم كالقتل والاعتداء على الأموال والأعراض على أيدي السكارى الثملين الذين يفقدون أثناء السكر أهم ميزة في الإنسان وهي: - الوعي والإحساس -

وهم عند ذاك أشبه ما يكونوا بالحيوان السائب الذي ليس له من العقل والشعور أي نصيب!!.

هذا فضلا عما يقترفون على أنفسهم وعلى عوائلهم بالذات من جنایات خلقية وصحية بما في ذلك التفريط والتبذير وإيقاع عوائلهم في ضنك من العيش في سبيل هذا المشروب الروحي المحرم، ولا نغالي إذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك ووصفناهم بأنهم "فوضيون" يهدمون بناء الأسرة ويطوحون بالصروح العائلية وكيانها بأيديهم الأثيمة من حيث يشعرون أولا يشعرون، هكذا تفعل الخمرة بشاربها وتسلب الغيرة من رأسه.

إنّ الكلام عن الخمر وما ينجم عنه من نتائج سيئة ومفاسد اجتماعية يكاد لا ينتهي عند حد، ولذلك حرّمه الإسلام وهو الدين السماوي الذي لا يأمر بشيء إلا وفيه النفع والخير العميم، ولا ينهي عن شيء إلا وفيه الضرر والفساد العام، ذلك لان الله الذي خلق الخلق بقدرته هو أعلم منهم بشؤونهم وما يضرهم وما ينفعهم في الحياة، ثم إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة "أهل البيت الأطهار عليهم السلام" - كلها إشعاع من الحكمة السماوية التي جاءت لإنارة العقل البشري بالفضيلة والكمال وتزكية النفس، وتهذيبها بالأخلاق الكريمة، كما تهدف إلى تطهير القلب بالعقيدة والإيمان والمثل العليا.

وهل يعلم شاربو الخمر أو يؤمنون بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث الشريف: - "كل مسكر خمر وكل خمر حرام" وكقوله أيضاً

الحركة الدوائية المعاصرة في كربلاء ج ١ _____ ١٣٣
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - "شارب الخمر كعابد وثن" أو قوله كذلك "لا يزال المرء في
صحة من عقله ودينه ما لم يشرب مسكراً" و- "لعن الله الخمر
وشاربها وساقيتها وبائعها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه".
وأما موقف الطب من "الخمر" فهو كذلك صريح واليك هذه
الأقوال المقتضية:-

"إنَّ الخمر تَسبب تَهيجاً في المعدة وتؤثر في النبض وتزيد في
دقات القلب وترفع الضغط وتعرض شاربها للخطر وللموت البطيء
إذ يصاب بالشلل وإنها تتلف الكبد وتسبب ضموراً في خلاياها
ونسيجها وإذا مرض الكبد تعرض الإنسان لأمراض كثيرة وبيلة"^(١).
"إنَّ تأثير الخمر يقع على المراكز العصبية ثم يحدث الخمول في
هذه الأعصاب وينتهي بتخديرها وتعطيل عملها ومن ثم تسبب
الموت"^(٢).

"الكحول مادة تسمم خلايا الجسم الحية وهو يؤثر مباشرة في
الجهاز العصبي والمخ ويفسد ملكات الإنسان العليا كالحكم السديد
والإدراك وال ضبط"^(٣).

^١- الدكتور حامد البدرى التصري.

^٢- الدكتور محمد وصفي.

^٣- المستر ويلكوكس - وقد نقلنا هذه الأقوال من العدد ٣٦ من سلسلة منابع الثقافة
الإسلامية في كربلاء.

وأعتقد من واجب الحكومات الإسلامية وهي المسئولة شرعاً وعرفاً وإنسانياً أن تكافح هذا الداء الوبيل الذي ينخر في جسم المجتمع، وأن تمنع بصرامة صانعي الخمر وشاربيه ما دام في يدها زمام الأمر وتملك القوة فان مرتكبي الجرائم في كل زمان ومكان لا يخافون الله بمقدار ما يخافون القوة والسلطة الزمنية الحاكمة "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" الحديث.

ويقول الأستاذ الكبير العلامة أحمد أمين وهو الكاتب الإسلامي العراقي الشهير: "إن المثابرة على استعمال المسكرات تؤدي إلى إنكار المقدسات فيترك شيئاً فشيئاً عبادة الخالق جلّ جلاله ويؤول أمره إلى عبادة المادة وحب الدنيا فيكون كمن عبد الأوثان أي يرجع إلى جاهلية جهلاء"^(١).

ويقول أيضاً وفي قوله عبرة للمسلمين: - "إن كنيسة روما كانت مضطربة أيّما اضطراب من جراء دخول المسلمين الأندلس وانتشار الإسلام في تلك الأصقاع فكانت تعقد الجلسات والاجتماعات لمعالجة هذا الأمر حتى استقر رأيهم على أن يرسلوا كميات وافرة من الخمر بصورة سرية إلى الأندلس وأن يؤسسوا تحت الأرض معامل سرية لاستحصال الخمر فيقدموا للمسلمين ولا سيما رجال الحكم - الخمر - بثمان بخس أو متبرعين، فانتشرت الخمر بين المسلمين

^١- التكامل في الإسلام - ج/٢ ص ١٧ للأستاذ الكبير العلامة احمد أمين.

ولا سيما أصحاب النفوذ والثراء وانتشر نتيجة لذلك - الترف والفساد بأنواعه فضعفت العقيدة وذهبت الغيرة والتضحية في صيانة الدين وصيانة وطن المسلمين وكانت نتيجة ذلك أن ارتحل الدين الإسلامي من اسبانيا وأصبح في خبر كان^(١).

هذا ما حدا بنا الواجب الديني والإنساني إلى التحدث عنه في موضوع الخمرة وما فيها من آفات خلقية وصحية ومادية، ولنعد الآن إلى بحثنا السابق لنتلقى مع شاعرنا الإنساني السيد صالح آل طعمة في جانب جديد من جوانب شعره.

لمن العيد؟

وترى في القطعة الآتية كيف يصور شاعرنا المبدع (العيد) إذ يطل على المجتمع من أفق الحياة، تحفة إشراقة النور، ويعزف لطلعته الجمال، وتتفتح له أسارير الكون ببسماته التي ينطوي فيها ألف سر وسر، وهو يجر وراءه موكب البهجة والأفراح والمسرات.

أمّا الناس فهم لا شك أصناف مختلفة تتباين بالفروق الطبقيه التي تأبى الزوال لأنها من مقتضيات الحياة الاجتماعية وخاضعة لحكم الله ومشيبته سبحانه.

ففهيم الأغنياء وأرباب الثراء العريض الفاحش، وأصحاب البروج العاجية، وفيهم الفقراء والضعفاء والبؤساء والمساكين، والمنقطعون

^١ المصدر نفسه ص ٢٠.

عن رحمة البشر ومروءته إلا ما يتصل من شؤونهم برحمة الله وعدل قضائه.. إذن لمن العيد يا ترى..؟

أما أولئك فكل أيامهم أعياد زاهرة لأنهم يعيشون حياتهم في أحضان السعادة والهناء والرخاء ويرتعون في بحبوحة الترف والنعيم والتخمة الخانقة المقيتة وفي ظل الأثرة الطاغية!!

وأما هؤلاء.. فليست تربطهم بالعيد أية علاقة مادية تكون وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وأفراحهم سوى علاقة روحية لا تخرج عن نطاقها الفكري وحسب، ذلك لأنهم معدمون، وجياع بائسون، يكتنفهم الشقاء والحرمان في كل ألوان العيش ومظاهره، سيما الأيتام من هذه الطبقات الدانية المحرومون من ملذات الحياة لفقدهم حنان الأمومة أو شفقة الأبوة أو كليهما معا وتلك ظاهرة اجتماعية يؤيدها الواقع في كل زمان ومكان.

والحياة بالنسبة للأطفال ذات ركنين عظيمين يشع منهما نور الأملهما - "الأب والأم".

فإذا فقد أحدهما انهار به ركن واحد من حياتهم وإذا فقد الركنان (كما يشاء ناموس القدر المحتوم أحيانا) فقد انهارت بذلك حياتهم كلها، واعتراهم حينذاك اليأس والقنوط واحتضنهم الذل والهوان والحرمان منذ الصغر وفي إبان النشأة وبدئها.

والأمثلة من هذا الواقع المحسوس كثيرة لا تحتاج إلى دليل أو برهان، وإذا أطل "العيد" كانت معالمه منظمسة فيهم، وبهجة يومه

السعيد عديمة الأثر لديهم، وأحلامهم إذ ذاك متلاشية لا وجود لها في حسابان الحياة.

والأطفال كما هو الواقع والحقيقة يبيتون ليلتهم على موعد صادق مع الفجر لتكتحل أعينهم بنور إشراقته، وتحذوهم الأمنيات على أن يقبلوا أول ما يقبلون في - صبيحة العيد - على آبائهم وأمهاتهم ليعبروا لهم عن مشاعرهم مرتدين بهذه المناسبة أفخر ما أعد لهم من ملابس في سبيل التجميل والإظهار بمظهر الغبطة والفرح والانشراح فيما يتناسب وأهمية يوم - العيد - ثم يلتقون بعد ذلك بالأقارب.

والآباء والأمهات يستقبلون فلذات أكبادهم ويفتحون إليهم قلوبهم، ويضمونهم إلى صدورهم، ويفيضون عليهم بالعاطفة والحنان فما يضعون في أيديهم من - نقود - على اختلاف فئاتها كما هي العادة المتبعة رمزاً للفرحة بيوم العيد السعيد سواء أكان عيد الفطر أو الأضحى أو الغدير.

ترى.. أفهل يلتقي اليتامى الفاقدون أولياءهم على هذا الصعيد ليكونوا في مستوى الأطفال الذين يرفلون تحت ظلال الأبوة والأمومة..؟ من الطبيعي كلا..

والحياة بالنسبة لليتامى وغيرهم من الطبقات الفقيرة الأخرى التي تستحق وإياهم الرأفة والرحمة أشبه بسجن ضيق، أو غربة موحشة ليس لهم فيها أنيس، ولا يرون النور فيها إلا ظلاماً.
فلمن العيد يا ترى.. لأولئك المترفين أم هؤلاء..؟.

وهذا ما يصفه شاعرنا الوجداني في واقعية تجسدها شاعريته
البارعة، فتتبع بنظراتك هذا المشهد المحزن، وتمثل فيه هذه الحقائق
المؤلمة:-

يا عيد يسقيك الندى عرق الجبين المستظام
فتطل ريان الملامح بالغناء على الأنام
والرافهون لهم رواك على عناق والتئام
أما بنو الآلام.. كم يتحرقون من الأوام

يا عيد.. تهرع في سماك إلى مغاني الناعمين
وتحوم في جنباتها الغناء موفور الجبين
لتدر أفراح الهناء على القساة المجرمين
إلا الذي صهر الجبين عليك تمنحه الأنين

أرأيتها يا عيد، تلك الأم، تحتضن اليتيم
نشوان، تسليه الرؤى فيظل يحلم بالنعيم
والأم يلهيها الشجي، والنوح، في الليل البهيم
فتكدر الحلم الجميل - لتستفيق على جحيم

لقد كان تصويرنا للواقع الاجتماعي الذي حفلت به هذه القطعة
الشعرية العاطفية الرقيقة مطابقاً لحقائقه إن لم يعوزه بعض الشيء
وإتماماً لذلك نستعرض خطاب الشاعر للعيد نفسه كما مضى وكان

(العيد) شخص مائل أمامه فيوجه إليه خطابه بلهجة المعاتب قائلاً له:
- انك يا عيد إذ تطل على الأنام بملامحك الجميلة فإنما أنت
للرافهين عيد مبارك ويوم سعيد، لا لأبناء الآلام الذين يتحرقون شقاءً
ولا يجدون للرفاه سبيلاً، وأنت يا عيد كذلك تلتقي في مغاني
الناعمين والقساة الهائنين أصحاب الترف والبذخ وحسب لتسقيهم من
روائك كؤوس الهناء وتدر عليهم خيراته.

أفلا نظرت يا عيد بعين العطف وأنت في كبريائك وخيلائك
وبهائك إلى الأم المسكينة الحاضنة طفلها اليتيم وهي تتلظى بنار
الحسرة والألم؟

وهلا صافحت طفلها الناشئ في أحضان البؤس أو مسحت بيدك
على رأسه ليشعر بشيء من الغبطة وليدب في عروقه ديب الفرح
والسرور وهو يحلم بالنعيم الذي تصبو إليه نفسه ولكن هيهات فلا
تراه عينه، كما تفعل ذلك مع أطفال الأغنياء وأبناء الثراء والنعيم؟
إذن.. ما أقساك أيها العيد!!

أفما لفتت نظرك أحاسيس الإنسانية لتغمر بطيب نفحاتك تلك الأم
التي باتت وهي لا تعرف من الحياة سوى الشجون والنياح التي
تطلقها مع الزفرات من أعماق قلبها المتفطر من الضيم والنكد
والتعاسة وكأنه من الأسى قطعة سواء كسواد الليل الحالك.. إذن..
ما أشقاك أيها العيد!! .

فاستمع إلى شاعرنا في هذه القطعة الرائعة فهي لعمرى تفصح عن أرق المشاعر الإنسانية التي يخاطب بها - الأم - و- العيد) أيضاً بقوله هذا:

يا أم مالك تقلقين مباهج الناس النيام
بالآهة النكراء بالدمع الذميم ولا ابتسام
في ثغرك الواهي يلوح يشارك العيد الأنام
ما ضر لو كنا ضحايا الصمت لا نذكي الضرام

يا عيد لم تبعث ليهنأ فيك أرباب الهناء
فلكم تطوف عليهم الأيام سكرى بالغناء
وتمر أنت بهم دلالة تطمئن إلى اختفاء
لكن تفيق بلا انتظار عند ضحك الازدراء

وآن لنا بعد ذلك أن نغادر ديوان «ظلال الغيوم» وننتقل من أدب الشعر إلى أدب النثر لنتقي مع دكتورنا الجليل «أبي طيبة» في مقال قيم دبجه يراعه تحت عنوان: "الإنسانية في الأدب العربي" يزهو بجمال الأسلوب وروعة الديباجة، والبلاغة ولتقف بإعجاب أمام هديره الفكري الزاخر فهذه مقتطفات من زهوره الخلافة^(١).

^١ انظر: مجلة (القلم الجديد) الأردنية. العدد الرابع السنة الأولى - كانون الأول -

(وأما الأدب القومي فلست أنكره داعياً إلى تحرير الأمة وتوجيهها إلى ما فيه الخير والهناءة والحرية وأن يخلق جيلاً جديداً له من الإيمان بحق الحياة الحرة السعيدة ما يجعله قادراً على الدفاع عن أعز حق في حياته.... أنا لا أنكر هذا الأدب القومي بل اعترف بأننا بأمس الحاجة إليه في هذه المرحلة الخطيرة التي يمر بها الوطن العربي الأكبر من مشرقه إلى مغربه، نعم أنا لا أنكر هذا الأدب لأنني أؤمن بأنه أدب إنساني يريد أن يحرر أمة من قيود، وينقذ شعوباً بريئة من شقاء وعذاب، ولكنني أنكره أن يكون أدباً يدعو إلى التناحر والكراهية وإثارة ما يشقى به الإنسان.

”نحن بحاجة إلى أدب إنساني يبتغي سلامة العالم وخيره وسعادته ويدعو إلى المحبة المتبادلة بين شعوبه والألفة التي تربط الشعوب ربطاً قوياً.

وليس أخرى من الشرق مكان يشرق فيه الأدب الإنساني - الديني - الذي يحبو على البشرية بأديانها المتباينة وأجناسها المختلفة فيذيع النور المستمد من تعاليمه السابقة:، يعلم أبناء الأرض المحبة للحياة، والمحبة للإنسانية ويهيئ لها طريق الخلاص من عناء طويل وصراع دام مع قوى الظلم والظلام.

بل هناك حركات دينية أخرى قديمة من عناصر الإنسانية الشيء الكثير، ثم بعد ذلك هذه الديانات السماوية التي تطل على العالم كالمسيحية بما فيها من دعوة إلى المحبة والسلام ولعلنا لا نخرج عن

الموضوع فנסرع إذن إلى - الإسلام - ونلقي نظرة مجملة على تعاليمه الإنسانية لنعرف مدى تأثير الأدب العربي بها. فالإسلام كما لا شك فيه حاول أن يجتث جذور العصبية القبلية من نفوس العرب ويقتلع منها التعصب الجنسي ودعا إلى المساواة والعدل في كثير من مواضع القرآن، وحث على السلم ونهى عن الظلم والاعتداء في مواضع كثيرة أيضاً، ولكن مع ذلك ورغم كل المثل الإنسانية السامية التي حفل بها الإسلام ومجدها أي تمجيد لم تجد لها منافذ إلى قلوب الأدباء العرب القدماء .

نعم لم تجد منفذاً إلى قلوبهم الصداحة لتستقر فيها، فبقينا نسمع منهم ما يناقضها مناقضة غريبة، وحفل شعرهم بالهجاء والتفاخر بالقبيلة تفاخراً لا يرتضيه الإسلام بل يستنكره استنكاراً غير قليل، وظل شعرهم يمجّد الثأر والقوة والحرب كأن لم يكن الإسلام قد دعاهم إلى نقيض ما يمجّدون، ولم يكذبوا الإسلام حتى وجدنا النزاع من جديد بين (بني هاشم والأمويين) وبين القبائل القحطانية والعدنانية وسرعان ما امتد في الأقطار الإسلامية المختلفة ففي خراسان بين أزد وتميم، وفي الشام بين كلب وقيس، ومثل ذلك في العراق.

ومهما يكن من أمر فنحن لا يهمنا كثيراً أن نطيل في معرفة أسباب هذا الفشل وكل ما يهمنا من هذا أن نفهم ما في الإسلام من عناصر إنسانية دعا إليها مراراً وحث عليها في غير موضع من قرآنه وسنته

١٤٣ _____ **الركعة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١**
وأن نعرف أن هذه العناصر الإنسانية لم تجد مجالاً واسعاً في الشعر العربي مهما كان سبب ذلك ولكن ألم يكن رغم كل هذا في أدبنا العربي قبل الإسلام وبعده من عناصر إنسانية ما يدعوننا إلى التنويه به والتحدث عنه؟.

إنّ مقالات الدكتور السيد صالح جواد في الأدب تكاد لا تحصى وقد حفلت بها أمّهات المجالات العربية وهي تستهوي القراء وتعالج في جوهرها قضايا الأدب المعاصر في البلاد العربية ويؤسفنا إننا أشرفنا على نهاية هذه الدراسة دون أن نتناول بعض النصوص من مقالاته الرائعة في الأدب وخاصة المحاضرات القيمة التي كان يلقيها على خريجي "الجامعات الأمريكية" في العراق قبل ثورة ١٤ تموز^(١).

هكذا كتبوا عن الدكتور السيد صالح:

أمامنا اليوم ديوان (الربيع المحتضر) للشاعر العراقي صالح جواد آل طعمة - وإنه ليسترعي انتباهنا من بدايته بظاهرتين أولاهما: - ثقة الشاعر الشاب برسالته فناً وموضوعاً وهذه تتجلى في انطلاقه ومزجه الأوزان ومعالجته موضوعات فكرية ووجدانية رفيعة، وثانيتها: - طاقته الشعرية المتأرجحة تأرجحاً بيناً، فهو يعلو حينما يتناول موضوعات الحرية والكرامة البشرية مجارياً ومنافساً الشعراء الأحرار من بني قومه وغيرهم، وهو يهبط حينما يضطر إلى شعر المناسبات

^١ انظر مجلة: المثقف "١٩٥٨" ومجلة الفكر ١٩٥٧ بغداد .

المألوف، وحيث لا نسمع منه إلا نظماً هو أقرب الأشياء إلى الخطب السياسية ولكنه في هذا وذاك على السواء متأثر بالحركة التحررية العصرية في التعبير وعلى الأخص بطابعها العراقي الجديد الجميل^(١). وبين يدي نقد أدبي من المستوى الرفيع لديوان (ظلال الغيوم في سلسلة من المقالات أورد منها ما يلي:-

* "والآن بعد هذه الجولات آن لنا أن نشير إلى (القطع الأرجوانية) التي تميز شخصية الشاعر السيد صالح جواد آل طعمة من غيره وتخبّرنا عن مستقبله اللامع في عالم الشعر العراقي وها آنذا أقدم الدليل على استقلال شاعريته"^(٢).

* "بيت - آل طعمة - بيت علم وأدب في كربلاء، ولقد قلت في كتابي (خليفة الخيام) إن الأدب وراثي قلما نجد في أسرة اشتهرت بالأدب واحداً لم تدركه هذه الصفة. والأستاذ صالح جواد نشأ في مثل هذا البيت ولا غرو أن يكون كأسرته أديباً وشاعراً..^(٣)

ومن الكتاب البارعين الذين شاءوا وشاء لهم الأدب - أو أدب التأليف - بعبارة أخرى أن يدرسوا الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء مؤخراً دراسة موضوعية ويتناولوا قضاياها بعين الإنصاف كما تفرض ذلك رسالة الأدب عليهم هو الأستاذ الأديب موسى الكرباسي الذي

^١ قضايا الشعر المعاصر - الدكتور احمد زكي أبو شادي ص ١٩٣ .

^٢ فالح العسكري - مجلة صوت العراق ص ٢٢ لسنة ١٩٥١.

^٣ غالب الناهي - دراسات أدبية في أدباء وشعراء كربلاء ج ٢ ص: ٤٩.

استطاع أن يفرد مجلداً ضخماً في بحثه الموفق عن الأدب الكربلائي والأدباء الكربلائين منذ ثلاثة قرون حتى الوقت الحاضر، فهو يقول عن الدكتور السيد صالح جواد ما نصه:-

* (ولا غرابة إذا لمسنا منه سمو الخيال في الكثير من إنتاجه الأدبي وتحسناً منه عروجه إلى سماء التفكير يلحق في أجوائها، وليسموا في آفاقها، لأنه يمثل المدرسة الإبداعية - الرومانتيكية^(١) وأخيراً.. هذا هو أدينا الكربلائي اللامع، هذا هو الدكتور السيد صالح جواد آل طعمة وهو علم من أعلام الفكر الإنساني، وقطب من أقطاب الأدب المعاصر ليس في كربلاء فحسب، بل في عالمنا العربي كله، وقد أشرقت شمس عبقريته في أجواء شخصيته الكبيرة التي يشار إليها بالبنان فأنارت سبل حياته ونال بها القدر المعلى في حلقات السبق وارتقى بها سلالم الرفعة والرقى وحلق في آفاقها وهو اليوم من طلائع المفكرين الذين يعتز به وبهم تاريخ الأدب العربي الحديث.

وماذا بعد ذلك كله وهل من مزيد .. وهل يحتاج الضوء إلى دليل أو برهان يثبت وجوده للعيان؟

^١- البيوتات الأدبية في كربلاء - [للأستاذ موسى الكرباسي] مدير مدرسة الثانوية المسائية للبنين في كربلاء.

ضياء الدين أبو الحب



من البديهي إن النبوغ في أي نوع من العلوم الحياتية، والفنون الفكرية (موهبة) تتجلى معالمها في مجالات العمل الدائب والنشاط الجدي، وتكسب صاحبها رصيلاً قيماً من

المعنوية فتسمو بها شخصيته في بيئته التي يعيش فيها، ثم يحرز بسببها شهرة واسعة تتعدى حدود هذه البيئة إلى الأوساط الأخرى. فالموهبة (أيا كان نوعها) إنما هي دليل النبوغ، وسببه الطبيعي، ورمز سمو إنسانه في مضامير الحياة.

ولنضرب المثل في ذلك بأدينا الكربلائي الكبير الأستاذ ضياء الدين [أبي الحب] الذي يمتاز عن غيره من أدباء كربلاء المعاصرين بالشخصية المزدوجة، التي لكل منها صفاتها الخاصة فهو أديب بارع وشاعر مبدع، وعالم نفساني شهير غني عن التعريف ولعله احتل اليوم الصدارة في العراق بين المعنيين بعلم النفس ودراساته النفسية، بل مؤلفاته القيمة في موضوع علم النفس تشهد بقابليته الكبيرة وتفوقه المضطرد في هذا الموضوع المهم الذي يستمد حيويته وجذوره من حياة الإنسان ذاته في الأدوار المختلفة التي يمر بها مبتدئاً من دور الجنين إلى الولادة فالرضاعة والفظام ثم يتدرج في مسيرته أيضاً من دور الطفولة وهي النشأة الأولى حتى دور الشباب والمراهقة وغير

ذلك مما يتصل بحياة الإنسان وما فيها من تطورات ويراقب حالاته النفسية ونشاطاته الروحية والجسمية وقابلياته الفكرية ودوافعه الذاتية لحركاته وتصرفاته، ويعمل جهد الإمكان على اكتشاف طاقاته ومواهبه وملكاته الكامنة لتنميتها وصقلها بالطريقة العلمية كما يعنى بالجوانب التربوية الأساسية لتنظيم سلوكه تنظيمًا يجعله نموذجاً إنسانياً رائعاً في الحياة.

فالأستاذ ضياء الدين - أبو الحب - استطاع إلى جانب تفوقه في مجالات الشعر والأدب الحديث المعاصر أن ينال القدر المعلى في موضوع (علم النفس) واختصاصه في تدريسه بنجاح كبير.

بيت "أبي الحب" في كربلاء:

وقبل أن نتعرض لمولد الأستاذ ضياء الدين ونشأته نقدم للقارئ الكريم نبذة عن أسرة [آل أبي الحب] المعروفة بأصالتها العربية في كربلاء.

ففي أواخر القرن الثاني عشر الهجري نزح الشقيقان الشيخان - حسن وحسين - من الحويزة إلى كربلاء بغية المجاورة لمقر ربحانة الرسول الأعظم (ﷺ) الإمام الحسين الشهيد - عليه السلام - وهما يرجعان إلى قبيلة - بني كعب - بصلة الحسب والنسب، ولكل منهما أولاد ذكور وإناث وأحفاد كثيرون تكونت منهم هذه العائلة المحترمة التي

ساهمت في بناء المجد العلمي والأدبي في هذا البلد العربي المقدس.

أمّا الشيخ - أو - المله حسن فقد خلف (محمداً) ومحمد هو والد الشيخ محسن (أبو الحب) الكبير الذي كان خطيب زمانه في كربلاء ومن ذوي العبقریات الزاخرة بالشعر العربي الأصيل وهو صاحب البيت المشهور على السنة الخطباء والوعاظ والمحدثين وعامة الناس الذي يعبر فيه عن لسان حال الحسين (ع) ساعة حاصرته جيوش الكفر والغدر والخيانة في اليوم العاشر من محرم الحرام قائلًا:-

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني وهو بيت من قصيدة طويلة قالها في رثاء شهيد كربلاء ذكر ترجمته بعض المؤرخين الأكابر في موسوعاتهم فقال الإمام الراحل السيد محسن الأمين العاملي:- (الشيخ محسن بن الشيخ محمد المعروف بـ"أبي الحب الحويزي الكعبي" الحائري توفي ليلة الاثنين ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٥هـ- احد الأدباء الوعاظ الذاكرين للشهيد في كربلاء المشهورين وله قراءات مشهورة في ذكر مصيبة الحسين (ع) - إلى قوله - ويألف أهل العلم والأدب حتى تعلم مكتسباً منهم^(١).

وجاء في كتاب (معارف الرجال) ما يلي:- "الشيخ محسن بن محمد (أبو الحب) الحائري ولد سنة ١٢٤٤هـ وكان فاضلاً أديباً

^١- أعيان الشيعة. المجلد - ٤٣ - صم ٢٠٢-٢٠٣.

بحاثة ثقة جليلا، ومن عيون الحفاظ المشهورين والخطباء البارعين، له القوة الواسعة في الرثاء والوعظ والسير والتاريخ وكان راثياً لآل الرسول الأعظم "ﷺ" وشاعراً مجيداً يعد بعض نظمه من الوزن العالي ومجموع شعره من الطبقة الوسطى وجمعوا شعره فصار ديواناً، حضرت مجلس قراءته فلم أر أفصح منه لساناً ولا أبلغ منه أدباً، تتلمذ في الفقه على الشيخ عبد الحسين الطهراني في كربلاء، وفي الأدب على الحاج محمد علي كمونة الحائري وغيره، وتخرج عليه جماعة منهم محمد الفيخراني والشيخ عباس بن حسين النجم النجفي.... الخ" (١).

وورد ذكره في أرجوزة العلامة السماوي كما يلي:-

وكالأديب المحسن بن الحسن

ابن أبي الحب الخطيب اللسن

وكم له من سمط در في الرثا

إذا وعاه سائق الظعن جثا^(٢)

وكان الشيخ محسن معاصراً للشيخ جابر الكاظمي وكلاهما من الشعراء الأفاضل، وقد عثرت على بيتين من غرر المدح للشيخ جابر

^١ - معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء - جم ٢ - ص ١٨١ تأليف حجة الإسلام والمسلمين المرحوم الشيخ محمد حسن حرز الدين. تحقيق وتعليق ونشر ولده الشيخ محمد حسين حرز الدين.

^٢ - مجالى اللطف بأرض الطف. للعلامة الراحل الشيخ محمد السماوي ص ٧٨.

يمدح بهما صديقه ونده في العبقرية الفكرية الشيخ محسن (أبو الحب) وهما: -

لو أن كل ثنائي للأنام إلى

ذي الفضل (محسن) ما وفيته مدحا

ذاك الذي في مرثي (آل حيدرة)

ومدحهم هو بالفردوس قد سمحا^(١)

وقد برز من بعده نجله العلامة الجليل الشيخ محمد حسن - أبو الحب - وعاش عهداً سعيداً من تاريخ كربلاء الزاهر يومئذ بالحركة العلمية والأدبية، ثم جاء من بعده دور نجله البار خطيب كربلاء وشاعرها الألمعي الخالد الشيخ محسن الصغير والد الأستاذ ضياء الدين (أبي الحب).

أمّا لقب - أبو الحب - الذي اشتهر به هذا البيت فلم نحصل على سببه ومصدره بالرغم من الجهود التي بذلناها في التحقيق عنه، وتساؤلاتنا الكثيرة حوله، سواء من بعض أفراد هذا البيت نفسه أو من بعض مشايخنا الأجلاء الذين لهم المعرفة التامة بتاريخ البيوت والأسر الكربلائية وأنسابها، ولذلك لن نبدأ من التعليل الذي يجعلنا في يقين قاطع على إن بعض أسلاف هذا البيت ربما كان - قبل النزوح إلى كربلاء - من تجار الحبوب أو مختصاً ببيع نوع معين منها

^١ ديوان الشيخ جابر الكاظمي. ص ١٦١ تحقيق العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين.

١٥١ _____ **الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١**
مما أدى ذلك إلى اكتسابه هذا اللقب الذي بقي عنواناً ثابتاً له ولذريته
حتى اليوم.

مولده:

ولد الأستاذ ضياء الدين أبو الحب في كربلاء في يوم (١٨) ذي
(١٣٣٢هـ) تشرين الثاني (١٩١٣) وهو يوم (عيد الغدير) الذي يعتبر
من أعظم الأعياد الإسلامية المقدسة في تاريخ الإسلام والمسلمين.
ونشأ في كنف والديه نشأة توفرت فيها مقومات التربية الدينية
والأخلاقية والثقافية على وجهها الأكمل، ثم كفله جده المرحوم
الشيخ محمد حسن أبو الحب فترعرع في ظل رعايته وكان يحرص
على تربيته وتقويمه بالثقافة الإسلامية واللغة العربية - لغة الآباء
والأجداد - وقواعدها وآدابها وتعليمه التاريخ الإسلامي العربي وكان
يعتمد في سلوكه التربوي لحفيده هذا على مكتبته الخاصة الكبيرة
التي كانت تضم فنون المؤلفات ومختلف المصادر وشتى الآثار
المطبوعة والمخطوطة النفيسة النادرة التي أهديت جميعها مؤخراً إلى
(مكتبة سيد الشهداء الحسين الأهلية في كربلاء).

دراساته:

بعد تشكيل الحكومة الوطنية عام (١٩٢١) أدخله والده إلى
المدرسة الفيصلية الابتدائية وكانت حديثة العهد فأتمها وكان الناجح
الأول في مدينة كربلاء، ثم لدى امتحان (البكالوريا) للمرحلة

المتوسطة سنة ٢٥-٢٦ فكان كذلك الأول في مجموع درجاته في العراق، واستمر على الدراسة فاجتاز الرابع الثانوي في الثانوية المركزية المسائية كما اشترك في السنة ذاتها في امتحانات البكالوريا للخامس الإعدادي فخرج مرفوع الرأس حائزاً على درجات عالية أكسبته شهرة واسعة في الأوساط، وعين معلماً ابتدائياً في بغداد عام ١٩٣٣ وبعد ذلك التحق بدار المعلمين ببغداد وأنهى فيها أربع سنوات وتخرج بنجاح باهر.

وفي عام ١٩٣٨ اختير عضواً للبعثة الثقافية العراقية إلى بيروت وأمضى هناك ثلاث سنوات حاز فيها على (درجة الشرف) وأتم السنة الرابعة في دار المعلمين العالية لامتناع الحكومة الفرنسية المسيطرة يومئذ على شؤون لبنان من عودته إلى بيروت بسبب المظاهرات الطلابية التي قادها هناك بمناسبة ثورة مايس ١٩٤١ وحاز فيها أيضاً على درجة الشرف.

واشتغل مدرساً في مادتي التربية وعلم النفس بدار المعلمين الريفية ببغداد لمدة سنتين، وستين أخريتين مفتشاً في وزارة المعارف "التربية" ببغداد في حدود عام ١٩٥٠ ولم يكن الأستاذ ضياء الدين خلال الأعوام التي أمضاها من عمره بين طالب ومدرس ومفتش إلا شديد الطموح للحصول على المزيد من انتحال العلوم الثقافية العامة وخاصة رغبته الملحة في دراسة علم النفس وقد هيا نفسه لذلك، وقبل في البعثة العلمية لإتمام دراسته في أمريكا في هذا الموضوع،

وحصل بعد إنهائه على شهادة الماجستير فشهادة الأخصائي "النفسي - والتربوي ثم دبلوم الاختصاص المهني وقدم أطروحة ممتازة باللغة الانكليزية لهذا الغرض، وبعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية عين مدرساً لتدريس مادتي علم النفس والتربية، وقد اصدر خلال هذه المدة عدة مؤلفات منها: علم النفس التربوي جزءان، وأصول تدريس الطبيعيات وأصول تدريس العلوم، بالاشتراك مع أستاذ آخر. وفي عام ١٩٦٠ نقل مدرساً إلى (معهد المدرسين العالي) وبعدها انتسب إلى جامعة بغداد.

وفي الآونة الأخيرة أصدر كتابين هما: "الطفولة السعيدة وبعض منغصاتها" و"النقائص والنجاح" وهذا الأخير قامت بنشره مؤسسة دار المعارف بمصر ضمن سلسلة - اقرأ - .

وللأستاذ ضياء الدين أبي الحب إضافة إلى مؤلفاته العلمية المذكورة بحوث ومقالات في الأدب وعلم النفس نشرت في أمهات الصحف والمجلات العراقية والعربية وله أحاديث أسبوعية تداع من إذاعة الجمهورية العراقية ببغداد.

لقد استطاع بقابلياته الكبيرة ونشاطه الفكري واندفاعه الذاتي نحو العلم أن ينجز رسالة (الدكتوراه) في الفلسفة وموضوعها: "الصحة النفسية" وقد أوفدته جامعة بغداد لهذا الغرض.

هذا هو الأستاذ ضياء الدين «أبو الحب» قدمناه إلى القراء الأفاضل في هذه الدراسة بكامل شخصيته العلمية والأدبية اللامعة التي أنجبتها

مدينة كربلاء كما أنجبت أمثاله من مفاخر العلم والأدب والفكر ومنهم الدكتور السيد صالح جواد "آل طعمة" الذي تتمثل المدرسة الفكرية الحديثة في شخصيته البارزة.

أدبه:

لو نظرنا مرة ثانية إلى بيت "آل أبي الحب" ووقفنا إزاء الهالات الأدبية والمستويات الفكرية الرفيعة التي نبتت ونمت وارتكزت وآتت أكلها فيه، وكانت أسساً طبيعية بل مقومات فطرية لنبوغ رجال الفكر الخالدين الذين أنجبهم وهم أمثال الشيخ محسن الكبير ونجله الشيخ محمد حسن وحفيده الشيخ محسن الصغير حتى جاء دور الأستاذ ضياء الدين في النبوغ، الذي ورث ذهنية هؤلاء الأعلام الفطاحل وهم أسلافه الصلحاء.. وملكاتهم الخلاقة وهي الوراثة الأصيلة التي تبقى حية خالدة مع الأزمان والأجيال لأنها وراثة الفكر والعبقرية والتراث.... فمن الطبيعي أن يكون - ضياء الدين - قابلاً للتأثر بهذه الوراثة والتربية البيئية وممثلاً للتراث الفكري الحي الذي كان هؤلاء الجهابذة المتقدم ذكرهم مصدر إشعاعه وانبثاقه ووجوده.

وهكذا.. فإنّ للبيوتات العلمية والأدبية أثرها الطبيعي في أبنائها على مر الزمن وإن شعلت الفكر لا تخبو فيها، ولا ننسى في هذا السياق أن نذكر صديقنا الأستاذ جليل أبو الحبّ فهو الآخر أديب ناضج الفكر طالما مثل بدوره وهو الشاب النشط جانباً حيويّاً من بيته العريق هذا -

بيت العلم والأدب - بآثاره الفكرية وبحوثه العلمية الفياضة إلا أنه منذ زمن والشواغل الإدارية. لم تتح له الفرص للمساهمة في الحقل الأدبي كعهده السابق، وكذلك المحامي جواد أبو الحب الذي له مساهمات ومقالات أدبية. والإنسان أسير ظروفه التي تحيط به وتتحكم فيه كيفما تشاء^(١).

شعره:

درسنا شعر الأستاذ ضياء «أبي الحب» دراسة عميقة فتجسدت لنا فيه المزايا الفنية واللغوية التي لا يستهان لها، فهو بحق شاعر الحب والغزل.

ومن ميراث شعره الغالبة عليه أنه يتَّسم بالطابع الوجداني، والعاطفة الإنسانية الحارة، وتطغى عليه لغة الحب والهوى طغيانا أشبه بالعاصفة القوية التي تهب تارة وتهداً أخرى، ولا غرو، فإن الحُب هو الدافع الذي يحل عقدة النفس، ويدفع القلب إلى بث شجونه وآلامه. واللسان إلى الإفصاح عما يجول في أعماق أعماقه، والفكر إلى إثارة المشاعر واجتذابها، فالعاطفة تملك عليه كل جوانب الحياة اغلب الأحيان، والطبيعة الضاحكة تمدّه بإقباس من جمالها الخلاب وتزيده طرباً بمظاهرها، ومتعة بمفاتها.

^١ ما زال مديراً لمصرف الرهون في كربلاء منذ بضعة أعوام وقد عرف خلالها بنزاهته وإخلاصه في الواجب لخدمة المجتمع.

وترى قوة السبك ودقة الوصف، وسعة الخيال، وعمق المعنى ونصاعة الفكرة، وحلاوة القوافي، وموسيقى الأوزان صفات فنية تظهر جلية في أسلوبه وتراكيب شعره الرقيق، وتقرأ فيه لمحات الذكاء الحاد.

فلو طالبتني بالدليل على ذلك فاني ادعوك لإصغاء أنيه ولوعة حبه، وشغفه بغادة حسناء أصبح يهيم في وادي العشق وبيداء الغرام من اجلها، ويبعث إليها مع الاتسام ألحان وجدته الثائر المنطلقة من قلبه الذي لا يقر له قرار لأنه أحبها وتورط في حبها.

وهذه شكواه التي يصرخ ويضج منها بسبب الهجران من قصيدة تعتبر من أروع الشعر الغزلي فاسمعه يقول:-

تحملني الأيام من جورها قسرا
فأغدو على الآلام انظمها شعرا
فما ذنب من يشتاق رؤية غادة
تبدل مد الوصل من هجرها جزرا
وما يفعل الملتاع أر انتظارها
كما أن بعد الليل ينتظر الفجرا
أصعد أناتي حزينا مروعا
وما من مؤاس لي يشاظرني الضرا
أخوض عباب الحب اعزل والهوى
يؤلب حرباً تشمل البر والبحرا
تدور برأسي الذكريات فلا أرى

سوى شخصها يختال في برد الذكرى
أطمع أن أحيا وصاحبة الهوى
تساومني عن حبها البعد والهجرا
وهل ضائري إنني أموت كما قضى
محبون قبلي عانوا الحب والقهرا
وطرفي باك ساهم من نوازل
أقضت ضامي وهي تستمني شرا
قصور الأمانى لا تغري وتشمخي
إذا كان من شاد الذرى عنك مزورا
وهنا يقف الشاعر وقفة الحائر المذهول لأمرٍ قد أخذ منه مأخذه
ورماه بسهامه الهادفة فأصاب بها فؤاده، وما ذلك الأمر إلا الحب،
والحب وحده، فالحب يلهي ويذهل ويصيب ويفعل بالمحب ما شاء
أن يفعل وهو لا حول له ولا قوة سوى الرضوخ والإذعان أمام
جبروته وسلطانه.

فالشاعر في واقع أمره كأنه لا يرى في هذا الكون الرحيب إلا
شبح معشوقته وهو سابح في بحر خضم من الخيال يتمثلها نصب
عينيه ثم لا يرجو في الحياة سوى الوصال فحسب، ولذلك تراه
يخاطب قلبه المكدود الملتاع، المضطرم بجمره الحب يستعلم منه
تحقيق الآمال والأمنيات التي تصبو إليه نفسه من الشوق واللقاء بالتي
شغلت أحاسيسه ومشاعره كما يبدو في هذين البيتين المقتطفين
كاقتطاف الزهرة من بين الخمائل:—

متى تبسم الآمال يا قلب هل ترى
 سأبلغ من دنيا الهوى غاية كبرى
 متى يا ترى تأسو جراحي زورة
 ويبدو ربيع العمر بالوصل مخضراً
 ثم تعال معي لنسمع سوية هذا الصوت الشعري الرخيم -
 فشاعرنا الأستاذ (أبو الحب) مفتتن بالطبيعة ولهان بمشاهدها، وقد
 وقف ليذيع أسرار حبه بها في هذه الألحان الشجية التي تحاكي ألحان
 البلابل الغريدة فوق الأشجار وأغصانها الخضراء، فاسمعه وهو يخاطب
 طيور الجو بهذه الأنشودة الرائعة قائلاً: -
 غردي يا طيور خصب وري
 ونسيم رخو وعيش هني
 وأمان فسيحة تتراءى
 في مدى الطرف نيلهن جنى
 وأهنيء يا طيور فالعيش غض
 ومراح الصبا بها محمى
 هذه دولة النعيم تناهى
 لمقاليد الصراط السوى
 واهزجي بالنشيد ربان بالبشر
 وقد صاغ لحنها القمري
 بنشيد عذب الترايم حلو
 طاب إنشاده وطاب الروى

قد روى للصباح أنباء دنيا
من فتون بها الضحى معنى
نسجته برد الصبا في رياض
الزهر لما قد جادها الوسمى
وهلمّ بعد ذلك لنشاهد الجمال الشاعرى الذى عكسه الشاعر
بريشة شاعريته المبدعة وأضفى عليه من فنه الجميل إشراقة الروعة
الساحرة لترى ماذا يدور فى هذه اللوحة الفكرية المنظومة من حوار
بينه وبين حبيبه على بساط الحب والعتاب كما يلي:-

حبيبي سلام لا يعكره عدل
سلام محب ضيقت دونه السبل
رمانى من الآلام أصعب مادري
ويحمل من أوزار حبك ما يحلو
تصد وتدرى إن صدك جائر
وتجفو وتدرى فى هواك له قتل
ألست تراه يكتم الشوق بينما
إماراته عما ألم به تجلو
حبيبي أجرني من هواك فليس لي
سواك مجير منك أو حاكم عدل
تجنيت ترجو أن أبوء بعزلة
عن الناس لا أنسى هواك ولا أسلوا
ألا بئس ما ترجوا ألا بئس ما ترى
أغثنى عداك الله والطارق المجل

تراني قرير العين في الناس ضاحكاً
ولكن قلبي في هواك له شغل
ففي مهجتي يغلي أتون صبابتي
ومن مقلتي دمع الصبابة منهل
إذا كنت ترجو أن أعيش منعماً

فليس سوى أمر الوصال هو الحل
وقد اخترت من بين ما اخترت من المجموعة الشعرية التي تفضل
بإرسالها إليّ شاعرنا الأستاذ "أبو الحب" قصيدة "موسم الحصاد" التي
قالها بمناسبة تخرج الطلبة في الامتحانات في "دار المعلمين" ببغداد..
اخترتها لأن فيها فكرة سامية من التوجيه الفكري والإرشاد الثقافي
الذي يلقي الأضواء على طريق التقدم الذي ينشده رواد الثقافة
وطلاب العلم المجتهدون المجدون في دراساتهم لبلوغ الهدف
الأسمي ونيل القدر المعلى في الحياة، وفيها مقارنة واقعية بين
الطالب المجتهد الذي ينال العلى، والطالب الكسول الذي يبقى متأخراً
وفاشلاً في الحياة وهو لا يشعر، وأنّى له أن يشعر أو يعي قول الشاعر
الحكيم الذي يقول:-

الجهل يهدم أمة ويذلها والعلم يرفعها أجل مقام
أجل:- يقارن الشاعر بين الإنسان الخامل والإنسان العامل في
الحياة واليك قوله:-

أبشروا جاء الجنّي يا حاصدون
فاجتنوا غرس الليالي والسنين

غرسكم طاب واتى.. أكلا
طيباً فيه لكم ما تشتهون
كرمت سرحتكم فاستنبتت
فاقطفوا.. ذاك جزاء العاملين
كم كسول ضيع الوقت سدى
واشترى بالعز ذلك الأخرين
ترى، هل تكتفي بما قدمنا أم نمضي في الاسترسال لإعطائك
المزيد من نتاج شاعرنا الملهم؟ أمّا أنا فلا أبخل عليك ما دام لدى
بعض الروائع الأخرى ومنها هذه المقتطفات وهي من قصيدته "لوعة
الذكرى" وقد صهرها الشاعر في بوتقة الوجد وهي نداء العاشق
الأسير، المقيد بأغلال الهوى والحب، وقد جاء فيها:
ذكرتك لو تدري اذكاري ولوعتي
وتعلم وجدي بعد إذ أنت نازح
تناهيني الأهات منها عميقها
بأغوار قلبي غاديات سوارح
وتغمره الذكرى فينشد رسمها
فتفصح عنه الساجعات الصواح
رميت قداحي في هواك مؤملا
فلم يهنني سهم من الحب رابح
نأيت ودمعي سال مجراه هاتفاً
بذكراك واهتزت إليك الجوانح

هنالك ضاقت بي من الأرض فسحة
لنا في مغانبها رؤى ومسارح
أياناعس الطرفين مالك مغضباً
لك القوس من عينيك فاد منافع
أسامر نجواك التي لا تملني
واعدوا وراء الصبر وهو مبارح
واختلس اللذات في النوم حالماً
إذا استشعرت نفسي بأنك لائح
واحفل باللقيا فيرفق غاضباً
ويطرب قلبي باللقا والجوارح
وأنشد أحبابي بكل مسيرة
من الأرض فيها للججمال ملامح
وبلغت براعة الشاعر "أبي الحب" في الغزل مرتبة السمو من
المهارة والإجادة والذوق السليم في الصياغة وصهر الفكرة في بوتقة
الجمال الفني حيث يتجلى فيها الإتقان في غاية ما يكون الإتقان
والإبداع، ولكي نستزيد متعة مبدعات فكره المتوقد نقرأ هذه الأبيات
من قصيدة بعث بها جواباً على رسالة أحد شبان فلسطين من
أصدقائه وقد شبهها بعروس غارقة في زهوها ودلالها حيث يقول:—
عروس راق مرآها أتت والنفس تهواها
أهاجت كامن الوجد وكان القلب مرعاها
وخود من بنات الشعر من طيب عرفناها

فتاة زانها الحسن وسحر اللفظ زكاها
 تهاوت لي في دل وجادت لي بلقياها
 نضت برقعها الداجي وأبدت عن محياها
 شكت لي وجد أحابي وأغرنتني بنجواها
 فقد أسكنتها قلبي وقد أحسنت مثواها

ثم يخاطب فيها صديقه ويثته بما انطوت عليه نفسه من الآلام من قضية (فلسطين) الغصيبة، ويتأفف، ويتأوه بحرقة شديدة لتقاعس العرب وتخليهم عن الجهاد المقدس لاسترداد هذا الجزء السليب الذي انتزعه الصهاينة المجرمون من أرض العروبة والإسلام وما أحسن قوله في هذا التعبير والاستنهاض:ـ

سلاحاً يا أخوا الوحدة كي نكشف بلواها
 متى تبتدء الساعة كي نفني أعداها
 متى نفتك بالطاغي وصـهـيون يلقاها
 متى تستنفر العرب جميعاً لقساها
 فأها لبني يعرب أوأها فأواها
 إلى كم مجدهم مود وماء الكدر سقياها
 وأقطارهم ظلت يسوس الخصم مغناها
 ألا هل نهضة توفى يكون المجد عقباها

هذا، وإن شعر الأستاذ "أبي الحب" في الغزل هو أكثر ألوان شعره الأخرى وفرة لديه، تجود به قريحته السيالة ولا ينضب معينها، ولكن

آن لنا أن ندع هذا الغزل أو التغزل والمرح الشعري جانباً لتتناول لوناً آخر من ألوان شعره ونحن في خاتمة المطاف لهذه الدراسة.

فهذه قطعة من الرثاء أو قطعة من القلب المتفجع المكلوم قالها في وفاة والده المغفور له الشيخ محسن أبو الحب، وكان حين بلغه نبأ وفاته عاكفاً على الدراسة في (أمريكا) فانظر إلى صدق التعبير، وعمق الكآبة والحزن الشديد الطافح على هذه الأبيات التي يتجلى فيها إعظام النبوة وإجلالها لمقام الأبوة، وهكذا يجب أن تكون حقوق الآباء مقدسة لدى الأبناء كما هي المفروضة عليهم. وها نحن مع الشاعر لنسمع أنات قلبه ونحيبه:ـ

أبتاه قد فارقت غير مودع
ورحلت مغموراً بفيض الأدمع
أنويت ظعناً والقلوب شواخص
ترنو إليك بحسرة وتوجع
ازحمت للنأي البعيد رواحلا
وتركت فينا لوعة المتفجع
أمضيت لا عوداً نويت ولا لقا
أمغيب شمس لا تعود لمطلع
واحسرة الدنيا عليك أبا النهى
يا مصرع العليا وجذب الأربع
أبتاه قد فارقتنا مسترخصاً
بالنفس وهي عزيزة لم توضع

أبتاه لا يعلو المنابر مرتق

لذراك إلا عاثر أو مدعي

وكذلك رثاؤه الرقيق لوالدته فهو لا يقل روعة عن رثائه لوالده،

فلنستمع إلى صرخة الحزن، وأجيج العاطفة، ولوعة الفاجعة، وهول

المصاب، الذي اعتري الشاعر فجعله يطلق القول نظماً ندياً بقطرات

الدموع الساخنة يناديها قائلاً:ـ

أمّاه.. بعدك ما عيشي بذي رغد

والجرح ينخر في جلدي وفي كبدي

أبكيك للغر من أيام محتتنا

ولليالي التي مرت على نكد

واشتكى حر آلامي وما سلبت

مني الخطوب وما عانيت من سهد

كنت العمود الذي يعلو به طنبي

وكنت موضع حاجاتي ومستندي

أنت الفجيعة يا أمّاه بي وبما

قد نالني من أسى ضاقت به عددي

وأجهز الدهر بالأرزاء يفجعني

تتري علي شديداً بلا عدد

ما كنت (يا أم) إلا نور باصرة

ظلت بفقدك لا ترنو إلى أحد

ويكاد القلم لا يبرح هذا البحث لولا ضيق المجال الذي قد يتاخم بزحمة البحوث والمواد القادمة.

هذا هو الأستاذ ضياء الدين أبو الحب صديقنا الكريم وأديبنا الكربلائي الكبير، وشاعرنا القدير، الذي له المكانة المرموقة بين رجال الفكر المعاصرين الذين لمعت نجومهم في سماء الأدب ويشار إليهم بالبنان في كل مكان من أرجاء الوطن الحبيب، ويشاد بمآثرهم في كل بقعة من ارض الوطن والعروبة.

وللأستاذ أبي الحب مواقف خطابية رائعة في بعض حفلات كربلاء التاريخية منها الحفلة التأبينية العظمى التي أقامتها مدينة كربلاء في صحن الروضة العباسية بعد مرور أربعين يوماً على وفاة سادن الروضة العباسية المقدسة المرحوم السيد محمد حسن آل ضياء الدين عام (١٩٥٣) ولم تشهد كربلاء مثيلاً لذلك الاحتفال العظيم، وموقفه أيضاً في الحفلة التأبينية التي أقيمت على روح المرحوم السيد محمد سعيد السيد محمد حسن آل طعمة في الروضة العباسية عام (١٩٥٧) وكان المؤلف أحد المساهمين فيها، ثم موقفه سنة (١٩٥٥) في الاحتفال الذي أقامه المؤلف بمناسبة مولد الإمام الحسين في صحن روضته الشريفة في مساء (٣) شعبان حيث استمر على إقامته ثلاث سنوات متوالية باسم (خدمة الروضتين المقدستين) وكان يدعو إلى المساهمة فيه عدداً من كبار الأدباء والشعراء في النجف وبغداد والكاظمية مع بعض أدباء وشعراء كربلاء.

١٦٧ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١

وأخيراً: هكذا أنجبت وتنجب مدينة كربلاء الشامخة من المفكرين الذين هم من طلائع الحركة الأدبية المعاصرة فيها. وبهذا سنفترق مع الأستاذ ضياء الدين أبي الحب في هذه الدراسة لنتقي وإياك أيها القارئ الكريم مع أديب آخر من أمثاله، فإلى ذلك اللقاء.

المحامي جعفر عباس الحائري



ما هو الأدب.....؟

لعلنا نصيب الهدف في الإجابة على هذا السؤال الموضوعي بقولنا: إن العاطفة والفكرة والوصف والخيال والذوق والأسلوب عناصر

أساسية تعمل على إبراز هيكل الأدب إلى حيز الوجود بشكله الحسن الجميل الذي يستهوي القلوب والعقول ويكون رمزاً لأصالة وجوده المتمركز في جوهر الإنسانية والمنبثق عنها، والمنحدر من ينبوعها النقي الفياض، وهذه العناصر وغيرها عند اندماجها وتفاعلها مع بعضها يكون لها نتاج ذاتي هو الذي يسميه المفكرون "أدباً".

والأدب هو ذلك التعبير الجميل، أو الكلام المعبر في فحواه عن العقل والعاطفة وكل ما يختلج ويموج في أعماق النفس الإنسانية من أحاسيس وانفعالات تبدو معالمها جلية على لوحة الشعور الصادق والتصوير الخيالي الرائع، والوصف البديع، والتفكير الواقعي في فلسفة الحياة وقيمة الوجود، والجمال الطبيعي المشرق بهالاته في المعاني التي يرمي إليها الأديب أو الشاعر ويجسد حقائقها تجسيداً واضحاً لا يكتنفه الغموض.

"والحقائق عند الشعراء هي التي تنكشف لهم حقائق، فيعتنقونها في الهنيهة الشعرية، إنها ليست تلك الحقائق التي تواطت عليها أعراف الناس وعلى سننها نهجوا ودرجوا^١.

ألا ترى إن تجسيد المعاني والحقائق تعتبر من الفنون الفكرية الجميلة التي تبدو من خلالها قدرة الأديب المفكر على إبرازها في عمله الأدبي، أو عبقرية الشاعر في تصويره الشعري ونفثات قريحته وشاعريته، فالفن إذن هو الأدب، والأدب هو الفن، والفن يعتمد على الإرادة القوية والمهارة والحدق وصدق التعبير عن العاطفة والوجدان والقلب والضمير وكل ما يتصل بإنسانية الإنسان من غرائز وسجايا نبيلة أصيلة متأصلة.

"والفن قبل كل شيء إبداع وخلق واختراع، وتجسيد مثالي لما يعترك في الصميم وما يتلجلج في الضمير"^(٢).

أو هو كما جاء في هذا التعريف أيضا: "الفن فيض طبيعي من النفس"^(٣) ولا شك إن هذا هو التعريف الواقعي لفن الأدب والرأي الصائب فيه.

وقد لمحت من هذه المفاهيم الحيّة للأدب ما هو منعكس في الإنتاج الفكري الذي بين يدي لصديقي الأستاذ جعفر عباس الحائري،

^١ زهير بن أبي سلمى - سلسلة "أعلام الفكر العربي" تأليف: ألفرد خوري /ص ٩٨.

^٢ ألفرد خوري - المصدر /ص ٩٧.

^٣ الفن والأدب لـ(ميشال عاصي) ص ٣٤.

١٧٠ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١

الذي عرفته أديباً وشاعراً مارس الأدب نظماً ونثراً قبل أن يبلغ الحلم، وتفتحت قريحته عند تفتح زهرة شبابه، ونمت في نفسه وأثمرت مثلما تنمو الشجرة في أرض خصبة وتستمر في نموها وتثمر.

مولده:

ولد عام - ١٩٢٦ في كربلاء ورباه والده العلامة الشيخ عباس الحائري وهو من أفاضل رجال الدين، ولقنه دروساً في الأخلاق الفاضلة كما اكتسبه بيئة كربلاء الدينية كثيراً من الفضائل الروحية التي نشأ عليها.

والبيئة إذا كانت الفضيلة متوفرة فيها فهي البيئة الصالحة حقاً ومن حق كربلاء أن تكون في طليعة البيئات الصالحة لأنها بلد العلم والأدب ومنار الإشعاع الفكري إلى جانب ما يشرق في سمائها الصافية من قدسية عظيمة منبعثة من مرقد الثائر العظيم أبي الشهداء "عَلِيٍّ".

دخل المدرسة الابتدائية في كربلاء وهو في الثامنة من عمره ثم اجتازها إلى المتوسطة فالإعدادية والتحق بكلية الحقوق ببغداد وتخرج منها عام - ١٩٥١ وكان من المتعطين للعلم الذين لا تطيب نفوسهم إلا بالانتهاج من معينه المتدفق، لإرواء غليلهم به، فأيام كان طالباً في المتوسطة والإعدادية لم يدع الفرص السوائح أن تغفلت من تيبين يديه للاستفادة منها فكان يغتنمها لدراسة الفقه والمنطق والنحو

١٧١ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
ولصرف على أساتذة بارعين من كبار رجال العلم في مدارس كربلاء
الدينية.

وتولّى تدريس اللغة العربية ثلاث سنوات في (جمعية متدى
النشر) في مدينة الكاظمية وكان عميدها العلامة الحجة السيد مرتضى
العسكري الذي هو اليوم عميد كلية (أصول الدين ببغداد) وناظرها
المرحوم صادق المحلاتي^(١). وبعد ذلك امتهن المحاماة بضعة أعوام
حتى اختير عام "١٩٥٧" مديراً للبنك اللبناني - فرع كربلاء- حتى عام
"١٩٦٥" حيث نقل معاوناً لمدير (بنك الاعتماد - الفرع الرئيسي -
ببغداد وأخيراً ترفع إلى مدير لبنك الاعتماد في البصرة.

والأستاذ جعفر عباس الحائري في رشاقة جسمه وأناقته هيكله
دمت الأخلاق، اجتماعي الطبع، حلو الحديث، خفيف الروح، كثير
النكات، وله مساهمات أدبية في بعض حفلات كربلاء الدينية وخاصة
المهرجان العالمي الكبير الذي تقيمه مدينة كربلاء سنويا في مساء ١٣
رجب بمناسبة مولد الإمام البطل العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام).
وقد حج بيت الله الحرام، وصاهر العلامة السيد محمد صادق
القزويني.

^١ استبدلت هذه الجمعية بمدرسة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بعد مقتل ناظرها سنة
"١٩٥٢".

الأستاذ الحائري والشعر:

بدأ شاعرنا ينظم الشعر في عهد مبكر كما أسلفنا وذلك في أيام دراسته المتوسطة بعد أن حصل على ثروة فكرية من مطالعته لدواوين بعض شعراء الجاهلية أمثال زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وغيرهما من الشعراء الأعاظم في العهدين الأموي والعباسي كالفرزدق والكميت والمنتبي والشريف الرضي وأبي تمام.

وكان شديد التأثر في الرثاء بالشاعرين الكبيرين السيد إبراهيم الطباطبائي المتوفى (١٣١٩هـ) والسيد حيدر الحلبي الملقب بـ(أمير الرثاء). وأما من الشعراء المعاصرين فكان أكثر تأثراً بالجواهري وكان هذا التأثر العميق - على طول الخط - مدعاة لخلق ملكة الشعر في نفسه، فتابع النظم وساعدته على ذلك قريحته التي كانت تجري منسجمة مع ذوقه ورغبته وطموحه في أن يكون من شعراء عصره وجيله، ولكنه مع غزارة إنتاجه الشعري لم يكن يهتم بجمعه كما يحرص الشعراء عادة على الاحتفاظ بإنتاج قرائحهم حتى ولو كانت قصيدة واحدة أو بيتاً واحداً على الأقل، الأمر الذي أدى إلى بعثرته وضياعه بسبب هذه الإهمال اللهم إلا النزر اليسير الذي لا يتعدى بضع قصائد وحسب.

أسلوبه ونماذج من شعره:

الأستاذ جعفر عباس الحائري شاعر مطبوع، وقريحته لا تنتج إلا الجيد من الشعر المتميز برقة الإحساس والشعور، والعاطفة الصادقة

ورشاقة اللفظ والأسلوب الممتع، والمعاني المنسجمة مع قوة شاعريته ويكسو شعره حُللاً قشبية من جمال الأدب ويؤطره بإطار العقيدة والإيمان وصدق الولاء لأهل البيت الأطهار "عَلَيْهِمُ السَّلَامُ" الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ويستلهم من حبه الشديد لهم أغاريد شاعريته التي تدلُّ على أنه متفان في سبيلهم وتلك هي العقيدة الإسلامية الحقة النابعة من يقظة الضمير والقلب السليم وهكذا يكون الموالون للعترة الطاهرة الذين أراد الله لهم أن يكونوا سادة العرب والبشرية جمعاء، وهم لأشرف أسمى من شرفهم، ولا مجد أعظم من مجدهم، ولا تاريخ انصع من تاريخهم، ولا بيت ارفع من بيتهم، بيت ما أعظمه مكانة في النفوس وشأنها في التاريخ إلى الأبد، يتعالى زمناً إثر زمن، رفعة في ضمير الكون وإشراقه في وجدان الأزلية وناموس الوجود وقد شارف بسموه الآفاق وتعداها شموخاً إلى السماء وظل ينافسها في الخلود.

ذلك هو البيت الذي قامت دعائمه بقصي وعبد مناف وهاشم سيد البطحاء وزعيم قريش وعبد المطلب وعبد الله ومحمد النبي العربي العظيم وعمه أبي طالب (مؤمن قريش) وابن عمه ونصيره وخليفته الإمام علي وأبنائه الاثني عشر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

ويطيب لي أن أقدم لك قصيدة تفتحت بها قريحة شاعرنا في رثاء الحسين شهيد الحق والإباء الذي حاربه جحافل البغي والوحشية اللامتناهية واستحوذ عليها الشيطان فماتت ضمائرها وغمرتها نشوة

الظفر به فصرعته على رمضاء كربلاء وهو يستغيث ويستنصر ولا من مغيث ونصير غير السيوف التي أحاطت به من كل جانب ومكان وقد كان موقف الحسين في وجه أعدائه دعاة الكفر والضلال وعبيد الطغاة... موقف الأبطال الأشداء الذين يهون عليهم الموت في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق لينالوا شرف الاستشهاد والخلود ولذلك ضحى بالنفس والنفيس، دفاعاً عن العقيدة والكرامة والحرية الإنسانية والمثل العليا وإحياء الشريعة المقدسة التي كانت في طريقها إلى الاضمحلال مهددة بفوضى الجاهلية الأموية وأخطارها الجسمية وقد أطاحت نهضة الحسين الجبارة بملك - يزيد بن معاوية - الطاغية فلنقرأ هذه المرثية التي جرت من قريحة الشاعر مجرى الدموع من العيون حزناً على مصاب الحسين وأهل بيته، لنشاركه في التفجع والمواساة فلنسوخو بدموعنا على فاجعة هذا الإمام الشهيد الذي قال فيه جده الرسول الأعظم: (حسينٌ مني وأنا من حسين).

إنّ القوّة الشاعريّة في هذه القصيدة الرائعة تصور لنا هذه المأساة العظيمة وفيها استعراض فكري حافل لحوادث تاريخية تزخر بالحقائق وتميط اللثام عن النوازع الشريرة التي انطوت عليها نفوس أرذل خلق الله أمثال: - أمية وحرب وابن سفيان ومعاوية ويزيد وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه وبسر بن أرطاة قائد المذبحة الدموية الفظيعة في المدينة المنورة ومن لف لفهم من عمالقة الإجرام في التاريخ والخصوم الألداء لمحمد (ﷺ) وأهل بيته الكرام.

والأستاذ الحائري قد أجاد إجادة تامة في تصوير هذا الوحي الشعري في رائعته التي احتوت على رتل طويل من المقاطع لطول نفسه في النظم، وهو يتغنى في أول مقاطعها بمولد الحسين الأغر ونشأته وطيب محتده وقد اقتطفت منها ما يناسب مجال البحث وهكذا يستهلها كما ترى:ـ

نهضت لم تبغ غير التقى طلبا
ولم تكن تشتهي السلطان والرتبا
وكنت في ذروة الأمجاد منزلة
واعرق الناس لو قارنتهم حسبا
أبوك حيدرة والأم فاطمة
وجدك المصطفى أكرم به نسبا
ولدت في بردة الأطهار مؤتلقاً
نوراً دجى الليل ولى دونه هربا
وقد رضعت لبان المجد تنهلها
من ثدي أمك دراً سائغاً عذبا
وهز مهدك (جبرائيل) مفتخراً
وهو المناغي بصوت يبعث الطربا
واخضر عودك من غرس تكفله
أبوك سقيا ورعيا ناميا رطبا
حتى إذا شاءت الأقدار وانتهيت
خلافة وبدا الإسلام مكتتبا

وأعلن الغرّ إن الدين مبتدع
أكذوبة وأبان الكفر والرييا
أعلنتها ثورة حمراء ممتشقاً
شيفا يرى الموت للأعداء والكربا
ثم هذا مشهد من مشاهد التاريخ تظهر فيه نفسية أبي سفيان
المتبطنة كفراً، ومثله ولده معاوية وحفيده يزيد، والإمبراطورية الأموية
التي أحدثها معاوية خلافاً وتحدياً سافراً لشريعة الإسلام وجعلها ملكاً
عضوضاً لقومه من بعده.
والشاعر يشيد هنا في موقفه بصبر الحسين إزاء تلك الموبقات
حتى إذا قام بنهضته المقدسة ونسف بها تلك العروش، وهكذا يفصح
مسترسلاً:ـ

صبرت والصبر مريابن فاطمة
وأنت تشهد من أفعاله العجبا
أبوك صنو رسول الله تقذفه
بنو أمية سبا يورث الوصبا
وأثقلوا امة الإسلام كاهلها
وجرعوا الناس مرأً حنظلاً نغبا
وبدلت شرعة الإسلام دولتهم
وجذوة الدين منها اخمدوا اللّهبها
تلقفوها كما قد شاء شيخهم
وصيروها بأيدي قومهم لعبا

وسلطوا كل مطعون بمغرسه
على الرقاب فصب الغيظ والغضبا
عمرو) يبيع بدينار مبادءه
فكيف ان غمروه الجاه والنشبا
وقائد مثل (بسر) سار منتهكاً
وفاثكاً وأثار الوبل والحربا
أما زياد فمن إحدى مكارمه
أن يجهل الناس أجداداً له وأبا
بهؤلاء أقاموا عرش دولتهم
وضيعوا الدين والإسلام والعربا
مات (ابن هند) ولم تنفعه دولته
ومات يفترش الحصباء والتربا
وخلف الولد المغرور يعقبه
يأليت كان عديم النسل ما عقبا
يزيد غر لئيم عاش في دنس
ولم يكن لكريم الخلق مكتسبا
قد أعلن الكفر في قول وفي عمل
وكذب الرسل والأديان والكتبا
والمسلمون رأوا من سوء سيرته
مر الحياة ونالوا الشر والوصبا
فاستنجدوا بالحسين السبط اذ علموا
بان في كفه ما يحق الريبا

نهضت إذا لم يكن بد وأنت ترى
 من فعله ما يثير الحزن والكربا
 نهضت تبعث في إسلامنا أملاً
 بأن يعود طرياً عوده رطباً
 وسرت حيث وجدت الدين مخترماً
 والشرع مهتضماً والحق مغتصباً
 وضقت ذرعاً ولم تسطع مهادنة
 مع الطغاة وكنت الفارس الحدبا
 ولم تلن للدواهي كلما عظمت
 وكنت تقحم في أرزائها صلباً
 وقمت في صحبك الأحرار مقتحمأً
 فاهتز عرش بني سفيان واضطربا
 تركت (يثرب) لا خوفاً ولا وجلاً
 ولا ذعرت ولا غادرتها هرباً
 وسرت تطوى الفيافي دونما كلل
 مستسهلاً في سبل الدين ما صعباً
 وقمت تنصر شعباً كان وحده
 من قبل دين فعاد اليوم منشعباً
 صرعت فانهدّ ركن الدين وانتحبت
 ملائك وجرى دمع الورى صيباً
 صرعت والظالمون استبشروا فرحاً
 واهتز بالنصر طاغوت لهم طرباً

واعولت "زينب" إذ شاهدتك على
الرمضاء والدم من أوداجك انسكبا
ما أحرزوا غير عار ثم كان لهم
مصير سوء سل الأجيال والحقبا
وهذه كعبة العشاق قاصدها
يأتي بشوق يشم الأرض والتربا
هي المقام يلوذ المستجير به
من كل فج سواء ناء أو قربا
وهذه قصيدة أخرى للشاعر الحائري وقد صاغتها قريحته السليمة
في بوتقة العقيدة والإيمان والولاء المحض لسيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَام.
فهي من أبلغ القول في المديح، وفيها تتجلى العاطفة النامية التي
تخالها هي القلب وقد توزع قطعاً منظومة بين يديك.
لنمضي في رحاب سيدنا الحسين قائد النهضة الإنسانية الخالدة
الذي تنصهر في حبه القلوب والأفئدة، وتتيه في أجواء شخصيته
المشاعر والأحاسيس فلا تدرك معانيها كما لا تستطيع أن تكتشف
سراً من أسرارها، ولنردد: _ حيا الله قلب الشاعر النابض الفيّاض بهذه
الحيوية الشعرية في مائة وعشرين بيتاً منها: _
بمولدك الزاكي وقد طببت مولدا
أتيتك يا مولاي للشعر منشدا
وإياك قد أحبيت منذ طفولتي
وغذتني أمي عذب حبك والندی

ولدت فبان النور والبشر والهدى
وكان رحاب المصطفى لك متدى
ترعرت محبوباً بحضن "محمد"
ومن منكبيه شئت مرقى ومصعدا
نشأت فكانت نشأة عبقرية
ببيت كريم طاب عرقا ومحتدا
وفاطمة أم الفضائل والنهى
تربيك أنساناً سموت وسيدا
ومهدك قد هزته شوقاً أنامل
لجبريل إذ قد جاء نحوك موفدا
وكنت مع القرآن قلبا وقالبا
ولم تتخذ غير الهدى لك معهدا
سكبت معاني الحب والحب صادق
لهذي القوافي مادحا وممجدا
وأنشدت في صباح يوم مبارك
بطلعتك الغراء شعراً منضداً
وقد هيجتني ذكريات حبيبة
بمولدك الميمون إذ جئت فرقدا
تصورت جنات زهت وتنسقت
وطاب رؤاها فيك إذ طببت مولدا
تصورت قيثاراً وأنمل عازف
يجيد على القيثار لحننا مخلدا

تصورت ناقوساً يمدق بشارة
لميلاد روح الله عيسى مجدداً
تصورت خير المرسلين (محمداً)
يقبل خدماً منك غضا موردا
تصورته يحنو عليك بعطفه
ويرشف ثغراً منك بالطيب زودا
تصورته والمؤمنون وفودهم
تهنئوه إذ ذاك جمعاً ومفردا
ولست وحيداً في هواك ألا ترى
حشود الملا تترى عليك ترردا
وتلثم أرضاً أنت فيها مودع
وتأتي خشوعاً دون مشواه سجدا
لأنك أحببت الشريعة بعدما
أراد "يزيد" طمسها متمردا
وقد كان يرجو عودة جاهلية
فكان لدين الله جهراً مفندا
وقال فلا وحي ولا من رسالة
ولا بعث الرحمن فينا "محمدا"!!
وما هي إلا لعبة هاشمية
أرادت بها حكما وعرشا موطدا
فثرت على الطاغوت تنسف عرشه
وجردت سيفاً ينزل الموت بالعدى

أمية قد زعزعت ركن وجودها
وألبستها ثوباً من العار أسودا
فلست أغالي في مديحك سيدي
أحبك حبا عارم الموج مزبدا
وأفردت أشعاري بذكر فضائل
لها مقصداً قد كنت أنت ومورداً
وجدتك أهلاً للمديح ولم أكن
لغيرك مداحاً وإن كان سيدياً
وفي كربلا حيث الرياض تنسقت
ترعرعت من ريحانها متزودا
وكان نشيد الناس فيها موحداً
ألا ليتنا كنا جميعاً لك الفدا
وإن دمت حيا كان ذكرك مؤنسي
وإن مت كنت الشافع المتفقدا
ونأتي بعد ذلك لنرى كيف تجري من قريحة الشاعر دموع غالية
من الشعر أحرّ في مزاجها من الدموع التي تذرّفها العيون في مواطن
الحزن والعزاء، في قصيدة رثى بها صديقه المرحوم السيد مصطفى
نجل المرحوم سماحة السيد أبي القاسم الكاشاني زعيم الحركة
الوطنية في إيران ورئيس مجلس الأعيان في عهد الدكتور مصدق،
كما كان أيضاً من قادة ثورة العشرين في كربلاء.

الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١ _____ ١٨٣

أمّا السيد مصطفى الكاشاني فقد مات قبل أربعة عشر عاماً تقريباً
وكان شاباً في ربيع العمر، فالأستاذ الحائري قد بعث بهذه المرثية
يعزيه بها وهي قصيدة طويلة نأخذ منها الأبيات التالية:ـ

سلام على السيد الأروع
على ملجأ الناس والمفزع
سلام عليك دوام الزمان
لدى مغرب الشمس والمطلع
أواسيك يا سيدي بالمصاب
بفقـدك للثمر الأينع
من الكرخ - بغداد - دار السلام
ومن طيب أكمامه الأضوع
من الورد نفحة أشذائه
ومن روضها العاطر الممتع
ومن رافد هو عرق الحياة
لهذي البلاد من المبدع
ومن روضة الخلد في جانيه
ومن عذب سلسلها الأمتع
ومن كل طير بأرجائها
شذا نعمة الواله المولع
ومن نسمة الصبح إذ لامست
أريج أزاهرها الأروع
تلمست منها نذير الخطوب

ورنَّ صدى النعي في مسمعي
 فجئت أقدم هذا العزاء
 لقلب بأرزائكم مفتح
 ورتلت أنشودتي بالاسى
 وتهمع عيناى بالأدمع
 أردف ياسيدي بالمصاب
 وتنهد من هولاه أضلعي
 أقول ونفسي في ثورة
 من الخطب هائجة لاتعي
 أقول وإن ابنك المصطفى
 حرى بسكبك للمدمع
 فيا أسفا غاب قبل الأوان
 بأفق المغيب ولم يطلع
 فصبراً فانك عند الخطوب
 قوى العزيمة لم تجزع
 وأخيراً: لقد أعجبنى هذا الحوار اللطيف الذي هو أقرب إلى
 الحقيقة في واقع الحياة بين والد طاعن في السن رأى أن حياته
 أوشكت على النهاية فراح يوصي ولده بالأرض التي ستركها له
 فيقول بلهجة الشفقة والحنان: إن هذه الأرض لك يا بني فاخدمها
 لتعيش من بعدي على خيراتها بسعادة وهناء.

أمّا الولد فيبدي تشاؤمه بالحياة في عهد الإقطاع إلى حد بعيد، ويذكر أباه بما كان يعاني من القسوة والذل والحرمان طيلة حياته التي عاشها ولم يرض أن يعيش عيشة أبيه بأن يكون عبداً مملوكاً للشيخ الذي يعيش في بذخ وترف على ثمرات جهوده.

وفي هذه المقطوعة الشعرية تمثيل حي للحوار الذي جرى بين الأب والابن حيث تجسدت فيه مظالم الإقطاع وضرارته، ونفوذه وسيطرته على الفلاح باستغلال جهوده وهضم حقوقه واستعباده بلا رحمة، وبدونما وازع من ضمير.

أجل:ـ فالشاعر يصور هذا الحوار تصويراً بارعاً، بل يجسد واقع حياة الفلاح الكادح ونكد عيشه، وضياع آماله وأمانيه، ورزوحه تحت نير البؤس والشقاء في عهد الإقطاع الذي ولى إلى غير رجعة. فانظر إلى هذه الحقائق التي ارتسمت على لوحة هذا الفن الشعري الجميل، الممتع حيناً، والمؤلم حيناً آخر، كما ترى:ـ

قال فلاح يا قرة عيني ولدي

هاك نصحاً من أبيك الشيخ خذه تسعد

هذه الأرض التي كنت أنا أزرعها

منذ أيام شبابي والزمان الأبعد

وبذلت الجهد في الغرس وفي استثمارها

وسهرت طول ليلي ساقياً لم أرقد

فستبقى لك فأزرعها وخذ حاصلها

بعد موتي في الغد المقبل أو بعد غد

فأجاب الابن يا والدي الشيخ فهل

كنت تحيا لشقاء أم لعيش رغد

أنا لم أشهدك يوماً يا أبي في راحة

غير بؤس وشقاء يا أبي لم أشهد

قد حرثت الأرض شوقاً لترى حاصلها

ولغير الحارث المسكين إنتاج اليد

مرضت أمي وماتت عل عرفنا داءها

هل أتينا بدواء أم طيب منجد؟

كم تمنيت يا أبي أمي بان ترسلني

أرشف العرفان من منهله في المعهد

أسفا ماتت ولم تبلغ إلى آمالها

واختفت في زهرة العمر بترب اللحد

كم رأيت الشيخ يأتينا بزهو طالما

وعلى حقل في غير اكتراث يعتدي

نحن لا نشبع بالخبز وفي محفله

وضعوا الألوان من كل لذيذ جيد

شربوا الخمر سقتهم غادة فاتنة

وشربنا أسناً نطفي ضرام الأكبد

أفسد الزرع ولم يرع جهوداً بذلت

منك في إنتاجه يابئسه من معتد
لم تكن تستطيع إن تمنعه مما جنى
فهل الفلاح عبد يا ترى للسيد؟
ترك الأرض وولى فرحاً مبهجاً
وعلا صوتك بالشكوى لحظ نكد
وإذا ما رفعت دعواك في محكمة
حذر الحاكم بالسحب وإلا تطرد
هكذا عشت شقيماً بئساً منكسراً
ومضى جهدك في الأرض سدى لم يقدر
كيف ترضى أن أقاسي منه ما قاسيته
هل يريد الشر حاشا والد للولد؟
ضحك الشيخ وقال احذر ألا يا ولدي
لا تقل هذا إلى غيري وأن تعتمد
ولنعرض بعد ذلك شيئاً من نثر الأستاذ جعفر الحائري في نهاية
المطاف، فهو كاتب بارع كما هو شاعر مبدع.
وقد اخترت من نثره مقتطفات من كلمته القيمة التي ألقاها في
احتفال مدينة كربلاء السنوي الكبير بميلاد حكيم الإنسانية الإمام علي
(عليه السلام) في مساء ١٣/ رجب عام (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤) ونشرت في مجلة
الإيمان.

..... وإنما لليلة رائعة تبعث فينا البهجة والسرور وتنزل فيها ملائكة الرحمة لتخفق بأجنحتها على رؤوس هذه الأمة التي قال فيها جلّ جلاله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

"وتسمح لنا أن نجتمع في روضة من رياض الجنة التي أزلفت للمتقين، وتحضر إلى هذا المكان الطاهر الذي تشتاق إليه نفوس الملايين وتتوق إلى زيارة هذه البيوت الرفيعة التي تخر لعظمة هيبتها البيوت، والتي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأن يقام هذا الحفل في كربلاء التي هي كعبة آمال المسلمين، وقبله أنظارهم، ومصدر الفكر والإيحاء في كل أمر يهمهم في هذه الأرض الطيبة التي تجري من تحتها الأنهار، فهي أرض المجد والخلود والتضحية.

"كربلاء التي أتت بالمكرمات وسقيت بدماء الشهداء الأبرار.

"كربلاء التي طابت وطهرت وانبتت من كل زوج بهيج.

"كربلاء التي احتضنت جثمان أروع شهيد وأشرف مجاهد في سبيل الحق والعدالة والفضيلة، وأعظم مدافع في حقوق المظلومين، هو الحسين بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة.

"كربلاء التي وقفت دائماً وستقف أبداً مع الحق، وجاهدت وتجاهد دون عقيدتها بأيمان ثابت أمام الباطل.

"كربلاء التي صبغت الغبراء بالدم القاني في حوادثها عبر التاريخ، وقدمت الضحايا حفاظاً على الدين وإعلاءً لكلمة المسلمين.

"كربلاء التي هي حاضرة العلم والأدب ومأوى العلماء الأعلام.
"كربلاء التي وقفت موقفاً قيادياً في (ثورة العشرين) بزعامة
المجاهد الأكبر المغفور الشيخ محمد تقي الشيرازي وأعلنتها حرباً
شعواء على الاستعمار والمستعمرين، وإذا بالعراق بأسره انقلب إلى
بركان نائر والتهم أعداء الوطن والدين.

"كربلاء التي أثارت فكرة الاحتفال لتعرض صفحات مشرقة من
ماضينا المجيد ومبادئنا الإسلامية الخالدة ذات النظم الاجتماعية
الصالحة للتطبيق في أي عصر ومصر واتخذت من ميلاد أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قاتل الكفرة والمشركين عنواناً
لهذا الاحتفال العظيم، ونبراساً لهذه الفكرة فأقامت مهرجانها الأول في
سنة ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين وألهمت إحساس الجماهير
المسلمة وأورت نار حماسهم، فأقامت بعدها النجف الأشرف والحلة
الفيحاء وبغداد وسامراء حفلات إسلامية كبرى مقتدية بكربلاء بعد
أن لمست نجاح الفكرة في الدفاع عن قدسية الإسلام وكرامة
المسلمين وأحيت بذلك شعائر الله (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ).

"ومن بواعث الألفة أن تستقبل كربلاء بضيوفها الكرام الذين وفدوا
إليها واشتركوا في هذه الحفلة الكبرى التي تقام كل عام أحياءً
للشعائر وتأييداً للدين وتعظيماً لكلمة العرب والمسلمين وتجديداً
لذكرى ميلاد سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)،

وتخليداً لفضائله وتمسكاً بحبل مودته وتعلقاً بمبادئه واستنارة بنور وجهه الكريم، واهتداءً بهديه، وارتشافاً من فيض علومه، واغترافاً من بحر نهجه العظيم، وإجلالاً لآرائه الصائبة، وتعظيماً لعبقريته ونبوغه، وتعبيراً صادقاً عن حبه الذي يغمر هذه القلوب التي في الصدور المتلهفة إلى ذكر أهل البيت الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

"هذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي حاربه مناوئوه بالسيف والقلم واللسان وبذلوا الأموال لشراء الضمائر وإماتة الحق وأرادوا بذلك إطفاء نور الإيمان" ويأبى الله إلا أن يتم نوره" فذهبت جهودهم أدراج الرياح وماتوا موتةً أبديةً ولفهم سكون الموت فلا يذكرون وإن ذكروا فبالعار والشنار، أمّا علي بن أبي طالب (عليه السلام) فشخصيته تتجلى في سماء الفضيلة بكل معاني العظمة والخلود وإنه كالطود الشامخ يطل على الأرض فيملؤها عدلاً وحكمة وخيراً وطيباً وعطراً ويبعث فيها الخصب والحياة، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً"^(١).

^١ -مجلة الإيمان - النجف - الجزء - ٨/٧ - السنة الأولى وهو العدد الخاص الذي تضمن مواد احتفال كربلاء لعام ١٣٨٤ - ١٩٦٤م.

السيد مرتضى القزويني



لقاء جديد، يجمعنا وإياك أخي القارئ على
شاشة حياة إنسان نذر نفسه وكل طاقاته
الفكرية لخدمة الدين والأدب، فالمعتقلات
السياسية في بغداد في العهد الفوضوي

عام (١٩٥٩) والإقامة الجبرية التي فرضت عليه تسعة أشهر في -
زاخو والموصل وتكريت وبغداد - عام (١٩٦٢) تشهد له بذلك، وما
المعتقلات والسجون لأصحاب العقيدة الإسلامية إلا جهاد يحفل به
التاريخ بفخر واعتزاز.

وإذا كان أصحاب العقائد الفاسدة والمبادئ الكافرة الهدامة يعتبرون
أن العمل من أجل عقائدهم ومبادئهم الضالة المضللة ونشرها
بأساليبهم الدعائية البراقة المعروفة - نضال ما فوقه نضال - وإن
غياهب السجون والمعتقلات وربما المشانق شرف لهم وخلود مع
العلم إنهم يعملون من أجل الباطل ... فلماذا إذن لا يكون صاحب
العقيدة الإسلامية العامل السباق والمجاهد الأول في سبيل مبدئه
الأسمى في معترك الصراع الفكري..؟

مع العلم أن عقيدته التي يحملها هي العقيدة الحقّة، وإن الفكرة
المختصرة مع مشاعره وأحاسيسه ووجدانه هي الفكرة السليمة وأن
مبدأه الذي يعتنقه بالفطرة هو المبدأ الحق وحده

يحقق السعادة للإنسان في دنياه وآخرته.

وأخيراً: لقاء مع شاعرنا وخطيبنا الشهير الأستاذ السيد مرتضى القزويني نسجل به صفحات من تاريخ حيته وأدبه وكفاحه.

مولده وأسرته:

ولد في كربلاء عام (١٩٢٩) وهو نجل العلامة الكبير السيد محمد صادق القزويني من أسرة كريمة^(١) أنجته أديباً وشاعراً وخطيباً يعد

^١ آل القزويني من أشهر البيوتات العلوية العريقة ذات الشأن الكبير في تاريخ الحركة العلمية والزعامة الدينية في هذا البلد ويلتحق نسبها بالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، وكان أول من هاجر منهم من (قزوين) وهي مدينة كبيرة تقع شرقي (طهران) إلى النجف الأشرف لطلب العلم (الأخوان) السيدان - محمد علي ومحمد باقر - ولدا - السيد عبد الكريم القزويني وذلك في سنة (١١٨٥هـ). وتلمذا على فقيه عصره المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء حتى بلغا مرتبة - الاجتهاد وتزوجا في النجف ومنهما تكونت أسرتهما في كربلاء كما يلي:-

أ - نزح السيد محمد باقر إلى كربلاء من النجف وقد رزقه الله بـ"السيد إبراهيم صاحب الضوابط" وهو كتاب "ضوابط الأصول" في علوم الفقه الإسلامي، كما أن له مؤلفات أخرى كثيرة إلا أن كتابه هذا لأهميته العلمية الكبرى هو الذي صار سبب شهرته وبه يعرف حتى اليوم. وكان اعلم علماء عصره واليه انتقلت الرئاسة الدينية والزعامة الروحية في كربلاء زهاء ربع قرن بعد العالم الفقيه الشيخ حسن الشهير بـ"شريف العلماء" الذي كان من أكابر علماء كربلاء. وللسيد صاحب "الضوابط" اليد الطولى في نشر العلوم الإسلامية وقد ازدهرت الحوزة العلمية وبلغت أوج رقيها في كربلاء بواسطته وتوفي عام "١٢٦٢هـ" وكان مولده عام "١٢٠٤هـ". وله من الذكور - أحمد وباقر - وقد مات أحمد قبل أخيه السيد باقر الذي ورث مجد أبيه وعاش

في ظل ذلك المجد ومات خلف العالم المجاهد الكبير المرحوم السيد حسين القزويني أحد قادة "ثورة العشرين" في كربلاء وهو والد فضيلة المؤرخ السيد إبراهيم الشهير - (شمس الدين القزويني) الضليح بعلم الأنساب والذي أفادنا بهذه المعلومات عن نسب أسرته المجيدة هذه.

- وأما السيد محمد مهدي شقيق السيد إبراهيم صاحب (الضوابط) فمن أولاده السادة المغفور لهم كل من:

١- العلامة السيد محمد حسين القزويني المتوفى عام ١٣٨٥هـجـ

٢- السيد عباد.

٣- السيد طاهر، وخلف السيد مهدي وكان عالماً وشاعراً مات وخلف الخطيب الكبير المرحوم العلامة السيد محمد صالح القزويني المتوفى سنة (١٣٧٥هـجـ) وخلف من الذكور السيد محمد باقر والسيد هادي والسيد مهدي.

٤- محمد باقر الملقب بـ(أبي المعالي) و الشهير بـ(الحاج أغا مير) المتوفى عام (١٣٣٣هـجـ) وقد خلف العالمين الكبيرين السيد علي والحجة العلم السيد محمد حسن الشهير بـ(أغا مير) المتوفى (١٣٨٠هـجـ) وأولاده هم العلامة - أغا نجفي - نزيل طهران والسيد كاظم والسيد حسين وكان من أقطاب رجال العلم بشخصيته اللامعة وله مؤلفات كثيرة نادرة الوجود منها كتابه "فدك" وهو مطبوع و"الخلافة الكبرى والإمامة العظمى" في ثمانية أجزاء صدر منها الجزء الأول فقط بتحقيق الأستاذ السيد - مرتضى القزويني.

ب - أما السيد محمد علي شقيق السيد محمد باقر - "الإخوان المهاجران" فلم يلبث أن غادر النجف الأشرف بعد أخيه واستوطن كربلاء وكان من جهابذة رجال العلم الأعلام وخلف العالم الكبير السيد هاشم الذي كان من أصحاب الرئاسة الدينية الحوزة العلمية خاضعة لزعامة الروحية وتوفى عام "١٣٢٧هـجـ" وخلف العالمين الجليلين السيدين - محمد رضا ومحمد إبراهيم - اللذين انتقلت لكليهما زعامة

اليوم من أجمع الخطباء المعاصرين في العراق وله مجالس كثيرة في الكويت والبحرين والقطيف يدعى إليها سنوياً لقراءة التعزية والوعظ والإرشاد.

ومن الطبيعي أن يكون شاعرنا في نشأته مثالا لبيته الرفيع الذي له أكبر الأثر في تربيته وتقويمه، ولا غرو.. فان من شأن البيوتات العلمية التي هي (مهد العلم ومدرسة الفضائل والأخلاق) أن تكون الطليعة الأولى بين البيوتات الأخرى في مجالات التربية السليمة والشعور بمسؤوليتها.

أثر التعلم في الصغر:

الإنسان في صغره - يتلقى العلوم والآداب - خير له من كبره وأجدى، تطبيقاً للقول المأثور: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر". وإن التعلّم في الصغر تقر به العين في الكبر عندما يجتني الإنسان ثمار أتعابه التي طالما أنهكت قواه الجسمية بمثابرة دائمة في النهار

أبيهما الدينية في كربلاء وتوفى المرحوم السيد محمد رضا عام [١٣٤٥هـ] وخلف العلامة الكبير السيد محمد صادق القزويني وما زال على قيد الحياة وهو والد السيد مرتضى القزويني وأشقائه السادة هاشم والشاعر محمد رضا وعبد الحسين، كما توفى وشقيقه سماحة آية الله المرحوم السيد محمد إبراهيم عام (١٣٦١هـ) وكان لنعيه يوم مشهود في كربلاء وخلف السيد محمد كاظم القزويني.

أجل.. هذا هو بيت (آل القزويني) في كربلاء وهو بيت علم ومجد وأدب، وهؤلاء رجاله الفطاحل الذين اشتهروا بالعلم والورع والتقوى وكانوا كالمصابيح المضيئة في هذا البلد المقدس وتاريخهم حافل بالمفاخر والمآثر الخالدات جيلا بعد جيل.

وسهر طويل في الليل، طيلة الأعوام التي يسلكها من عمره لتحصيل العلوم الثقافية حتى إذا يحين موسم حصاد ما زرع لنفسه ولمستقبله، وعلى هذا الاعتبار تنطبق الأبيات التالية في معانيها الجوهرية التي تفيض بالحكمة من قمة العبقرية العلوية الزاخرة وفيها إشراقة مثلى من الإنسانية التي يتجلى فيها نشدان الهدف الأمثل لتحقيق التربية الصالحة التي هي من واجبات الآباء والأمهات ومسؤولياتهم تجاه أبنائهم وפלذات أكبادهم. وما أروع هذه الأبيات المنسوبة لإمام الفصاحة والبيان وحكيم الشرق العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما أصدقه من قائل:ـ

حرض بنيك على الآداب في الصغر
كما تقر بهم عيناك في الكبر
وإنما مثل الآداب تجمعها
في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها
ولا يخاف عليها حادث الغير

دراساته وأساتذته:

تدرج الأستاذ السيد مرتضى القزويني على ارتشاف العلم والأدب من مدرسته البيتية (مدرسة الأبوة) إلى مدارس أخرى. وإلى أساتذة آخرين أكفاء من أفاضل العلماء والمجتهدين وتخرج عليهم وهم:ـ

* المرحوم الحاج السيد محمد صالح القزويني^(١).

١- هو من أعلام رجال الفكر في كربلاء، وابن الشاعر الكبير السيد مهدي القزويني كما تقدم نسبه، وكان السيد محمد صالح خطيباً منطيقاً بارعاً وشاعراً مبدعاً وعلامة ضليعاً في الفقه والنحو والصرف والبلاغة العربية، وكان قريبه في الفضائل المرحوم الشيخ محسن (أبو الحب الصغير) المتوفى عام "١٣٦٨ هـ" وللمرحوم السيد محمد صالح القزويني كتاب قيم صدر في جزئين باعتباره من نفائس التراث الفكري الخالد في كربلاء. وقد ناقش به (الدكتور علي الوردى) في الرد على كتابه (وعاظ السلاطين) المليء بالغث والسمين والحقائق والأباطيل...الخ.

وقد امتاز أسلوب العلامة القزويني في كتابه هذا بعنصر الاتزان في موضوعية البحث بين كافة الردود الصاخبة التي استخفت كثيراً من آراء (الدكتور الوردى) وخاصة تناولها على المعتقدات الدينية الأساسية في مذهب الشيعة الإمامية وتجاوزه حدود المنطق الرصين، وتجرده من الإيمان بالحقائق التي لا يمكن نكرانها أو نفيها بأي حال من الأحوال، وقد حصر هذه المعتقدات بقوله في (زوائد أربعة) خاض فيها غمار البحث وأعطى لها تحليلات لا تمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة وهي: "١" العصمة في الإمام. "٢" سنة التقية.

ولذلك أثار سخط القراء على نفسه وعلى كتابه في الأوساط الدينية والاجتماعية. كما تعدى الشيعة إلى الطعن بكثير من عقائد إخواننا السنة.

ويخيل إليك وأنت تقرأ "وعاظ السلاطين" أن مؤلفه البارع الدكتور علي الوردى رجل من طراز غربي لا يؤمن بمعتقدات المسلمين وتقاليدهم الدينية ومقدساتهم التي ورثوها بالفطرة عن الآباء والأجداد فيريد تغييرها بكل وسيلة ممكنة وخاصة تبديل الحجاب بالسفور وتقليد الغرب في كل عاداته - ومدنيته وهذا شيء عجاب!! وكان من الطبيعي أن تهب عواصف الردود الشديدة عليه بأقلام الكتاب والباحثين

دفاعاً عن الحق والعقيدة خاصة في نقاشهم إياه حول خلافة الإمام علي (عليه السلام) التي قال (الوردي) عنها: (الخلافة المزعومة).

والحقيقة أن الدكتور علي الوردي كاتب اجتماعي قدير في أسلوبه الساحر وبيانه الزاخر وقد نجح في بحوث من كتابه (وعاظ السلاطين) وأخفق في غيرها، وهكذا شأنه في بقية مؤلفاته الجديرة بالمطالعة والدراسة وهو يستطيع في قوة تفكيره أن يكتشف الأمراض الاجتماعية التي تنخر في جسم المجتمع ولكنه عاجز عن معالجتها، ولذلك خاطبه المرحوم السد محمد صالح القزويني في كتابه القيم "الموعظة الحسنة" بالأبيات التالية بقوله:

لقد زعم الوردي إن كتابه

لكل حكيم في البلاد دليل

ولم يدر أن المرء رهن مقاله

وليس سواء عالم وجهول

وقد قيل والأمثال في شأنه سرت

طبيب يداوي الناس وهو عليل

وخاطبه أيضاً من قريحة صافية قائلاً:

حكم العقل قي قضايا تعصت
 ودع النفس واتبعاع هواها
 هذب النفس كي بنفسك تسمو
 وتذكر نفساً وما سواها
 زك نفساً أماراة بالخطايا
 وتدبر فلاح من زكاهها
 لا تكن في الامور تطلب جاهها
 واخش ممن لحكمه متهاها

والجدير بالذكر أن الدكتور الوردى قد أذعن لكثير من وجهات نظر المرحوم السيد محمد صالح في معرض رده عليه حتى أنه أعرب له عن ارتياحه وشكره وتقديره في كتابه "مهزلة العقل البشري" الصفحة الرابعة.

وقد توفى السيد القزويني بالسكتة القلبية، وتعطلت الأسواق يوم وفاته حداداً عليه. وأقيم في يوم أربعينه احتفال تأبيني كبير ساهم فيه لفيف من أدباء وشعراء كربلاء ومنهم مؤلف هذا الكتاب. كما رثاه شاعر كربلاء الكبير السيد مرتضى الوهاب بقصيدة رائعة أرخ في نهايتها وفاته بقوله: _

قرأ عليه (جامع المقدمات) وألفية بن مالك وشرح السيوطي وتعلم منه أصول الخطابة المنبرية وفنونها وهو ذا ذاك في عنفوان شبابه.

* العلامة الكبير الشيخ جعفر الرشتي. قرأ عليه شرح - الجامي - ومغنى اللبيب لابن هشام في النحو، والمطول - للتفتازاني - في البلاغة وحاشية - الملا عبد الله - في المنطق والعلم والأصول الشرائع في الفقه.

يا دهر ما أقساک من غادر
صرمت حبل السورع الطاهر
أرزییت بالمعروف والنهی إذ
أرزییت بالوعظ والزاجر
نشلت حبراً وعلی غرة
فجعتنا بالشفق الساسر
جنب (أبي الفضل) ثوی وافداً
مستشفعاً فی صفة الزائر
أراؤه فی الشرع مزدانة
بالعقل والمکتسب الوافر
مذاستقال الرأي أرخته
"صالح أخلی الرأي للباقر"
١٢٩ - ٦٤١ - ٢٤٢ - ٣٦٣ - ط ١٣٧٤ هـجـ"

* العلامة آية الله المرحوم الشيخ محمد الخطيب. وقرأ عليه في مدرسته الدينية - الأجرومية وشرحها و - شرح القطر - في النحو وشرح - ألفية بن ناظم - والمنيف في علم التصريف وشرح اللمعة الدمشقية بجزأيه - الأول - والثاني - وتبصرة المتعلمين للعلامة الحلبي ومكاسب الشيخ الأنصاري وكتاب الطهارة.

* العلامة المرحوم السيد علي الكاظمي. قرأ عليه شيئاً من هذه المواد العلمية في مدرسة الخطيب.

* المرحوم الحجة السيد محمد حسن القزويني الشهير بـ "أغا مير". فقد قرأ عليه القوانين في الأصول وقسماً من كفاية الأصول للمحقق الخراساني.

* العلامة حجة الإسلام الشيخ يوسف الخراساني. قرأ عليه فصولاً من المكاسب والطهارة للشيخ الأنصاري وأتم عنده كتب الكفاية.

* شيخ العلماء والمجتهدين العالم الفيلسوف سماحة الحاج الشيخ محمد رضا الحائري. وقد قرأ عليه كتاب [شرح التجريد] للعلامة الحلبي والشيخ الأعظم نصير الدين الطوسي وبعض العلوم الأخرى في الفلسفة والأخلاق.

* سماحة آية الله السيد محمد هادي الميلاني. فقد حضر بحثه الخارجي مدة عامين واستفاد منه كثيراً في الأدلة العقلية وتفسير القرآن الكريم.

٢٠١ _____ **الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١**

أجل: _ هذا هو الأستاذ السيد مرتضى القزويني التلميذ البارع لهؤلاء المشاهير والأعلام في كربلاء وخريج مدارسهم العلمية والدينية والفكرية. فهو علامة إضافة إلى انه شاعر وأديب وخطيب.

ثقافته العصرية :

دخل مدرسة الحسين بعد أن ختم القرآن الكريم في البيت على والده، ثم تركها بعد نجاحه إلى الصف الخامس الابتدائي، وسبب ذلك إن طبيعة البيئة الدينية كانت تقضى سابقاً بحرمة الدخول في المدارس الحكومية خاصة وإن البيوتات العلمية والدينية كانت تعتبر ذلك في السابق كفراً وخروجاً على تعاليم الإسلام. ولكنه التحق أخيراً بالمدرسة الابتدائية المسائية عام (٤٨ - ١٩٤٩) وفي كتمان شديد للسبب المذكور. واجتاز مرحلة السادس بتفوق كبير وواصل الدراسة المتوسطة وأنهاها بنجاح باهر ثم أدى الامتحان الخارجي للخامس الإعدادي - الأدبي - وكانت نتيجته مدعاة للغبطة وكان في نشاطه واستعداده في الجد والمثابرة على طلب العلم مضرب المثل، وكان إلى جانب انشغاله بتلك الدراسات ليلاً ونهاراً يزاوّل مهنة الخطابة المنبرية. قد وجد في نفسه تشوقاً للالتحاق بـ(الجامع الأزهر) فسافر إلى القاهرة لهذا الغرض ولكنه عند اطلاعه على مناهج الدراسة فيه وجدها قاصرة - كما يقول - بكثير عن مناهج الدراسة عندنا في كربلاء والنجف واقل مستوى منها. ولذلك شعر بخيبة الأمل وعاد إلى العراق وواصل دراساته السابقة في مدارس كربلاء الدينية؛ وعندما

تأسست مدرسة (الإمام الصادق الأهلية) الابتدائية في كربلاء بجهود العلماء الأعلام عام "١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤" وأشرفهم عليها اختير لها مديراً لكفاءاته العلمية والشخصية فقام بأداء مهام إدارتها سنين عديدة ثم استقال منها منذ بضع سنين، وتزوج من كريمة السيد عبد الأمير آل نصر الله وحج بيت الله الحرام وساح في كثير من الأقطار العربية والإسلامية وإيران.

والأستاذ السيد مرتضى أنساني النزعة في خلقه الفاضل وسلوكه الاجتماعي وتفكيره الوجداني في قضايا دينه وأتمه، وله مكانة محترمه بين الناس.

هكذا يجب ان يكون الخطيب:

لقد خلق المنبر في الإسلام ليجلجل من على أعواده صوت الحق والعدل في حياة المسلمين ليوقظهم دائماً وأبداً من سبات الجهل والتأخر والجمود بالوعي والتفكير الجدي لإيجاد حياة أفضل وأسعد، ويجمع شملهم في وحدة متماسكة على قاعدة الأخوة الكريمة التي يهدف إليها الإسلام في رسالته السماوية السمحاء.. وليهز أيضاً كيان الباطل ويزعزع عروش الجبابرة ويحطم أبراج الحكام المتعسفين المفسدين في حياة الشعوب الإسلامية والعربية في كل زمان ومكان. ولقد كان المنبر قبل مصرع إمام الثائرين وشهيد الحق والإباء الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وسيلة لبث تعاليم الإسلام وأحكام شريعته

الغراء بين المسلمين الأوائل وتقويمهم بواسطتها ورفعهم إلى مستوى الكمال العقلي والنفسي والخلقي والإنساني، وهكذا كانت صفته.

ولكنه بعد واقعة الطف الدامية الأليمة التي انتهت باستشهاد هذا الإمام الثائر المصلح العظيم ومقتل ذويه وأنصاره الكرام وسبي نسائه.. أصبح ذا أهمية أكبر من ذي قبل، فيما امتاز في جوهره بأكثر من وسيلة وصفة. حيث اتخذ إضافة إلى صفته السابقة - أداة موفقة - للتعبير عن أصدق المشاعر المكنونة في أعماق النفوس بتبيان معالم الحق والعدل والحرية والكرامة الإنسانية والقيم الرفيعة والمثل العليا التي تار وضحى من أجلها - أبو الشهداء الحسين (ع) - بالنفس والنفيس من جهة .. وتبيان مساوئ الظلم السياسي وضاوته البشعة بما فيه من طغيان وغرور وانحراف نحو الكفر والإلحاد وامتصاص الدماء وغير ذلك من الرذائل والموبقات التي اتصف بها - يزيد وأبوه معاوية - وأمثالهما من حثالات البشرية وطغاة الأرض . . من جهة أخرى - الذين حكموا وتحكموا باسم الدين والدين منهم براء.

أجل: - هذا هو شأن (المنبر) في الإسلام قديماً وحديثاً فهو مدرسة سيارة خالدة تعيش مع العصور والأجيال ماشاء الله لها أن تعيش.

وإنّ دور الخطيب في هذه المدرسة التربوية والتوجيهية دور المعلم الكفوء، والمرشد الإنساني، والقُدوة الصالحة، لأنه يعتبر لسان حال الجماهير إذ يبعث فيها الوعي الديني والسياسي ويمثلها في الرأي والعقيدة والشعور ويدافع عن حريتها ومعتقداتها وحقوقها بلسان

قاطع صريح وجراة وصلابة وإيمان في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ولا تأخذه في سبيل الله لومة لائم مهما تكن العقبات.

وإنّ الخطيب الوجداني صاحب رسالة تختم عليه القيام بأدائها على أتم الوجوه مهما تكن الأوضاع والظروف، مع العلم إن أداء الرسالة يتطلب بطبيعته استعداداً فكرياً، وكفاءة علمية، وشجاعة نفسية، واستقامة وتضحية.

وقليلون أولئك الخطباء الذين يشعرون بهذه المسؤولية وتتوفر فيهم هذه المزايا، والأستاذ السيد مرتضى القزويني من هذه القلة القليلة بين الكثرة من الخطباء المعاصرين.

وهو أول خطيب رفع صوته في وجوه الشيوعيين الفوضويين إبان ظهورهم على مسرح التضليل السياسي - الحزبي - وفضح نواياهم الخبيثة وحارب مبدأهم الهدام برباطة جأش، وقد اعتقل من جراء ذلك قرابة شهر واحد في السجن السياسي ببغداد عام - ١٩٥٩م - واجري معه التحقيق خمس مرات وأطلق سراحه أخيراً بدون محاكمة. وقد استدعى أكثر من مرة إلى وزارة الدفاع لمقابلة - الحاكم العسكري العام - في العهد القاسمي للمشاكل التي حدثت له بسبب مساسه وتعريضه بسياسة تلك الحكومة .

وله أخطر موقف في المحاججة مع - عبد الكريم نفسه - يوم دعاه مع جماعة من أصحاب المدارس الدينية الرسمية في النجف وكربلاء لتناول طعام الإفطار على مائدته بتاريخ ٢٠ / رمضان (١٣٨٠ هـ) -

١٩٦٠م) فقد ارتجل كلمة عند دخوله وإياهم عليه ناقشه فيها حول كثير من القضايا والأمور التي أفسدت وضع البلاد، كما طالبه بكل صراحة وبسالة بتطبيق نظام الإسلام وإلغاء قانون (الأحوال الشخصية) الذي شرعه وساوى فيه بين الرجل والمرأة في (الإرث) خلافاً لحكم الله وتحدياً سافراً لقوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَّاتِ﴾.

وفي هذا الاجتماع صرح - قاسم - بأنه سيمنح كل مدرسة دينية رسمية مبلغ (٥٠٠ / دينار) فرفض الأستاذ القزويني هذه المنحة وردّ عليه قائلاً: "إنّ مدرسة الإمام الصادق - وكان يومئذ مديرها - مستغنية لأن رجال البر والإحسان في كربلاء بوجود العلماء الأعلام يمدون إليها يد العون والمساعدة المادّية دائماً ويديرون شؤونها.." والجدير بالذكر أنّه خرج وحده من - وزارة الدفاع - غاضباً وأبى أن يفطر على مائدته وعاد إلى كربلاء، وهو لم ينتهز فرصة هذه الدعوة إلا ليقول كلمة الحق عند سلطان جائر.

أجل: - هذا هو الدين.. وهذا هو منطق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دستور شريعته الغراء، وهكذا يجب أن يكون الخطيب المؤمن برسالته وواجباته ومسؤولياته الأدبية والدينية والإنسانية.

من مآسى الماضى القريب :

لقد مرت على العراق ظروف حالكة اجتاح فيها الإعصار الشيوعي بأمواجه العارمة التي دخلت كل مدنه وقراه وجرفت الألوف من الفتيان والفتيات وتجرع الشعب تحت كابوسه الثقيل ألوانا من الظلم

والاضطهاد والتعذيب والتنكيل على أيدي الشيوعيين الفوضويين الذين شاءت لهم الأقدار الساخرة أن يسودوا بالإرهاب والوحشية الضاربة لفترة من الزمن بعد ثورة (١٤) تموز .

وفي تلك الأيام بالذات، وبسبب الظروف الشاذة التي أهيئت فيها الكرامة الإنسانية، وضاعت المقاييس، وديست الحقوق، واحتدم الصراع على أشده بين الفضيلة والرديلة... وخرج آية الله العظمى والمرجع الديني الأعلى سماحة الإمام الأكبر السيد محسن الطباطبائي الحكيم من النجف الأشرف في يوم ٢٧/جمادي الثاني سنة (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م) وتوجه نحو مدينة كربلاء عن طريق الحلة حيث تناول طعام الغداء عند أحد شيوخ المسيب وهو الشيخ عبد علي.

وخرج الكربلائيون بعد ظهر ذلك اليوم بمختلف طبقاتهم لاستقبال سماحته خارج المدينة كما ذهب المئات منهم إلى المسيب وتعطلت بهذه المناسبة التاريخية كافة الأسواق والمحلات وكان أروع يوم شهده تاريخ هذه البلد المقدس.

ومن مهازل القدر السافر... أن الفوضويين (طلّاع الشر والسوء) قد تجمعوا من أماكن قريبة وبعيدة بتشكيلاتهم العجيبة ووجوههم الغريبة لمحاولة القضاء على سماحته^(١).

^١ - إن هذا الموضوع التاريخي مجتزئ من كتاب مخطوط هام للمؤلف بعنوان : [بطولات كربلاء في فترة الطغيان الشيوعي].

وعند وروده حاصروا السيارة التي كانت تقله وتعلقوا بأطرافها وصعدوا عليها بهجمات مسعورة وهتافات معادية ، وقد تجسد الخطر عندما أوقفوها عن السير مرتين - الأولى - عند باب الشهداء - والثانية - عند باب القبلة للصحن الحسيني الشريف ولكن الله أراد لهم الفشل الذريع لما بذل أبناء كربلاء الغيارى من تضحيات جبارة في درء الخطر عن سماحته. وفي الحقيقة إنها كانت معركة صاخبة ضاربة بين قوى الخير وقوى الشر في وضع رهيب يعجز القلم عن وصفه!!.

وفي الوقت نفسه - عند غروب الشمس - عندما كان فضيلة السيد مرتضى القزويني يخطب بهذه المناسبة في ديوان زعيم الثورة العراقية آية الله المرحوم الشيخ محمد تقي الشيرازي في صحن الروضة الحسينية تجمعهم هؤلاء الفوضويون الدخلاء على باب الديوان بأحقادهم الثائرة بعيد فشل مؤامرتهم الدنيئة تلك ولم يستطيعوا الدخول عليه فظلوا ينتظرون خروجه ليفتكوا به وقطعوا الأسلاك الكهربائية المتصلة بمكبرات الصوت لإخماد صوته، وبينما هم كذلك إذا بشقيق المؤلف السيد مهدي آل طعمة قد شق جموعهم بشهامته وتبعه المؤلف أيضاً فطرقا باب الديوان بعنف، ونادياه بشدة، ففتحه لهما فأخرجاه من بينهم - متوسطاً بينهما - وأنقذاه من الخطر المحقق به في حماية شديدة وأدخلاه إلى الروضة الحسينية المقدسة حيث ذهب إلى بيته بسلام.

وأقولها للتأريخ بكل فخر واعتزاز - والتاريخ مرآة الحوادث في حياة الأجيال على مر العصور - إنه لم يكن لأية مدينة في العراق ما كان لمدينة كربلاء من مواقف جبارة وجهاد بطولي رائع في تلك الفترة الحالكة التي شهدتها العراق في تاريخه الحديث المليء بعظم المآسي وشدائد المحن كانت قلعة محصنة بأبنائها الأشاوس الذين أصبحوا مضرب المثل في حفاظهم على قدسيتها، ودفاعهم عن كرامتها بسلاح العقيدة والإيمان ضد أعداء الشعب والدين والوطن، وكان يرثى مواقفهم البطولية في كل مكان من العالم عبر الأثير، حيث كانت كربلاء (دار أمان) لأبناء العراق كلما كانت تهب عليهم عواصف الإرهاب الأحمر في تلك الفترة القاسية. وكان من بطولات كربلاء وتضحياتها العظيمة المدوية من أجل القيم والمثل العليا في معترك الصراع العقائدي الرهيب انبثاق فكرة المهرجان الديني العالمي العظيم الذي أقامته بمناسبة ميلاد وليد بيت الله الحرام ومفخرة الأجيال البشرية وعظيم الإنسانية في الشرق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خضم تلك الظروف العصيبة ومعمراتها السياسية الصاخبة عام (١٩٥٩) وكان الهدف منه إعلاء كلمة الإسلام وبت الوعي في نفوس الجماهير لزعة كيان الباطل والكفر والإلحاد والفساد في المبادئ الهدامة الوافدة... وهكذا نجحت في فكرتها وحققت النصر وأصبح مهرجانها شعاراً سنوياً خالداً منذ سنته الأولى.

وقد انفردت - كربلاء - دون غيرها بهذه المأثرة العظيمة التي أنارت بها صفحات التاريخ بأحرف من نور، وكللته بوشاح المجد الخالد إلى الأبد، فلها القصب السبق والمثل الأعلى. إذ أيقظت المشاعر وألهمت النفوس بحرارة الإيمان حتى إذا أقامت (مدينة الحلة) بعدها احتفالاً مماثلاً في الفكرة بميلاد الإمام الحسن السبط "عَلَيْهِ السَّلَام" ليلة ١٥ / رمضان / ١٩٥٩ كما أقامت النجف الأشرف أيضاً احتفالاً كبيراً بميلاد الإمام الحسين "عَلَيْهِ السَّلَام" في مساء ٣ / شعبان / ١٩٦٠ واستمرت على إقامته سنوياً. وفي أيام المحنة والفوضى تلك وقف خدم الروضتين المقدستين شيباً وشباناً دروعاً واقية لسماحة الإمام الحكيم خلال مدة إقامته في كربلاء من ٢٨ / جمادى الثاني حتى يوم ١٥ رجب حيث حضر سماحته الاحتفال الأول الخالد الذي كان حديث الإذاعات العربية والإسلامية والأجنبية. ولقد كانوا يطوقون سماحته في حلقة واسعة متماسكة الأيدي أثناء خروجه من البيت لزيارة الروضتين المقدستين وأداء فريضة الصلاة الجامعة حتى عودته إليه في حراسة شديدة حفظاً على وجوده من أي اعتداء فوضوي دخيل. والوجيه السيد عبود الشروفي جهود كبيرة في هذا الموضوع. ورب متسائل يقول: لماذا جاهر الفوضويون بعدائهم السافر للإمام الحكيم بمثل هذه الصفاقة الملحوظة؟ ففي الإجابة على ذلك نقول: لأن الإمام الحكيم هو المرجع الديني الأعلى الذي يمثل بشخصيته العظيمة طائفة الشيعة الإمامية في العالم الإسلامي، وكان الفوضويون

يعتقدون أنّ أيّ إضعاف يصيبه من جانبهم هو إضعاف للمركزية الدينية والزعامة الإسلامية وإذا ما أصيبت الزعامة الإسلامية بضعف - لا سمح الله - فإنه سيّشمل كافة العلماء الأعلام - مراجع التقليد - وإنّ إهانة العلماء هي إهانة للأمة وهل نبقى للأمة الإسلامية قيمة أو كرامة إذا أهين قادتها الروحيون أو تعرضوا لعدوان أثيم أو خطر جسيم؟ فكيف وهم المصابيح التي تنير الطريق بنور الإسلام الذي قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. وتمثل هذه الصورة التاريخية الخالدة جانباً من تلك المواقف الرائعة للسادّة خدمة الروضتين.



التقطت هذه الصورة الرائعة في الروضة العباسية المقدّسة

وبعد هذه اللمحات التاريخية الخاطفة نمضي مع الأستاذ القزويني

في:-

أدبه وشعره :

لقد تأثر بكثير من الشعراء المتقدمين والمتأخرين من خلال مطالعته لدواوينهم وغيرها من كتب الأدب العربي ضمن دراساته منذ صغره حتى نشأ أديباً وشاعراً. وفرضت عليه طبيعة الخطابة المنبرية أن يكون شغوفاً بحفظ ألوان من الشعر القديم والحديث خاصة ما يتعلق منها بمدائح ومراثي الرسول الأعظم (ﷺ) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) أن لـ "خاله" المرحوم السيد محمد صالح القزويني الأثر الكبير في تنمية موهبته الشعرية وهو شاعر بالوراثة قبل الاكتساب وقد سبق القول إلى أن (جده لأمه) وهو المرحوم السيد مهدي القزويني كان من كبار علماء وشعراء كربلاء وله ديوان مخطوط لم يطبع حتى الآن. والأستاذ السيد مرتضى شاعر مطبوع وله إيمان برسالة الأدب والشعر. ويفرض عليه هذا الإيمان طريقة الالتزام في النظم^(١) فلا ينظم

^١- وعلى ذكر الالتزام في الأدب. أتذكر أنني عرضت عليه كلمة أُنبتُ بها المرحوم السيد محمد حسن آل ضياء الدين المتوفى عام "١٩٥٣" قبل إلقائها فأبدى إعجابيه بها وسألته: (عجباً أنك لم تقل شيئاً في رثاء السيد سادن الروضة العباسية الذي تسابقت في تأبينه أقلام الأدباء، وفاضت في رثائه فرائح الشعراء، ورددت مآثره السنة الخطباء...؟) "أجابني:- "صحيح ذلك بل إن للمرحوم السيد محمد حسن

الشعر إلا في حق النبي (ﷺ) والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) مدحاً وراثاً دون غيرهم إلا نادراً .

وشعره ناضج نضوج فكره. يسبح بين العاطفة والخيال والوجدان، والشعور الرقيق، والعقيدة والإيمان، قوى السبك، بارع التركيب، رائع الصياغة والفن، يؤثر في النفس وكأن له سلطاناً عليها، ونفيض قريحته بروائع تقرأ فيها آية الفن والجمال الشعري الساهر.

نماذج من شعره :

قال يرثي أبا الشهداء الإمام الحسين بن علي "عليه السلام" صريع الغدر الأموي الوحشي الذي لم يسبق له مثل في تاريخ البشرية فاستمع إلى أنات قلبه المنفجع لتلك المأساة والفاجعة العظمى التي أبكت السماء والأرض على حد سواء، فتراه يخاطب الإمام الشهيد ويشيد بطولاته الفذة وإبائه العظيم قائلاً في صدق وإيمان:ـ

من المكارم والمآثر ما يجب أن تفرد في كتاب ضخم وقد كان من العظماء . .
ولكني آليت ألا أمدح أو أرثي أحداً إلا النبي وآل بيته (عليهم السلام)....".
والحقيقة أن المرحوم سادن الروضة العباسية كان عظيم الشخصية جليل القدر كريم الخلق متواضعا مع سمو مقامه ، كثير البذل والعطاء مضيافاً، وكان تقضى على يده الحوائج والمهمات وقد خسرت مدينة كربلاء خسارة فادحة لن تعوض، ولمنزله الكبيرة في نفوس الكربلايين استمرت مجالس الفاتحة على روحه من قبل طبقات وأصناف البلد إلى يوم أربعينه وكان ختامها احتفالاً تأبينياً عظيماً لم تشهد كربلاء مثيلاً له حضرته وفود غفيرة من كافة أنحاء العراق وراثه فيه عدد من العلماء الأعلام ولفيف من مشاهير الأدباء والشعراء في العراق.

أحييت دين الله بابن محمد

وفديت دون الذب عنه وجوداً

وأبيت إلا أن تموت بعزة

فرميت رمياً في الإباء شديداً

ومضيت محمود الخصال منزهاً

وتركت ذكراً لا يزال حميدا

ونهجت نهجاً في الفضيلة حائز

الشرف المؤثل طارفاً وتليدا

ووثبت وثبة ضيغم قد غاظه

شره الكلاب فهب يردى الصيدا

حلقت في جو الإباء مشمراً

عن ساعديك ومشرباً جيداً

وسللت سيفك في وجوه طالما

تخذت لها شر الورى معبوداً

مزقت مقتحماً صدوراً أضمرت

لبنى النبي ضغائنا وحقوداً

قابلت وجههم بوجه عباس

وفللت جمعهم وكنت فريدا

لم تثن في يوم الكريهة جبهة

بل كنت مقداماً بها صنديدا

تبت يدا فئة جفتك وناققت

في الدين واختارت عليك يزيداً

وللشاعر تصور لنا بريشة شاعريته مفاصد الأحزاب السياسية بأنظمتها القائمة على فلسفات مادية تفسد عقيدة المسلم وخاصة النظام الشيوعي الملحد الذي يعمل على استعباد الإنسان للإنسان ويجرده من الإيمان بربه والاعتراف بوجوده " ثم يقول: _ إن طريقنا واضح زاهر مستقيم وهو الإسلام فلا الشرق الملحد ولا الغرب الكافر يستطيع كلاهما أن ينقذنا من المعضلات بل هما سبب شقائنا وشفاء الإنسانية جمعاء وإن سعادة الإنسان في الإسلام إذا تمسك بحبله المتين وهكذا يقول واعظاً ومرشداً: _

يا قوم سيروا إلى الإسلام واتبعوا
 في الرأي قادتنا الغر الميامينا
 وطبقوا ما أراد الله واتخذوا
 ما أنزل الله دستوراً وقانوناً
 لاتذهبن بكم للكفر فلسفة
 من ها هنا تارة أو ها هنا حيناً
 لا الشرق من نكبات الدهر ينقذنا
 كلا ولا الغرب في الأحداث يجينا
 هذا الطريق فسيروا نحوه وثقوا
 إن العدو إذا نرضاه يغويننا
 تالله كلهم أعداؤنا وهم
 بالمغربيات وبالتضليل يغزوننا
 هم الذئاب جميعاً ليس همهم

إلا تملكننا . . . إلا تردينا
إننا أناس لنا دين وفلسفة
ومبدأ ليس بالإلحاد مقرونا
ومنهج محكم أرسى قواعده
رب البرية إحكاماً وترصينا
دين قويم حباه الله أمتنا
لتملأ الأرض إرشاداً وتبيننا
وليننا الله والإسلام مبدؤنا
محمد سيد الكونين هاديننا
لقد حكمنا قروناً تحت رايته
بالعدل وانصاعت الدنيا لماضينا
قدنا الشعوب ولا اشتطت قيادتنا
عن الصواب ولا خابت مساعينا
سدنا ولم تك للفوضى سيادتنا
كلا ولم تك يوماً من مبادينا
شعارنا العدل والتوحيد غايتنا
والسير وفق التقى أقصى مرامينا
إننا لندعوا إلى الإسلام تنشره
والنصر من ربنا الرحمن يأتينا
وله في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قصيدة تفيض
بمعاني الحب والولاء والإعظام لشخصيته المثالية الفذة فاستمع إلى

هذه الألحان الشاعرية المنسابة من صميم اعتزازه ببطولات الإمام
الجبارة في الإسلام وتقديسه لها كما يبدو:ـ

فيك يا سيد الوصيين معنى
جل عن أن يناله الأوصياء
ولك السبق في الفضائل لم
يسبقك فيها الأنداد والأكفاء
فلكم وقعة أبنت بها عن
عزيمة زلَّ عندها الأقوياء
وجهاد أبليت فيه بلاءً
عن يقين يا حبذاك البلاء
ولكم خضت في المنايا بسيف
كان للمشركين فيه الفناء
فلعمري لولا حسامك ما قام
لهذا الدين الحنيف بناء
بيدر حطمت للشرك حصناً
وقلاعاً فارغم الأعداء
وبأحد كنت المحامي لـ (طه)
حين ولت أديارها الجبناء
صلت كالليث في صفوف الأعادي
ومن المشرفي تجري الدماء
وبيوم قابلت (عمرو بن ود)
بدرت منك ضربة نجلاء

لم تعد خائباً كما عاد (يتم)

وعدي - وما عراك استياء

كنت في الحرب والصلاة إماماً

ولهم فيهما وراك افتداء

كنت غوث اللاجين كهف الأيامي

واليتامى جلاسك الفقراء

ولقد تواردت على شاعرنا القزويني خواطر تاريخية، ولمحت

حقائقها ذهنه وفؤاده حين كانت تجري به السفينة في البحر في موجه

كالجبال من الإسكندرية إلى بيروت في عام (١٣٧٥ هـ) وكان للطبيعة

حينذاك أثرها الفعال في توارد تلك الخواطر التي لم تكن في حسابان

شاعريته قبل أبحاره، وذلك إذا تمثل له يوم خال من أيام التاريخ

الإسلامي كيوم (الغدِير) الذي نصب الرسول الأعظم "ﷺ" الإمام

علياً "عليه السلام" خليفة على المسلمين وإماماً بأمر الله فإذا به صهر حادث

ذلك اليوم الأغر من وراء أربعة عشر قرناً في بودقة شاعريته فجاء

وصفاً فنياً رائعاً كهذا الذي ينسجم مع الذوق والقلب والعقيدة في

طبيعته:

أزمع الركب يقطع الصحراء

وعليه أضفى الجليل بهاء

فوقه رفرف السكون فلا

تسمع همساً ولا تحس رغاء

والرسول العظيم في وسط

الصحب الغطاريف يمتطى الغضباء
 هيبة الحق جللته فلم ير
 مقه راء إلا وغص حياء
 ألبسته مع الجلالة ثوباً
 وكسته من العلى كبرياء
 في جموع تضم تسعين ألفا
 أو يزيدون يملأون الفضاء
 سار حتى وافى "الغدیر" بخم
 حيث من ربه تلقى النداء
 أيها المصطفى أنخ ثم بلغ
 ما عن الله قد حملت اصطفاء
 فأناخ الرسول راحلة السير
 وأومى لـصحبه إيماء
 ودعاهم إلى النزول فهبوا
 يستجيبون للرسول النداء
 جلسوا تحت لفحة الشمس جمعا
 ولظى الحر يصهر الرمضاء
 فارتقى ذروة الحدوج ووفى
 هم خطابا قد حير الفصحاء
 ثم نادى الست أولى فقالوا
 أنت أولى بالمؤمنين ولاء
 فدعا المرتضى وقال لهم من

كنت مولاه فليؤدّ الوفاء

فعلي (مولاه) قال إلهي

من بواليه واخذل الأعداء

وهذه قصيدة أخرى تطلعنا بروعتها وفيها يعبر القلب والضمير قبل

الشعور واللسان، وتفيض فيها القريحة عقوداً منظمة كأنها الجمان، فيها

هو شاعرنا في محراب الحب والولاء، يرسل نشيد إيمانه إلى رحاب

الإمامة، وكأنني به يترنم بمولد الإمام المهدي المنتظر ويقول:ـ

بدا كوكب في الفجر فالتهم الفجرا

وشعت بزاهي نوره القبة الخضرا

وأشرق نبراس الهداية زاهراً

فاخجل من لألائه الشمس والبدر

فياليلة الميلاذ بوركت ليلة

لان ليالي القدر قد فقتها قدرا

سرى بك نور عن جبين مطهر

لخير إمام زان طلعتة الغرا

وفاح أريج الحق من بطن نرجس

فضوع أرجاء البلاد به عطرا

فيا أرض سامرا سموت على السما

كفى لك فخراً فيه يا أرض سامرا

فأسرى به الرحمان عند ولادة

إلى العالم الأعلى فسبحان من أسرى

ولكنه قد غاب قبل تمامه

فألهب أحشانا بغيبته الكبرى
 والله يوم يخرق الحجب ثائراً
 على الظلم إذ يبدو ورايته تترى
 والله يوم يزهر الأرض نوره
 فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً
 وتراه بعد أن يستنهض الإمام يصور لنا مأساة فلسطين واللاجئين
 وغدر اليهود الغاصبين وقد نظمها قبل ثمانية سنوات تقريباً:—
 إمام الهدى نهضاً فدتك نفوسنا
 وعجل فلا نستطيع يا سيدي صبرا
 اصبراً وذو أيدي الفساد تلاعبت
 بأوطاننا طوراً بأوضاعنا أخرى
 اصبراً وذو شباننا تركوا الهدى
 وأعداؤنا قد سمموا منهم الفكرة
 فما لمباديهم وفتيان يعرب
 وما لبنينا والشيعوية الحمرا
 وهذي ملوك المسلمين تخاذلت
 لأطماعها طوراً فأفسدت الامرا
 أضاعت بلاد المسلمين فأجلبت
 عليها جيوش الكفر تغصبها قسرا
 وشردت السكان عن عقر دارهم
 يسومونهم سوء العذاب بها مرا
 فيارب أم والرضيع يجنبها

يلوك ولا يستطيع نفعاً ولا ضراً
تهيج لي ذكرى (فلسطين) لوعة
فيا صاحبي سرى (قفا نبك من ذكرى)
ألم تك مسرى للنبي مقدسا
بها المسجد الأقصى بها الآية الكبرى
تصيح بها (صهيون) نهبا سطا على
أرامل تجثو عند أيتامها حيرى
فياليت شعري ما الذي جرأ العدى
ليسطوا علينا يتغنون بنا شرا
نفاق وزور وارتشاء وخذلة
ندين بها سراً ونكرها جهرا
خلاف وتفريق سرى في شعوبنا
فضاق بنا ذرعا وجرعنا المرراً
ونلتقي أخيراً مع شاعرنا في هذه الأبيات من قصيدته الرائعة التي
ألقاها في مهرجان كربلاء الدين العالمي بميلاد الإمام علي "ع" في
السنة الأولى (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٨ م)؛ وقد أبدع فيها ما شاءت قريحة
السيالة أن تبدع في إبراز الفن على لوحة الجمال الأدبي وفي رياض
الحب والعقيدة والولاء لأبي الأئمة وسيد الأوصياء (ع) ومن هو
أحرى من الإمام بهذا المديح؟_-
العدل يهتف في بليغ سرور
قد جاء أكبر رائد وتصير

والحق يصرخ في وجه خصومه
 قد جاء أفضل قائد وسفير
 قد شرف التاريخ أعظم ثائر
 صوت العدالة في اجل عصور
 قد جاء خير مدمر صرح الفساد
 ومنذر الطغيان بالتدمير
 قد جاء عون الكادحين وراحم
 المستضعفين وغوث كل فقير
 بطل يخلده الزمان معظماً
 ويديمه التاريخ بالتكبير
 هذا عظيم فوق كل معظم
 هذا أمير فوق كل أمير
 هذا (علي) سيد الأبطال في
 عزم وفي حزم وفي تدبير
 هذا (علي) قدوة الأجيال في
 الأقوال والأعمال والتفكير
 ملاً الزمان مناقباً ومآثراً
 لم تبل بالترديد والتكرير
 ويسجل التاريخ عنه مناقباً
 جلت عن الترقيم والتسطير
 شهدت ميادين الجهاد بأنه
 أقوى نصير للهدى وظهير

ولديه ساحات الوغى قد أذعنت

بضرابه وطعانه المشهور

ليث يكر على الطغاة فلم يعد

إلا ويحصد رأس كل كفور

يذر الطغاة سوابحا بدمائهم

فيعيد للطغيان شر مصير

وكم كان يودي أن أتناول شيئاً من نثر شاعرنا الحاج السيد مرتضى

القزويني ليأخذ مكانه إلى جانب شعره ولكن ضيق المجال لم يسمح

لنا بذلك، وسواء فعلنا ذلك أم لم نفعل، فإن لقلمه في مجال النثر قوة

ورصانة كقوة شاعريته في مضممار الشعر.

كثّر الله رجال الفكر والأدب من أمثال صديقنا الغالي - أبي علي -

لينتفع بهم الجيل في الحاضر والمستقبل .



السيد صدر الدين

- الحكيم -

الشهرستاني

خطيب بارع، وشاعر لامع، وأديب شهير، وقد لمع نجمه بين النجوم السواطع في سماء الأدب العربي المعاصر، وهو بلبل حفلات كربلاء الصداح فإذا ما وقف في أي مناسبة لينشد رائعة من روائعه تجتذب نغمات شاعريته الساحرة القلوب، وتتوق لسماع صوته الرخيم نفوس السامعين.

ولست في مقام مدح أو إطراء شاعرنا المعروف هذا فهو أغنى من أن يكون غنياً عن التعريف، وأشهر من أن يكون شهيراً في مضممار الفن وطاقاته ومواهبه، وحسبي ما أقوله عنه لا يخرج عن نطاق الحقائق وهو - محورها الطبيعي - وقطب رحاها.

مولده وأسرته ونسبه :

ولد في كربلاء سنة "١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م" وهو نجل المرحوم السيد محمد حسن الحكيم وقد عرف بالعلم والفضل وكان حاذفاً في - الطب اليوناني - إلى حد بعيد وكان يراجعه المرضى في - عيادته - فيعالج أمراضهم بالعقاقير الطبية لا بعد تشخيصه المرض في دقة وذكاء وحذق .

وليس شاعرنا من أسرة السادة الأكارم - آل الشهرستاني - الموسويين العريفة في كربلاء كما هو المشهور بذلك، وإن أسرته التي ينحدر منها تعرف بـ (آل الحكيم) ولها مشجرة خاصة^(١) وقد اطلعت عليها فوجدت فيها نسب شاعرنا كما يلي :-

محمد علي - صدر الدين - وأشقائه السادة :- شمسي - محسن - فخري - أولاد السيد محمد حسن الحكيم بن السيد مهدي^(٢) بن السيد خليل بن السيد إبراهيم بن السيد محمود بن عبد العزيز بن عمران بن جعفر بن إدريس بن جواد بن عماد بن خليفة بن علي بن

^١- كتبت هذه المشجرة في سنة (١١٨٥ هـ) وذيلت بتواقيع وأختام عدد كبير من أشرف واعيان كربلاء الذين اعتمدوا على صحتها ومن تلك التواقيع التي نقلتها حرفياً هي:-

شاعر آل الرسول محمد حسين الحسيني النسابة - عباس بن نعمة الله آل طعمة الموسوي الحائري نقيب الأشراف - حسين بن محمد آل دراج الحسيني الموسوي الحائري - نقيب الأشراف - أحمد بن يحيى آل طعمة الموسوي الحائري الخادم - درويش بن محمد آل ثابت الحسين الموسوي الخادم - أحمد بن محمد حسين بن محمد علي الاشيقر الحسيني الحائري - محمد علي بن مرتضى بن عبد المطلب آل دراج الحسيني الموسوي الحائري - وغيرهم.

^٢- كان السيد مهدي جد المترجم له عالماً في الطب ومجتهداً في الفقه الإسلامي وشاعراً كبيراً وصاحب "ديوان" وله مؤلفات قيمة مخطوطة، وقد عرف هذا البيت بـ(الحكيم) نسبة إليه ثم ازداد شهرة من بعده بواسطة والد المترجم له الذي ورث علم الطب من أبيه وامتتهه طيلة حياته.

محمد بن فلاح بن محمد المهدي بن فلاح بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن رضا بن إبراهيم بن هبة الله بن طيب بن أحمد بن محمد بن قاسم بن أبي الفخار بن علي الضرير بن معمر بن عبيد الله بن جعفر بن محمد^(١) بن موسى - لأمّ ولد - بن عبد الله بن الإمام الهمام موسى الكاظم بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

نشأته :

نشأ تحت ظلال والديه اللذين بسطا عليه أجنحة الشفقة والحنان ورسما له برعايتهما طريق النشأة الصالحة وتشربت روحه مفاهيم الدين الصحيحة:

والحقيقة إن للبيت أثراً كبيراً في تقويم الطفل وتوجيهه الوجهة التربوية السليمة، وهو لا ينشأ إلا على تربية البيت فيما يقتبس من خلقه وعاداته وتقاليده ومعتقداته التي تنغرس في نفسه بذورها الطيبة، وتنطبع على صفحات قلبه آثارها بالفطرة، ثم تؤتى ثمارها كلما يتدرج نحو البلوغ العقلي والتكامل الشخصي:—

^١ - كان بعض أجداد هذا البيت يسكنون قديماً في (نصيبين) قرب مدينة (حلب) في سوريا ومنهم - محمد بن موسى - كما يذكره النسابة السيد أبو فضيل بن أبي الفتوح الحسيني في كتابه المخطوط (النحلة العنبرية في أنساب آل خير البرية) في ذكر أولاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقد وجدت نسخته في مكتبة العلامة السيد محمد البحراني وتاريخ تأليفه يرجع إلى سنة (٨٩١ هـ).

وإذا كان الآباء والأمهات يقدرّون المسؤولية ويشعرون بواجب القيام بالتربية على وجهها الأكمل استطاعوا عند ذلك أن يخلقوا من أبنائهم جيلاً صالحاً سليم العقل والفكر، رفيع المزاج، كريم الطباع، وأن يجعلوا منهم مصابيح مضيئة في حياة المجتمع.

والبيت هو مدرسة الطفل الأولى تحتضنه وليداً، وتعدّه للحياة والأبوان دعامتان أساسيتان لهذه المدرسة ومرآتها الناصعة التي ينعكس عليها المقياس الصحيح الذي يستطيع الإنسان على ضوئه أن يحكم في ما تتصف به من المثل والفضائل أو بالعكس.

ولقد كان شاعرنا ريب هذا البيت الذي أنجبه وأحسن تربيته، وأتم تهذيبه وأكمل تأديبه.

دراساته وأساتذته:

لقد تتلمذ السيد محمد علي - صدر الدين ت علي أحد شيوخ التعليم القديم وكان في السابعة من عمره، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ودرس القرآن الكريم ثم تتلمذ عد ذلك على المرحوم حجة الإسلام الشيخ محمد الخطيب مؤسس "المدرسة الدينية الرسمية في كربلاء" في العلوم العربية والفقه والأصول وكان من المقربين عنده لجده واجتهاده وحاز على شهادة التخرج من مدرسة عام " ٥٣ - ١٩٥٤ " كما تتلمذ على خطيب كربلاء المنطوق المرحوم الشيخ محسن " أبو الحب " الصغير وأخذ عنه فن الخطابة

المنبرية ولمع نجم في هذا المضممار ويعد اليوم من أبرع الخطباء المعاصرين.

ومن أساتذته أيضاً العلامة الكبير الشيخ جعفر الرشتي عميد "المدرسة الهندية" العلمية في كربلاء وقد درس عليه فصولاً من قواعد اللغة العربية والمنطق والبيان وتخرج من الدورة الدينية الخاصة برجال الدين عام "٥٩ - ١٩٦٠" فهو يمارس مهنة التعليم الابتدائي إلى جانب مزاوله الخطابة المنبرية . ويحمل شهادة الدراسة المتوسطة.

المنبر والخطيب :

قلنا قبل هذا ما تيسر لنا القول عن المنبر والخطيب وأهميتهما في حياة الإسلام والمجتمع الإسلامي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. ثم نضيف هنا إسهاباً أو إيجازاً كلمة أخرى لابد منها فنقول: -
الحسين بن علي (عليه السلام) البطل العظيم - الخالد - مدرسة الأجيال الكبرى، بل جامعة الحياة العظمى، تشع أنوارها الزاهرة على العالم البشري، ويتلقى فيها المسلمون دروساً بليغة تفيض بمعاني العزة والكرامة، ومفاهيم الحرية والإباء والتضحية من أجل العقيدة الدينية الحققة والمبدأ الإسلامي الأسمى وإعلاء كلمة الحق والعدل بعزم صارم وإيمان قويم.

وتلك هي من مزايا الرسالة الحسينية الإنسانية المشرقة التي تنير العقول وتصلق الأفكار وتهذب النفوس وتغرس فيها المثل العليا والقيم الإنسانية وتهدي الإنسان إلى منابع الخير والفضيلة والكمال،

وتضيء أمامه طريق الحق المستقيم ليسيير على ضوئه في مقارعة قوى البغي والظلم والفساد، ومحاربة الاستغلال والاستبداد والاستعباد في كل زمان ومكان على هدى رسالة الإمام الحسين عليه السلام معلم الأجيال ومحرر الإسلام من ربقة الكفر والشرك والإلحاد، والمصلح الثائر، أو الثائر المصلح الذي هدم بنهضته الجبارة المقدسة قلاع الديكتاتورية الأموية المطلقة على رأس "يزيد بن معاوية" الفاجر الخليع ومن لف لفه من حكام الخيانة والسوء .

ولقد وجد "المنبر" في الإسلام من أجل الهداية والتهديب والتتقيف وخلق مجتمع فاضل يشعر بمسؤولياته وواجباته في مجالات العمل المثمر البناء تجاه دينه ووطنه وأمته وكل مقدساته التي يؤمن ويعتز بها.

ولقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله صاحب "المنبر" الأول في الإسلام، وخطيبه المثالي في وعظه وإرشاده وتوجيهه ودعوته إلى الله برسالة السماء المقدسة (شريعة الإسلام) الخالدة وتعاليمها السامية، وكان أعظم خطيب من بعده تلميذه العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام "سيد الأوصياء الإمام البلاغة وأمير الفصاحة والبيان ومن بعده أبناؤه الغر الميامين من أئمة (أهل البيت - عليهم السلام)".

وحريٌّ بخطباء المنبر الحسيني في كل مكان أن يكونوا من ذوي الثقافة العالية والأدب الرفيع والأفق الفكري الواسع فتلك كفاءات تتناسب في جوهرها وطبيعة الخطابة، وتتلاءم وروح الرسالة

الإصلاحية التي يتجلى بها الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هي كفاءات يجب أن يتصف بها شخص الخطيب ليكون ناجحاً في أداء مهمته الخطابية .

والإسلام لباب من الحكمة الإلهية وحسب، وأن تفهم اللباب والتمسك بها يزيد الإنسان المسلم تفتحاً في الذهن، وبصيرة في العقل ، وتهذيباً في النفس، واستقامة في السلوك، ورقياً في الحياة. وإنَّ طبيعة العمل الخطابي تحتم على الخطيب أن يكون أحرص من سواه في تفهم تلك اللباب، واشد نهماً في الارتشاف من ينابيعها الفياضة التي تجعله أهلاً لأن يكون قدوة لمجتمعه، ومرشداً صالحاً في حياته، ورائداً إنسانياً يناط به تقويمه وتوجيهه توجيهاً إسلامياً وفكرياً صحيحاً على أتم الوجوه وأكملها سيما في عصرنا الحديث الذي هو كالبحر اللجج والتيارات الفكرية والعقائدية المعاصرة الكافرة المتناحرة مع الإسلام أمواجه المتلاطمة؟.

فالمنبر وسيلة ليث تعاليم الإسلام بين الإسلام، وغاية لرفع مستواهم الفكري وتنوير عقولهم وتحريرها من شوائب الجهل، وإيقاظها من سبات الجمود، لتكون دائماً وأبداً طاقات حيوية صافية تعيش مع النور وتكتشف الحقائق، وتبدد الظلام.

ودور الخطابة في حياة المجتمع كان ويزال عظيم الأهمية والأثر، كما أن مسؤولية الخطيب في نطاق العمل لخطابي عظيمة أيضاً، يشترك معه في هذه المسؤولية ضميره ووجدانه كفرد مثقف من أفراد

المجتمع الذي يعيش بين ظهرائه، وعضو نافع فيه، يشاركه في السراء والضراء، ويطالب بحقوقه وينتصر له في معضلات الأمور ومعمعات الظروف، لأن لسان الخطيب الوجداني الجريء كالسيف المسلط على رقاب الأعداء والطغاة المستعمرين الكفرة وأذنانهم، وصراحته في القول أنفذ إلى قلوبهم من السهم الطائش.

وإنّ نظرة الجماهير إلى خطيب كهذا نظرة واقعية فيها كل معاني والإجلال الثقة والإكبار.

أمّا الخطيب الذي لا يشعر بمسؤولية نفسه وعمله ... فيأمر وينهى في وعظه وهو لا يطبق أحكام الشريعة على نفسه قبل غيره.. ولا يتورع عن الكذب والزور، ويتخذ الخطابة (وسيلة) لابتزاز المال، والمنبر (غاية) للإثراء على حساب الدين فهو تاجر لا خطيب، ودجال محتال - مزدوج الشخصية - آثم قلبه ذلك لأنه لا يعمل بما يقول كما هو المفروض عليه ، ويريد من الناس أن يتعظوا بما لا تتعظ به نفسه: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّسْتِئْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

ولسنا بحاجة إلى الاستشهاد لإثبات ذلك، فالتاريخ في مختلف عهوده وأجياله هو الشاهد العادل على - وعاظ السلاطين أو - أبواق الدجل والتهريج - الذين لا يخلو مجتمعنا الحاضر من بعض نماذجهم مع الأسف الشديد.

وأخيراً: إن لخطيبنا الفاضل السيد صدر الدين الشهرستاني مكانة سامية وشهرة فائقة في ميدان الفن الخطابي لما يتصف به من صدق

وصراحة وجهاد عن الحق والعقيدة في بيانه الرشيق وفصاحته وأسلوب إلقاءه الجميل في العرض والأداء.

نشأته الأدبية :

كان قبل أن يفتح ذراعيه ليعانق بها صباه، وقبل أن تهب نسيمات الشباب الغض في أرجاء نفسه كان الحافظ الذاتي يدفعه وراء هدف معين.. هو دراسة الأدب ونظم الشعر، وقد نشأ على تذوقهما وغذى بهما روحه وفكره، وكان يطمح أن يكون من شعراء المستقبل، لذلك خاض غمار الكتب الأدبية ودواوين الشعراء القدامى في الجاهلية الإسلام وارتشف من مناهلها العذبة نميماً سائغاً لإرواء غليله، وحفظ منها الشيء الكثير، ثم بدأ ينظم الشعر وهو يومئذ لم يبلغ الحلم، وتعلم على أستاذ قدير كان يلقب بـ(فحل الشعراء) وهو المرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزي فاقتبس منه فنون الشعر حتى برع فيه براءة تامة وقد قال في حقه المرحوم الحويزي:-

يصدر المجد صدري اليوم حلا

فزينه بهجته وحلا

إذا وافى إلى العلياء يوماً

تقول له العلي أهلاً وسهلاً

وكان الحويزي يتوسم في تلميذه هذا نبوغاً في مستقبل أدبي زاهر،

ولذلك لم يأل جهداً في تنمية ملكته وصقل شاعريته.

خدماته الأدبية :

للأستاذ السيد صدر الدين خدمات أدبية كبيرة في هذا البلد العريق أيام كان يصدر مجلته الغراء - رسالة الشرق - المحتجة التي خدمت قضايا الفكر والأدب في كربلاء سنة كاملة منذ ١٥ عاماً، ثم أيام كان رئيساً (للهيئة العلوية) منذ عشرين عاماً تقريباً وكان يعد ندوات أدبية أسبوعية في ديوان - آل الشهرستاني - ويقوم حفلات كبرى في مناسبات دينية وأدبية وكان يتبارى فيها أدباء وشعراء من كربلاء وخارجها بنتاج قرائحهم وثمرات أقلامهم وكان المؤلف من الأعضاء العاملين وإياه في عقد تلك الندوات والحفلات الأدبية التي طوى الزمان رسومها بعد أن خلد في القلوب آثارها.

وللأستاذ الشهرستاني مكانة رفيعة تطل على جوانب مختلفة من شخصيته منها الجانب العلمي والأدبي والاجتماعي، ثم الجانب الإنساني وهو بحد ذاته يشمل جملة من صفاته الطيبة كالتواضع والوداعة كما يتصف أيضاً بنفس أبية لا تعرف الملق والتطفل وحب الذات على حساب الأدب. وهو رئيس للجمعية الخيرية الإسلامية - في كربلاء من عام (١٤٨٤ هـ - ١٩٦٥ م).

شعره وشاعريته :

لشعره طابع راق يتسم بالميزات الفنية والمستوى الرفيع، والخيال الخصب والفكر المتوقد والذوق السليم، والإبداع، والتمثيل الحقيقي لكل شيء يرتسم صورته على لوحة مخيلته، ويتوفر لديه الإحساس

المرهف والشعور العميق بتصرفاته الجميلة التي كثيراً ما تبدو في تراكيب الألفاظ السهلة، العميقة المعاني في أسلوب واضح لا تعقيد فيه ولا غموض.

وفي شعره قوة واتزان، وبهجة وجمال، وعاطفة وحماس وجاذبية طبيعية تجتذب القارئ والسامع، وينفذ شعره إلى القلوب بدون استئذان. وإنك حين تقرأ شعره تقف على حقيقة القول في شاعريته وموهبته، وإنك لترى من خلال تلك بريق الذكاء ووثبة الروح وقوة البلاغة والبيان ناشرة أضواءها في جو شاعريته التي تفيض بها قريحته السيالة بعصارات روحه ووجدانه وضميره في نتاجه الأدبي المرموق.

الاتجاهات المختلفة في شعره :

الحرية حق طبيعي من حقوق الإنسان وخاصة الأدباء والشعراء والمفكرين، وبحكم هذه الحرية الإنسانية التي جيب أن يتمتعوا بها من غير ضغط وكبت وحرمان ... يذهبون بأدبهم في الحياة مذاهب شتى. فالدين والسياسة والاجتماع، وكافة الشؤون والقضايا والأحداث ميادين واسعة الأرجاء أمامهم يصلون فيها ويجولون.

ولمّا كان شاعرنا هو الآخر يعشق الحرية والإنسانية كغيره من الشعراء ويتطلع إلى آفاقها المشرقة ويستوحي من معالمها أغايد الحياة . . نجده يمتلك القوة الفكرية التي تشد من عزمته وتجعله لا يترك ميداناً من هذه الميادين إلا ويتبارى في اقتحامها بنشاطه الذهني واستعداده الفطري .

فهو شاعر الحب والغزل، كما هو شاعر المدح والثناء، والمناسبات التي كثيراً ما يدعى إليها هي منطلق أفكاره وأحاسيسه على الأغلب يشار بها إليه بالبنان.

نماذج من شعره :

المقتطفات التي ستمر عليك - عزيزي القارئ - من شعر شاعرنا [صدر الدين] هي نموذج رائع حي من أدب وشعر - كربلاء - بلد العقيدة والإيمان، بلد الإشراق الفكري والقداسة الإسلامية العظيمة، بلد العلم والعلماء، والأدب والأدباء، والشعر والشعراء، والبطولة والأبطال، والثورة والثائرين. بلد ثورة العشرين الخالدة، الذي يحاول المغرضون أن يسدلوا من أباطيلهم ستاراً على أمجاده وبطولاته ومواقفه الجبارة في إشعال نار الثورة ضد جيوش المستعمرين (الانجليز) المعتدية التي غزت العراق في سنة ١٩٢٠ ولكن التاريخ يأبى إلا أن يشرق بالحق والحقيقة دائماً وأبداً ليمزق ستار الزيف، وليقطع لسان المفترين، وليكسر أقلام العابثين بحقائقه التي تبقى مرآة صافية مع العصور والأجيال. ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾.

لنستمع إلى صرخة الشاعر الوطنية الهادرة التي يندد فيها بالاستعمارين - الشرقي والغربي - من قصيدة نظمها بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وألقاها عام (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) فهو يقول:-

أمة الإسلام هذي صرخة

من صميم الدين لا تخشى الصراعا
 جئت أدعو صارخاً يا أمّتي
 لم منكم غير الحرص الطباعا
 لم حطّمتم كيانا شاده
 (أحمد) لما بجمع الشمل داعا
 مذ أتى الغربي يسعى عجلا
 لم صار الأسد في الحرب ضياعا
 وأتى الشرقي يسعى بعده
 فرأى النشء له ملكا مشاعا
 كل ذئب صار يرجو صيده
 وغدا الصيد لأقواها متاعا
 وحدوا الصف وكونوا قوة
 وانسفوا منهم هضابا وقلاعا
 واسحقوا المستعمر الغاشم في
 أيّ ثوب جاءكم يبغي الخداعا
 وترى الشاعر وهو ينادي دائماً بنزعته الإصلاحية لتوحيد الصفوف
 ونبذ الخصومات لإيجاد حياة كريمة يسود فيها الحب والصفاء بين
 الجميع، كما يذكر الشعب دائماً في مواقفه الأدبية المشهودة بمفاخر
 الأجداد من العرب والمسلمين الأوائل الذين حملوا راية الإسلام
 بسواعدهم الفولاذية وفتحوا الأمصار وقادوا الشعوب إلى السعادة
 والرقى وأذاقوا الطغاة والجبابرة طعم الموت بسيوفهم وأبادوهم

بالفناء، وحطموا عروش الأكاسرة والقياصرة حيث حكموا فأقاموا
بحكمهم قواعد العدل، وسادوا فنشروا بسيادتهم الأمن والسلام
والرخاء، وكان شعارهم التوحيد، وغايتهم العقيدة وهدفهم الإيمان،
فأناروا العالم بالعلوم والآداب والحضارة الزاهرة التي استضاء بها
الغرب أحقاباً طويلة من الزمن لا تمحي آثارها.

فالشاعر يبين هذه الحقائق في الأبيات التالية حيث يخاطب بها
جده الرسول الأعظم ﷺ "بمناسبة مولده الأغر ويشكوه فساد الوضع
الاجتماعي والسياسي أيام المحنة والفوضى سنة ١٩٥٩ قائلاً:-

يا رسول الله إنني شاعر
وبقلبي نفثة فيها التهاب
أججت في أضلعي جذوتها
وبوسط النار أحشائي تذاب
وأتى الأعداء من أطرافنا
سम्मوا الأفكار فانحاز الشباب
وإذا نحن قطيع تائه
ومن الأطراف جاءته الذئاب
أو لستم قادة الدنيا ومن
لعلى عزكم الأعداء هابوا؟
وشعوب الأرض كانوا باسمكم
يطلبون العدل أما اليوم خابوا
سادتي نهضاً فأنتم قادة

لأناس بهم سار الركاب
 جددوا العزم وكونوا قوة
 تنسف الأحلاف تحميها الحراب
 وارفعو رايتكم خفاقة
 فلكم لاشك نصر وغلاب
 ويضرب الشاعر مثلاً رائعاً مفاده: _ إن العدو الكافر الذي يتربص
 الدوائر بنا وبمقدساتنا وتراثنا الخالد _ يحسب أن الفرد منا أو يحسبنا
 جميعاً كالسمك الذي يعيش في جدول ضيق ويكون سهل الاصطياد!!
 وهو لعله يجهل أو يتجاهل بأن الإسلام سفينة عاصمة تجري
 بالمسلمين في بحار الهدى وتمخر عباها بسلام وأمان ويخفق عليها
 لواء النصر من عند الله، بينما تتقاذف أمواجها الشائرة العدوّة اللدود
 ومصيره فيها الهلاك.

وإليك قوله من قصيدته (أبا المعجزات) في مدح النبي ﷺ " بيوم
 ميلاده الميمون وفيها يدعو إلى اليقظة والحذر وجمع الشمل وتوحيد
 الصف ومطلعها: _

تَيْقِظُ أَخِي أَيُّهَا الْمُسْلِمُ
 تَيْقِظُ فَقَدْ خَسِرَ النَّوْمُ
 أَخِي لَا حَيَاةَ لِكُلِّ الشُّعُوبِ
 بَغِيْرَ نِظَامِكَ أَنْ يَفْهَمُوا
 أَخِي إِنْ دَسْتُورُنَا كَامِلُ
 يَضَاءُ بِهِ دَرَبُنَا الْمَظْلَمِ

نظام الإله لخير الوجود
وتعديله الكفر بل أعظم
أخي وحد الصف إن العدو
لتشتيتنا خططاً يرسم
يظن بأنك في جدول
وصيدك سهل ولا يعلم
بأنك بحر محيط وفي
بحار الهدى يغرق المجرم
أبا المعجزات رسول الإله
بحبك ها جمعنا مغرم
وأنت هو العربي الذي
بشرعته في الدنى نحكم
وأنت هو الهاشمي الذي
بتطبيق قرآنه نحلم
أنظر كيف يصهر الشاعر حبه للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في
بودقة شاعريته ويخرجه لوحة فنية رائعة تقرأ فيها:—
عظماً أمير المؤمنين
حماك أمن للطريد^(١)

^١— هذه الأبيات من قصيدة مطوّلة ألّقاها الشاعر في مهرجان كربلاء السنوي بميلاد الإمام علي عليه السلام في عام (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) ونشرت في مجلة (العرفان) في السنة نفسها.

٢٤٠ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١

حيـرت عقـلي ما أقول
وهـل لشـأوك مـن حـدود
ولأنت أعلم مـن بني
الإنسان في كل العهود
ولأنت رمـز تقـدم
الإسلام خـفاق البـنود
أنت الصراط إلى النجاة
إلى الرقي إلى الصعود
وفيها يؤلّب الجماهير على الفوضويين الملحدين الذين عبر عنهم
بـ (الشياطين) ثم بـ (الجمع الحقود) وما أجمل هذا التعبير! كما
وصفهم بـ (المستعمرين) وهو الرأي الصائب كما ترى:ـ

أفـلا تـرون الملحـدين
أتـوا بـ رأـيهم البليـد
ظلمـوا الشـعوب وكلهم
فينا كـ شيطان مريد
إبـن الشـهامة قد أتى
يـوم النهـوض مـن القـعود
ثـوروا ودكـوا صرح مـن
يبغـي لتـسطير بـالوعود
ثـوروا على المـستعمرين
بقـوة الحـق الصمود
ثـوروا فإن الله يـصركم

على الجمع الحقود
وله في مدح الإمام علي عليه السلام أيضاً: _
حق يشاد وباطل ينهار
إن كنت تنكر ذا فذى آثار
الحق نار بل منار للذي
ضل الطريق فأرشدته النار
الحق يعلو إذ تجلى توأمأ
لعلي وليد أنجبتة نزار
يا صاحب النهج القويم ومن لنا
(نهج البلاغة) من علاه منار
يا عالماً بالكائنات جميعها
كشفت لنا في نهجك الأسرار
لولاك لا شمس ولا قمر ولا
الأفلاك فيها كوكب سيار^(١)
وكذلك قوله: _
بدئ التاريخ فينا وتسامي
وعقدنا العزم أن نبقي كراما

^١ إن هذه القطع الثلاث التالية وما سبقها هي من قصائده التي ساهم بها في مهرجانات كربلاء السنوية العظيمة بميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من سنة (١٣٨١ هـ حتى هذه السنة ١٣٨٧ هـ). كما كان المؤلف شرف المساهمة الأدبية. - عرافة الحفل - فيها خمس سنوات إضافة إلى كلماته وقصائده.

وحملنا مشعل التحرير في
 حالك الدهر ولم نخشى اللثام
 وهدينا الخلق في إسلامنا
 ودعمنا الحق والحق استقاما
 بوليد البيت يا قوم ابشروا
 وانهلوا منح به جاما فجاما
 ولد الكرار في بيت غدى
 كعبة الإسلام للحجّ قواما
 شرف الدنيا علي المرتضى
 وسما الخلق وليداً وغلما
 واستضاء الكون في ميلاده
 وبدا في افقه بدرأ تماماً
 أنا آليت على أن اقتدي
 مبدأ التوحيد لا أرضى الخصاما
 أنا حر فكرتي واضحة
 وبأهل البيت أدركت السنما
 علوي - عربي - مسلم
 أطلب المجد ولا أخشى اللثام
 ثم تتفجر قريحته بمدح الإمام عليه السلام أيضاً فينشد قائلاً: -
 مهرجان الحق ثقفت العقولا
 ولهذا الشعب أصبحت الدليلا
 ودعمت الدين في فتياه

وسحقت الكفر مزقت الفلولا
توقظ النائم في صيحاتنا
وترى العالم أنال لن نزولا
فعليّ شرف البيت وفي
ذكره عبّد للدين السبيلا
جوهر قد صاغه الله ومن
بيته شع لنا يهدي العقولا
يا أميراً للورى يا من به
نصر الله هـدانا والرسولا
أنت فوق العقل والفكر وقد
وقف العقل بمعناك كليلا
أنت ليث العرب شهم تخذ
المجد والعزة والعلياء غيلا
أنت نبراس لشرع المصطفى
كاشف عن وجهه الخطب الجليلا
وله في مدح ريحانة الرسول الأعظم ﷺ وسيد شباب أهل الجنة
الإمام الحسين الشهيد ﷺ هذه الأنشودة الرائعة: _
وقفت مجاهداً كالطود تحمي
أبا الأمجاد قد أعطيت درساً
بليغاً وهو حق أن يذاعا
كيان الدين لم تخش القراعا
وقفت مشيداً صرحاً بناه

لنا الإسلام فارْتَفَع ارتفاعاً
وهيّا بي للسير مع شاعرنا جنباً إلى جنب، فإن مسامرة الشاعر
حيثما يحلق في أجواء الأدب تغذية للروح، ومتعة للفكر وانتعاش
للقلب، فله قابلية الإبداع في صناعة الشعر بمختلف ألوانه بذوق عال
وصفاء فكر، تعبق فيه نسمة الروح الأدبية العاطرة فبراعته في الغزل
فيها تجسيد حي لأدبه النابض، وهناك نموذج منه ثم تأمل كيف
يتغزل شاعرنا بليلة ميلاد بنت الرسالة وكريمة البيت النبوي الطاهر
فاطمة الزهراء عليها السلام وكم هو جميل مطلع هذه القصيدة:ـ

برزت ترنح عطفها بدلال
وسط الخميّلة منية الآمال
تركت حبيّاً لا يطبق تصبراً
إذ ظل عند ملامة العذال
كسرت بكسر لحاظها قلبي وقد
سار الفؤاد وراءها بسؤالي
لم ذا الجفاء وما حدا بلت فاخبر
قلبي .. فهلا تعطفين بحالي؟
إذ شرقت دنيا الوري صديقة
ولدت مع الإكرام والإجلال
بنت الرسول ويا عظيمة أمة
جلت وما أنا في الثناء أغالي
فلأنت سيدة النساء فريدة

الدينيا بلا ندد ولا أمثال
وهكذا يتغزل كعاداته بليلة ميلاد أبي الفضل العباس بن علي بن
أبي طالب عليه السلام بطل معركة الطف الدامية وحامل راية أخيه الحسين
عليه السلام فاستمع لهذا الوجد والحب والولاء:-

مرت علي فحققت أحلامي
فبرئت من سقمي ومن آلامي
وتعطر الأجواء من أشذائها
ورمى فؤادي جفنها بسهام
ما كنت احسب أن يزول خيالها
صبأ فكيف بها تلوح أمامي
نشوانة تحتال في أبرادها
بين الزهور بسكرة وهيام
وإذا بها تشدو ونهتف في الملا
بشرى الحسين بمولد ضرغام
بشراك يا سبط الرسول بمولد
العباس حامل راية الإسلام
من صفات شاعرنا أنه يفخر دائماً بالبيت الهاشمي العظيم الذي هو
مصدر العز والرفعة والمجد والإشعاع، وبيت السعادة العربية الأصيلة
فيقول مفتخراً بنسبه العربي العريق:-
أنا نسب يؤول إلى نزار
ورثنا منه عزتنا ورثنا

ومن (عمرو العلي) حزنا فخاراً
وأنا في (علي) قد علونا
بيننا بيتنا فوق الثريا
ولم نزل ولكننا صعدا
رفعنا رأسنا سلماً وحرباً
ولا نحنى رؤوساً قد رفعنا
فنحن الشمس حاسدنا ظلام
تمزقه بنور إن بزغنا
أمية حاربتنا من قديم
ولا زالت ولكننا انتصرنا
أرادت محو فكرتنا بعنف
ولكننا لفكرتها محونا
أبيناً أن نصافحها قديماً
لأن بها بيوت الشرك تبني
سمونا في عقيدتنا سمونا
وللإصلاح بالتوحيد ثرنا
أبونا "حيدر" والجيد "طه"
وبالزهراء نلنا الفخر نلنا
أمّا شعره في الرثاء ففي غاية الروعة والجودة، وحيث تقرأ هذا
اللون من شعره تمتلكك عواطف هائجة ولوعة شديدة للرزء أو
المأساة التي يمثلها نصب عينيك بأسلوبه الرقيق ومهارته، ومن ذلك
قصيدته التي رثى بها فقيد الشرق العربي والإسلامي الإمام الشيخ

محمد الحسين كاشف الغطاء، ولشد ما به من حزن وكآبة لا يدري لمن ينعي الفقيد الكبير أينعاه للدين وقد ثلم بموته أم ينعاه للعرب وقد خسروا بموته عبقرياً من عباقرة الفكر والأدب. وشخصية علمية لامعة في الإسلام؟ ماذا إذن والحيرة قد أخذت بزمام كلامه وجعلته يلوذ بها شاء أم أبى؟؟ وتلك طبيعة الأحداث وتحكمها خاصة إذا كان فيها من الفواجع ما تهز كيان الإنسان ثم تتعداه إلى كيان الأمة كما كانت طبيعة فاجعة الإمام كاشف الغطاء، وهكذا يسكب الشاعر دموع القريض ويقول:-

أنعاك للدين أم أنعاك للعرب
أنعاك للعلم أم أنعاك للخطب
يا حامي الحق إن الحق مهتضم
من بعد موتك والأوغاد في الطرب
يا طالب العدل في الإسلام في قلم
أباد كل دعي ساد بالشغب
يا صاحب (المثل العليا) كشفت لنا
فيه الستار عن الأسرار والسبب
والهفتاه على الإسلام إذا لعبت
يد الأجنب فيه أيما لعب
كشفت أغطية الإحقاق ترشدنا
إلى طريق العلي والمجد في الكتب

وفي مثل هذه اللوعة الشديدة يرثي علماً من علماء الإسلام وهو الإمام المجاهد المصلح الخالد المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله:ـ

تضعض الحق فانهارت دعائمه

وروع الدين خطب لا يلائمه

نعى به فرح المستعمرون غدا

قد غاب عن مجمع الإسلام حاكمه

يا منبع العلم والأعلام تعرفه

يا قائد العرب لا تخفى مكارمه

يا سائلي عن هزبر هل يماثله

بالأس والفضل فرد أو يقاومه

فسل بني (سوريا) من كان ينقذها

من العدو الذي ما حن آثمه

عبد الحسين إمام في بلاغته

بكل كل بليغ إذ يكالمه

وقال راثياً أحد أعلام الفكر والفلسفة والتاريخ في كربلاء وهو

المرحوم الحاج السيد عبد الحسين "آل طعمة" سادن الروضة

الحسينية المطهرة السابق المتوفى عام (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠) في

ذكره الأربعينية:ـ

أرى الدنيا تحاربنا جهاراً

وتنسف من مبائنا الشعارا

وتترك بلدة الثوار تنعى
قيادتها الحكيمة والشعارا
وقفت اليوم أندب خير شهم
وقور زين العلم الوقارا
هو ابن الأكرمين ومن تولى
سدانة روضة السبط اقتدارا
"أبا عبد الحسين فتم قريرا
فمنك الصالحان قد استنارا
وأسرتك العظيمة في حمانا
أسود قد حمت هذي الديارا
وللشاعر - صدر الدين - قصيدة أخرى جاوزت حدود الرقة في
الثناء، ألقاها في الحفلة الأربعينية العظمى التي أقامها الكربلائيون
تخليداً لذكرى المرجع الديني الكبير في كربلاء آية الله العظمى الحاج
السيد مرز مهدي الحسيني الشيرازي^(١).
العين تدمع والحشا يتضرم
والفكر هاج فحرت ماذا أنظم
أبا محمد والمصيبة أحرقت

^١ - كان المؤلف من المساهمين في هذا الاحتفال التاريخي العظيم بكلمة أثبتها في كتابه الذي أصدره سنة (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) عن حياة الفقيه الكبير تحت عنوان: «ذكرى فقيه الإسلام الخالد الإمام الشيرازي». وقد توفي سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

كبد الأنام وذا الهدى متألّم
 وأقولها جهراً لكل مراوغ
 لا تفرحوا إن غاب عنا العيلم
 يا أمة الإسلام قومي واجمعي
 الشمل المبدد فالقعود محرم
 ثوري على المستعمرين ودمري

والله ذاك هو النصير الأعظم
 وأخيراً: من صفات شاعرنا السيد صدر الدين الحكيم^(١) إنه
 يستخدم طاقته الفكرية في حل مشاكل الحياة والمجتمع، وإن دلّ
 ذلك على شيء فإنما يدلّ على الغرض المقصود في معنى الأدب
 وواقعه بالذات ولا خير في أدب جامد وفي دائرة فكر محدود ضيق
 يغشى بصيرة الأديب - أي أديب طائش غرير - ثم يرميه الجهل
 بسهام ظلامه ويوقعه في "داء - مركب النقص" وهو لعله لا يشعر
 بذلك قط.

فالأديب يجب أن يكون ذا أفق فكري واسع تشع منه خيوط
 الوعي والإدراك لتنير أمامه كل شيء في حياته الاجتماعية التي

^١ نشرت هذه الدراسة في مجلة - العرفان - اللبنانية في الجزء ٨ / المجلد ٤٩ /
 شوال - ١٣٨١ - هـ - نيسان ١٩٦١ - ولكنها هنا أوسع مادة من ذي قبل، وقد قلت
 فيها سابقاً إن السيد صدر الدين هو من بيت الحكيم ولكنه اشتهر بالشهرستاني
 بسبب أوامر القربى والاختلاط بين بيته وبيت السادة - آل الشهرستاني - الأجلاء
 في كربلاء.

٢٥١ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
يعيشها. وإن يكون مصلحاً ثابت الجنان راسخ الإيمان رفيع النفس،
شريف الطباع، حسن المعاشرة والسلوك متواضعاً وموضوعياً في بحثه
وإنتاجه - نظماً ونثراً - وأن يشعر بواجباته الأدبية والإنسانية نحو
نفسه ومجتمعه ودينه ووطنه وأمته لينزله الناس إلى أعماق قلوبهم
حياً أو ميتاً.

السيد محمد حسن - الكليدار^(١) - آل طعمة

يرتبط الأدب بالتاريخ ارتباط الروح بالجسد، وكلاهما عنصر حي، بل دعامة في بناء الحضارة الفكرية في حياة الإنسان. فالأدب يمثل الروح الثقافية لكل جيل من الأجيال.

.. وفي كل شعب من الشعوب، أو أمة من الأمم، بينما يعكس التاريخ ما هنالك من فتن واضطرابات ونهضات اجتماعية أو ثورات سياسية تحريرية عبر عصورها .

والتاريخ يستمد حيويته من روح الأدب بما يمدد الأدباء والشعراء والكتاب من مواهبهم وطاقتهم الفكرية صوراً شتى من عظمة الكون وجمال الطبيعة ومعالم الحياة الاجتماعية وما يسودها من عدل أو ظلم، خيراً أو شراً .. سعادة أو شقاء .. الخ .

كما أنّ الأدب في كل عصر وجيل يستمد من التاريخ إمكانية البقاء، وروح الخلود.

ويعيش الأدب والتاريخ معاً، جنباً إلى جنب، وبينهما صلة قوية تربط الروح بالروح، والذات بالذات، والوجود بالوجود. ليبقى أبداً

^١ الكليدار: لفظه تركية كان يطلقها العثمانيون قديماً على سدنة العتبات المقدسة في العراق ومعناها في اللغة العربية: "السادن" وفي اللغة الفارسية: "متولي".

متماسكين مع بعضهما في غير انفصال، وتلك الصلة هي - الفكر -
الفكر الإنساني المبدع، الخلاق.

وللأدباء والكتاب مذاهب شتى، واختصاصات مختلفة فمنهم من
يبحث في الدين أو السياسة أو علم الاجتماع أو علم الاقتصاد وقد
يتعدى حدود اختصاصه فيخوض في كل علم وفن، ومنهم من
يختص بالأدب أو يختص بالتاريخ وحسب.

والأستاذ السيد محمد حسن من الأدباء المعاصرين الذين يطلّون
من نافذة الأدب على دنيا التاريخ ويوجهون عدسات تفكيرهم إلى
عالمه الواسع ليلتقطوا حقائقه من بين أباطيله.. في خضم وقائعه -
ليقدموها صوراً رائعة لمشاقتها الذين لا يروقهم إلا رؤية جمال الحق
ولا تبهجهم إلا مناظر الحقيقة الخلافة، التي تجتذب الأنظار،
وتستهوي القلوب، ولذلك قد وضع أدبه في خدمة التاريخ غاية
ووسيلة .

مولده . . . ثقافته :

ولد في كربلاء في يوم الخميس من شهر شعبان سنة (١٣٢٣ هـ -
١٩١٣/١٢/٩ م).

دخل المدرسة الابتدائية واجتازها إلى المتوسطة. ثم واصل الدراسة
في (دار العلوم - ببغداد - كلية الشريعة اليوم) وبعد نجاحه إلى
الصف الثاني فيها تركها عام ١٩٣٦ ليتفرغ إلى التأليف وخدمة التراث
الفكري فدرس الأدب العربي والتاريخ الإسلامي، وطاف في كثير من

العواصم العربية وزار تركيا وإيران و (أوربا الوسطى) والنمسا، واستفاد من الأدب الغربي والأوربي الشيء الكثير.

عمل موظفاً في إحدى دوائر (الكمرك) ببغداد، ابتداءً من يوم

١٩٣٦/٥/٢٠ حتى أحيل على التقاعد في ١-١-١٩٦٦.

بيته:

الأستاذ محمد حسن من بيت - الكليدار -^(١) من عشيرة (آل طعمة) الذي أنجب عدداً من أعلام الأدب والفكر العربي كالمرحوم

^١ كانت سدانة الروضة الحسينية والروضة العباسية بأيدي أجداد - آل طعمة - الأقدمين منذ أواسط القرن الثالث الهجري وكانت تنتقل منهم في بعض الفترات من القرون الماضية إلى بيت (آل زحيك - آل ثابت) وآل النقيب وآل الوهاب من آل زحيك وإلى غيرهم من علويين وغير علويين ثم تعود إليهم، وقد شهد القرن الثامن الهجري حوادث خطيرة وقعت من أجلها بين - آل فائز - أجداد آل طعمة اليوم وبين (آل زحيك) كما أشار إليها - ابن بطوطة - في كتاب رحلته وغيره من المؤرخين وعلى عهد زعيم كربلاء في وقته المرحوم السيد وهاب الكبير سادن الروضتين الحسينية والعباسية نجل السادن المرحوم السيد محمد علي آل طعمة المتوفى عام ١٢٣٠ هـ . أقول: - على عهد السيد وهاب كما أسلفنا في الصفحة الثامنة من هذا الكتاب انتقلت السدانة لأسباب سياسية وبأمر القائد التركي نجيب باشا إلى المرحوم الشيخ مهدي "آل كمونة" وذلك في سنة ١٢٥٨ هـ - لا - ١٢٣٨ كما وقع الخطأ سهواً في الصفحة المذكورة. وبعد وفاة الشيخ مهدي في عام ١٢٧٣ هـ تولى السدانة شقيقه المرحوم الشيخ مرزح حسن آل كمونة ثم انتقلت بعد وفاته في عام ١٢٩٣ هـ إلى المرحوم السيد محمد جواد آل طعمة وبعده إلى ولده

المرحوم السيد علي ثم إلى ولده الحاج السيد عبد الحسين ثم إلى ولده السيد عبد الصالح آل طعمة السادن الحالي للروضة الحسينية المقدسة.

وبين يدي كتاب مخطوط عن بيوتات كربلاء لمؤلفه المرحوم الشيخ محمد علي القصير الحائري أسماه: (اللمعة التاريخية في بيوتات كربلاء والغازرية) ألفه في سنة ١٣٣٣ هـ يقول في صفحاته الأولى ما نصه:ـ

" إذا فتشنا كتب الأنساب وقلبنا مراجع المصادر وتصفحنا الكتب الخطية والأوراق والمستمسكات الرسمية القديمة المحفوظة في خزائن بيوت الأشراف والسادات من آل عبد مناف ومشجراتهم لوجدنا إن أولئك الصفوة النجباء الذين يحرسون حرم الحسين وحرم أخيه العباس عليهما السلام ويقومون بتأدية واجباتهم على أحسن ما يلزم ليلاً ونهاراً ولا يتقطعون عن التهجد فهم أولئك السادة الأطهار المكرمون العلويون الذين لبسوا أبراد الوقار والتبجيل وهم من نسل خير سليل وكلهم من شجرة مباركة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ويقال لهم من قديم الزمان وكر الدهور والأعوام بيت "آل أبي الفائزة" وبيت "آل زحيك" وقد تفرعت من القبيلة الأولى وأعني بها آل أبي الفائزة فروع وشعب متعددة الدرجات وهي التي تعرف بـ "آل ضياء الدين وآل مساعد وآل نصر الله وآل طعمة وآل تاجر وآل السيد أمين وآل عقيل". ويجمعهم النسب في السيد الشريف سيد السادات وجامع السعادات نقيب أشراف قصبه كربلاء "السيد طعمة كمال الدين" بن أبي جعفر من أولاد السيد أحمد بن أبي الفائزة محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المجاب بن محمد العابدين الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام. ثم يقول:ـ " وفي المراجع التاريخية التي رأيناها من كتب الأنساب المحفوظة ـ في خزائن المكتبات إن أول علوي هاجر إلى كربلاء قادماً من الكوفة المشرفة سنة سبع وأربعين بعد المائتين من الهجرة هو السيد الشريف السيد إبراهيم المجاب الضرير الكوفي الذي سلّم على الحسين عليهما السلام بقوله:ـ « السلام عليك يا أبي» فسمع صوتاً:ـ «وعليك السلام يا ولدي» لذلك لُقّب بالمجاب.

العلامة الحاج السيد عبد الحسين الكليدار مؤلف كتاب (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) وشقيقة المرحوم الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار صاحب كتاب (تاريخ كربلاء وحائر الحسين) والأستاذ السيد محمد حسن نالت أعلام هذا البيت في الأدب.

وهو ابن السيد مصطفى بن السيد علي "السادن" بن السيد محمد جواد "السادن" بن السيد حسن بن سليمان بن السيد درويش^(١) بن

أما القبيلة الثانية أعني بها بيت "آل زحيك - آل ثابت" فقد هاجرت من مقابر قریش على عهد أمير الحاج إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في أوائل القرن الخامس للهجرة المباركة وسكن كربلاء وقد تفرعت اليوم إلى فروع وشعب متعددة الدرجات .

هذا هو نص قول مؤلف كتاب "اللمعة التاريخية" الأنف الذكر، وقد ذكر فيه الكثير من بيوتات كربلاء العلوية العريقة وغير العلوية، والعربية الأصيلة وغير العربية التي هي القلة القليلة جداً، مع بيان تاريخ هجراتها ونزوحها إلى كربلاء منذ أواسط القرن الثالث الهجري حتى زمن حياته. ولا شك أن كربلاء هي أكثر عروبة من غيرها.

ولنا من هذا الكتاب المخطوط وغيره ومن إحصائيات النفوس العامة سنة (١٩٦٥) والإحصائيات السابقة خير شاد ودليل على هذا القول الذي هو الحقيقة بعينها.

^١ - لقد برز من ذريته رجال كانوا من ألمع شخصيات كربلاء وهم المغفور لهم: السيد سعيد (سرکشك) ووالده الجليل المرحوم السيد محمد حسين بن السيد محمد كاظم بن السيد حسين بن السيد درويش هذا، وللسيد سعيد من الذكور

السيد أحمد بن السيد يحيى (نقيب الأشراف) بن السيد خليفة بن السيد نعمة الله بن السيد "طعمة" بن السيد علم الدين بن السيد

السادة: محمد علي "أبو عزي" ومحمد حسين ومهدي ومحمد وضياء "طيب" والأستاذ محمد هادي السعيد.

ومن هذه الشخصيات اللامعة أيضاً الإخوان الثلاثة المغفور لهم:ـ

١ - السيد سعيد (سر خدمة - رئيس الخدمة) المتوفى (١٣٥٢ هـ) وكان نجله المرحوم السيد مصطفى أديباً وفيلسوفاً وله آثار ضخمة في الأدب والفلسفة نقلها من اللغتين الانجليزية والفرنسية وكان في عهد شبابه "سكرتيراً" في وزارة - المعارف - العراقية وذهب في بعثة حكومية لدراسة الفلسفة في جامعة (أكسفورد) بلندن، ولكنه لفرط ذكائه العجيب أصيب بشدوذ عقلي فعاد إلى بغداد، وأستأنف العمل في وظيفته السابقة ثم أحيل على التقاعد، ومن الجدير بالذكر أن السيد مصطفى هذا رغم ذلك الشدوذ لم يكن ليفقد وعيه الفكري الجبار طيلة حياته، فكان يترجم كل ما يقدم إليه من رسائل وبرقيات وكتب في اللغتين الأجنبيةتين المذكورتين وغيرهما كما كان يجيب بدونما تأخير على أي سؤال علمي عويص سواء في التاريخ أو الأدب أو الفلسفة إجابة صحيحة مدهشة وكان مولده في عام (١٩٠٠) ووفاته في عام " ١٣٨٣ - ١٩٦٣ " .

٢ - المرحوم السيد عبد الحسين الشهير بـ "الأعيان" لأنه كان عضواً في مجلس الأعيان العراقي من عام " ١٩٢٤ " حتى عام " ١٩٢٧ " وأصبح بعد ذلك مديراً للأوقاف في لواء كربلاء حتى سنة وفاته في " ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٤ " وخلف السيد صادق "توفى" وأعقب من الذكور السيد نوري والسيد أحمد.

٣ - المرحوم السيد مرتضى (سر خدمة) توفى عام " ١٣٧٦ هـ " وخلف السادة محمد علي "توفى" وعباس ومحمود المحامي وأحمد. وإن هؤلاء وبيت الكيلدار هم أبناء عمومة وجميعهم من ذرية السيد درويش.

"طعمة" بن السيد شرف الدين "نقيب الأشراف" بن السيد "طعمة" -
 كمال الدين - نقيب الأشراف" بن أبي جعفر محمد بن السيد
 أحمد^(١) " الناظر لرأس العين" بن أبي الفائز محمد - حتى ينتهي
 النسب إلى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).

مدينة الحسين عليه السلام:

تحت هذا العنوان أصدر الأستاذ محمد حسن الكليدار كتابه
 التاريخي القيم في عام "١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧" ثم أعقبه بإصدار الجزء
 الثاني.

وهذا الكتاب هو حصيلة جهوده الأدبية والفكرية التي بذلها خلال
 أعوام طويلة من تأليفه خدم لمدينة جده الإمام الحسين بن علي عليه السلام
 وقد أصبح لأهميته مرجعاً لا يستغنى عنه كل باحث في تاريخ كربلاء
 قبل مصرع أبي الشهداء حتى اليوم، لأنه غزير في مادته، مفيد

^١ نعود فنقول مرة أخرى بالتأكيد وفقاً لقوله تعالى: " فذكر فإن الذكرى تنفع
 المؤمنين". إن السيد أحمد المدفون في (شفاثا) الذي تذهب لزيارة مرقده الشريف
 أفواج إثر أفواج من الناس في موسم خاص من كل عام ويقدمون إليه النذور
 والهدايا وينحرون عنده الذبائح، يعرف لدى العامة بـ "أحمد بن هاشم" وهو خطأ.
 والصواب: " أحمد - أبو هاشم " باعتبار أن " السيد " يكنى لدى العرب بـ " أبو هاشم
 " لاتصاله حسباً ونسباً بـ " هاشم - عمرو العلي " زعيم البطحاء وسيد العرب وجد
 الرسول الأعظم ﷺ. ولعل "ابن هاشم" أيضاً يعطى نفس المعنى. إلا أنه قد يتصور
 العامة من الناس عندما يقال: " أحمد بن هاشم " إن اسم أبيه كان هاشماً. وهذا هو
 وجه الخطأ.

بمحتوياته، موضوعي في ذاته. وفيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من مشاهد وحقائق يحفل بها تاريخ هذا البلد العربي المقدس في مختلف عهوده وأدواره وما ينعكس على صفحاته المشرفة من مظاهر التطور العمراني والعلمي والفكري والفتن والاضطرابات وماله من مواقف وطنية سياسية ثورية لصالح البلاد والشعب ونيل استقلاله وسيادته وأهمها (ثورة العشرين) التي اندلعت نيرانها من كربلاء مقر قيادتها الدينية والسياسية العامة.

وقد راجع بشأن تأليف كتابه هذا معظم المكتبات العامة والخاصة في العراق وإيران إضافة إلى اتصالاته وتحقيقاته مع كبار الشبية المعمرين في كربلاء وخارجها كما اطلع على المئات من الكتب المطبوعة والآثار المخطوطة ومن بينها الوثائق والمستمسكات التاريخية الرسمية والشخصية والمشجرات العائلية الخاصة بأنساب البيوتات العلوية العريقة في كربلاء والبيوتات غير العلوية في دقة من التحقيق، وبعد نظر في الاستقصاء، والتزام بأمانة النقل، ونزاهة القصد في العرض والتحليل، وكان يسترشد كما حدثني بآراء العلامة الكبير المرحوم الشيخ محمد السماوي صاحب "الأرجوزة الرائعة الخالدة" في وصف كربلاء وتاريخ نشأتها وبيوتاتها ورجالها العظام وكان يستفيد من معلوماته الغزيرة عن تاريخ كربلاء ومما حوته مكتبته الضخمة الشهيرة من نفائس المطبوعات، ونوادير المخطوطات.

والحق يقال: _ إنَّ الأستاذ محمد حسن الكليدار هو أوَّل من فتح أبواب البحث عن تاريخ كربلاء، ومهد السبيل للباحثين والمنتبعين من بعده، وكتابه الجامع الشامل هو "الأساس" الذي تقوم عليه دراساتهم وبحوثهم عنه.

ولولاه لكان تاريخ كربلاء يظل يخيم عليه الظلام في مطاوي القرون الغابرة في أشتات مبعثرة هنا وهناك.

ولكنه هو الذي سعى وبذل قصارى جهوده لإخراجه من تلك الغياهب إلى مشاهد النور، تحقيقاً وتنقيحاً واستقصاءً وتأليفاً، في سلسلة مترابطة الحلقات.

فله قصب السبق في هذه الحلبة، والقدر المعلى في هذا الميدان، و_ الفضل للبادئ _ كما يقولون.

مقتطفات من أدبه :

الأستاذ السيد محمد حسن آل طعمة أديب في مستوى ثقافته وعذوبة منطقته، وحسن أخلاقه وتواضعه، وذو مقدرة على إبراز حقيقة الأدب في مفهومه الإنساني بأسلوبه المتين؛ وقد كتب في نقد الشعر المعاصر والشعراء المعاصرين منذ سبعة عشر عاماً قائلاً: _

" الشعراء عندنا لا يؤمنون بأن هناك طابعاً جديداً يمتاز به عصرنا الحاضر؛ ففي كل يوم منه يبرز طابع جديد للجماهير، وفي كل يوم منه تقض لهذا الجديد وثورة عليه، ولكل انقلاب فكري طابع جديد ووضع جديد، وخطط جديدة، وإن تاريخ الفكر البشري منذ أن

بزغت شمس المعرفة فوق كوكبنا هذا والعالم لا يتقدم بخطى وئيدة بل له في سيره قفزات مفاجئة جبارة جيدة المدى متنقلة إلى مدارج المعرفة بأكثر ارتفاعاً وروعة، أي بالأحرى إذا أردنا أن نستعيد صوراً شعرية وأدبية أكثر انطباقاً على واقع الحال في عصر انفلاق الذرة يلزمنا القول والجزم بان طريق الأدب عندنا لا يزال ضيقاً بمنعطفات عديدة، وهناك فجوات أيضاً يجب أن تزول لتسير الآداب مع العلوم التجريبية جنباً إلى جنب، وهذه الطريقة لا تتم لشعرائنا وأدبائنا إلا إذا تسلحوا بعلوم حديثة تدرس الإنسان من نواحيه المتعددة، ومتى تسنى ذلك الشعراء القرن العشرين انفتحت أمامهم آفاق جديدة وتكون لهم مدرسة خاصة ينشرون منها على الجيل الحاضر دراساتهم العلمية لتفهم روح العصر في نفوس الجيل الحاضر".

ويقول أيضاً: _

"ولو رجعنا إلى الوراء واستنطقنا بطون خزائن الكتب التاريخية لوجدنا إن تراثنا الشعري في مختلف أدواره كان وليد النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للوسط الذي عاش فيه. ومثل ذلك إنَّ الشعر في أيام الأمويين كان منطبقاً والحياة الاجتماعية في ذلك الوقت فغلبت نزعة الفروسية المملوءة بالفتوة والاعتزاز القبلي على الشعراء مماشية روح الفتوحات التي سادت في العصر المذكور".

"وكذلك الحال في شعر شعراء الدولة العباسية فقد غلب عليه طابع التفكير (المتافيزيقي) فنشأ بعض الشعراء أمثال المعري ومحي الدين بن عربي. وأما غيرهم من شعراء العصر العباسي فقد استلهموا وحيهم الشعري من البيئة المادية التي عاشوا فيها، فكانوا مداحين وغير متحسسين بالآلام المجتمع ومعالجة مشاكله بخيالهم وتفكيرهم. وهنا غلب عليهم ذلك الطابع الذي يمكن أن نعتبره على حد قول العرفاء: "أدب زماني ومكاني"^(١).

وله مقال آخر تحت عنوان: _ (الفلسفة وعلم النفس) نشر تباعاً في جريدة (صوت الشعب) نقتطف منه ما يلي: _

"بديهي إن الإنسان منذ نشأته شغل باله موضوع (النفس) فعنى بها وراق له فهمها ومعرفة كنهها والوقوف على ماهيتها وإدراك الصلة بينها وبين الجسم ليتبين له مصيرها ومآلها فأصبحت النفس عند الإنسان القديم لغزاً، الأمر الذي حدا بالمفكرين منهم أن يشغلوا الجزء الأعظم من تفكيرهم في معرفة النفس وهل هي روح أم مجرد شيء مادي داخل في حيز الزمان والمكان، ليعرفوا أصولها ومعادها، وكان علماء الهند يعتقدون بفناء النفس في (البراهما) - الحقيقة بالذات - والمصريون القدماء كانوا شديدي الاعتقاد بخلودها إذ أنهم قالوا إن

^١ - كانت هذه القطعة من مقال مسهب نشره الأستاذ (الكليدار) في جريدة (صوت الكرخ) - العدد ١٠٨ المؤرخ - الجمعة ١٦ / ٣ / ١٩٥١.

الإنسان مركب من نفس وجسم، وإن الجسم يعود إلى التراب والنفس ترجع إلى الله لتثاب وتعاقب.

" هذه الأفكار قد انتقلت إلى الأمة اليونانية بوجه خاص بحكم الجوار والمخالطة، لهذا لم يكن غريباً أن يشغل موضوع (النفس) بالـ«المفكرين من الفلاسفة اليونان» .

" وواجبنا اليوم يقضى بأن ندرس تاريخ الحياة الفكرية عند (أسلافنا العرب) الذي ابتلى بكثير من آراء فلاسفة اليونان وتأثر بها تأثيراً مباشراً.

" الماديون - اعتبروا النفس (مجرد) جسم لا ميزة ولا خاصية لها، ومنهم الروحيون الذين ألهوها وأبعدوها عن عالم المادة ورأوا فيها قوة إلهية روحية تهبط إلى البدن من العالم العلوي، ومنهم من وقف موقفاً وسطاً فجعلها مزيجاً بين الجسم والروح، أو بخاراً حاراً كما قال (الرواقيون) أو صورة للجسم كما ارتأى ذلك (أرسطو) وأتباعه، وقد درس كبار فلاسفة اليونان طائفة من الظواهر النفسية وفرقوا بين الإحساس والتعقل ووضعوا في ذلك كتباً عديدة كان لها أثرها في العالم العربي والإسلامي".

"والحق أن العرب يعدّون في طليعة الأمم بعد اليونان الذين مهدوا الطريق وفتحوا السبيل أمام المدنية"^(١).

إن هذه المقالات الفكرية المسلسلة التي قارن فيها الأستاذ محمد حسن بين آراء وأفكار ونظريات جمهرة كبيرة من الفلاسفة الأقدمين من الإغريق والهند والفرس والعرب وكذلك من فلاسفة الغرب وأوروبا حول ماهية الروح والجسم ومصيرهما بعد الموت . لها أثرها المعنوي الكبير وإنني أهيب به أن يقوم بجمعها وإخراجها للنور ليستفيد الجيل من موضوعيتها العلمية والفكرية القيمة.

ولنأخذ ما يتيسر لنا أخذه من أسلوبه التاريخي بقوله:—

" استولى المنتصر العباسي على عرش الخلافة بعد أن قتل أباه المتوكل عام (٢٤٧ هـ) فأمر ببناء وتشيد قبة على قبر الحسين عليه السلام وركز عليها - ميلا - ليرشد الناس إلى القبر وفرق الخيرات على العلويين وارجع لهم (فذك) وأعطاهم شيئاً من الحرية فهاجر منهم إلى كربلاء جماعة من ولد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعلى رأسهم إبراهيم المجاب بن محمد العابد^(٢). ويقول أيضاً في وصف الروضة الحسينية المقدسة:— " إن المرء مهما أوتي من بلاغة وفصاحة ليقف حائراً في وصف هذه الروضة المقدسة فهي والحق يقال ذات بناء

^١ - الفلسفة وعلم النفس، بقلم محمد حسن آل الكلدار - جريدة - صوت الشعب - العدد / ٣٠٤٣ - التاريخ ٢٣ / ٢ / ١٩٥٢ .

^٢ - مدينة الحسين - ج / ١ / ص / ٢٤ - (١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧) .

شامخ رائع للصنع بديع المنظر فائق الحسن وقد شيدت على دعائم متينة قوية الأسس ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنها من أكثر مساجد الدنيا عظمة وأعلاها شأنًا وأتقنها هندسة وصنعاً وأبدعها حسناً وبهجة وهي على شكل مربع يبلغ طول كل ضلع خارجي منه ١٠٠ م تقريباً كما يبلغ عرض الصحن من الركن إلى سور الروضة حوالي ٢٥ م^(١).

وأخيراً: ما زال أديبنا المؤرخ السيد محمد حسن آل طعمة - أبو علي - عاكفاً على جمع المعلومات عن تاريخ كربلاء للجزء الثالث من كتابه؛ وهو على وشك الانتهاء من تأليفه وسيكون ضخماً وربما يتجاوز الستمئة صفحة وتنتظر صدوره قريباً (إنشاء الله) لأنه الحلقة التكاملية لدائرة المعارف والتراث الفكري والتاريخي لمدينة أبي الشهداء المقدسة الشامخة. وتلك خدمة جلية يخلدها له التاريخ كلما تقدمت الأعوام وتعاقبت الأجيال.

ولا تفوتنا الإشارة في ختام هذه الدراسة إلى ما يستحقه الوجيه السيد محمد سعيد آل ثابت^(٢) من شكر وتقدير لتقديم ما كان بحوزته من مواد ومعلوماته تاريخية للأستاذ محمد حسن الكلدار، وفاءً لصدقاتهما المتينة.

^١- المصدر .

^٢- السيد محمد سعيد آل ثابت من شخصيات كربلاء المرموقة، فاضل متبع شديد الرغبة في المطالعة والتحقيق، وله خزانة كتب عامرة بالمطبوعات النفيسة وبعض المخطوطات، كثر الله من أمثال صديقنا أبي جعفر.

الحاج جاسم الكلگاوي



كانت كربلاء منذ القدم المدينة الشامخة التي أسهمت في بناء صرح العلم والأدب جنباً إلى جنب مع الحواضر العلمية والأدبية في العراق، وهي اليوم كعهدتها في السابق.

وإنَّ تطور الحياة الفكرية التي نشاهد مظاهرها الخلافة في كل بلد وقطر، من عالمنا الإسلامي والعربي . . قد نالت كربلاء القسط الوافر منه بمواكبتها روح العصر مع احتفاظها بالروح الإسلامية الأصيلة والمثل العليا، التي هي قوام حياة المجتمع الإسلامي من قبل ومن بعد.

وإنَّ التطور الفكري في أيِّ مكان لا يمكن أن يكون إلا إذا وجد أرضاً خصبة يغرَس فيها بذوره لتنت وتتمو وتثمر.

والأرض الخصبة التطور الفكري والأدبي هم أصحاب المواهب الخلافة من شباب وكهول، الذين يمتازون بالثقافة العصرية الحديثة والأفق الواسع ، والقابلية التي تحفزهم للقفز بخطوات كبيرة إلى الأمام في مضمار التقدم والتطوير شريطة ألا يفقدوا صلاتهم الروحية بمبدئهم القويم، وهو الإسلام الذي (يعلو ولا يعلى عليه) لكيلا تقودهم التيارات الفكرية والسياسية والعقائدية الكافرة الوافدة إلى حيث لا منجى لهم من مخاطرها ونتائجها السيئة.

والإسلام هو الإسلام في كل زمن ومكان؛ لا يتغير ولا يتبدل عقيدة ونظاماً، وفكرة وسبيلاً، لأنه شريعة مقدسة ودستور خالد، يواكب روح العصر، ويماشي كل تطور جنباً إلى جنب ويقبض زمامه بيده، لئلا يكون هذا التطور وسيلة لفساد الأخلاق والانحراف في الحياة الاجتماعية.

أمّا الذين يريدون التطور الفكري والعلمي وسيلة لتطوير الحياة الاجتماعية بخروجها من المثل والقيم والنواميس الأخلاقية والمعنوية فهم آثمون مجرمون بل هم دعاة الخلاعة والفساد والانحلال. ووجودهم خطر على مجتمعهم الذي يريد أن يعيش مع الإسلام وفي كنفه، وتحت رأيته.

إنّ هذا الكتاب يضم تراجم الرعيل الأول من أدبائنا الكربلايين المعاصرين، الذين وضعوا إمكانياتهم في خدمة الأدب وساروا مع التطور الفكري الحديث أشواطاً بعيدة إلى الأمام مع التمسك بعقيدتهم الإسلامية التي يستمدون منها روح العمل الأدبي بشعور عميق، ويتحلون بها في نشاطهم الدائب في حلقات السبق.

والأستاذ الحاج جاسم الكلگاوي من هؤلاء العاملين في رحاب الأدب بأفكارهم الوقادة ومشاعرهم الحبة. وهم هذا الرعيل الأول من أدباء هذا الكتاب وشبابه الناهض في كربلاء المقدسة الزاهرة.

مولده - بيته :

ولد في مدينة العلم والأدب - كربلاء المقدسة - عام ١٣٤٦ هجرية - ١٩٢٧ ميلادية وهو ابن محمد بن كاظم بن الحاج محمد علي بن الحاج مهدي بن صالح بن متعب بن حمدان بن مسعود - كما جاء في مشجرة أسرته التي رأيتها عنده .

وآل گلگاوي من البيوت العريقة التي مضى أكثر من قرنين على استيطانها في كربلاء، وكان لبعض أسلافهم وجاهة، وكانت تقرأ تواقعهم سابقاً (القلقاوي) ثم استبدلت (القاف) بالكاف فصارت (الگلگاوي) .

وبعد هجوم الوهابيين الوحشي الأثيم على كربلاء والمرقد الحسيني المقدس عام ١٢١٦ هـ وسلبهم ونهبهم خزانة الحرم الشريف ظهرت آثار خدوش وحروق في بعض أماكن صندوق الخاتم، فأجريت له الإصلاحات الفنية على عهد القاجارية ومنها تصليح الكتيبة القرآنية بخط الخطاط الشهير يومئذ وهو صالح گلگاوي كما ورد اسمه في الكتيبة السفلى عند قبر (علي بن الحسين الأكبر) في الزاوية من جهة باب الضريح بالعبارة التالية: -

(بعد تكسير أعداء الله له في سنة "١٢١٦ هـ" قام بتجديده - خان جان القاجار - سنة ١٢٢٥ هـ - كتبه صالح گلگاوي)^(١).

^١- انظر: تاريخ كربلاء وحائر الحسين ص ٢٤٨ للمرحوم الدكتور السيد عبد الجواد الكلدار آل طعمة.

ويقول الأستاذ جاسم عن أسرته في ترجمته الخطية: «آل گلگاوي» أسرة عربية تنحدر من قبيلة زبيد الأكبر ومن بطن أبو فرج وقد نزحت من محلة (كلج) في مدينة الحلة ولها مصاهرات مع الكثير من بيوت وسادات وزعماء ووجهاء البلد مثل: (آل ثابت وآل طعمة وآل نصر الله وآل كمونة وآل عواد وآل عويد وآل بريطم وآل منيدح وآل زيارة وآل غريب وبيت طعمة الجوعان الجبري)^(١).

ثقافته :

تتلمذ في صغره على المرحوم الشيخ محمد السراج الأسدي الشهير بـ (أبي خمرة) المعلم^(٢) فتعلم مبادئ القراءة والكتابة

^١ الترجمة الخطية بقلم المترجم.

^٢ لقد سبق الحديث عن الشيخ السراج وشاعريته في أول هذا الكتاب وقد أعقب: عبد الزهراء وعباس - وللأول هوية في نظم الشعر الشعبي والقريض أحياناً؛ وبالرغم مما تجلت موهبة استأذنا السراج في فن الشعر الشعبي حيث كان فارس حلباته فان له إلى جانب ذلك شعراً كثيراً في القريض ذكرنا بعض الأبيات منه فيما سبق ولإحاطة القارئ الكريم أكثر علماً بمواهبه وتراثه نورد هنا أيضاً من شعره الفصيح ما قاله في مدح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

والحساب وختم القرآن الكريم حتى إذا بلغ أشده فجع بوفاة والده

فضل علي جـل معناه
 فالشمس من نور محياه
 فليس تحصيه البرايا ولا
 جبريل يدري كيف معناه
 إن علي بن أبي طالب
 ما اظهر الإسلام الا
 افدي بنفسي والبرايا فتى
 بفـاطمـة زوجـه الله
 افدي بنفسي والبرايا فتى
 محمد فـي الله آخـاه
 مولى بـراه الله من نوره
 في عالم النذر وزكاه
 والمصطفى في يوم خم غدى
 يدعو وفي يمناه يسراه
 من كنت مولاه فهذا أخي
 سيده صدقا ومولاه

وله على هذا النمط شعر كثير، والجدير بالذكر أن المرحوم الشيخ محمد السراج كان أشعر شعراء كربلاء في فن الشعر الشعبي وأقواهم براعة، وأكثرهم نتاجا، وكان من تلامذته الشاعر الشعبي الكبير المرحوم الشيخ عبد الكريم المعلم، ولدي مجموعتان من تراثه الأدبي ومجموعتان أيضاً عند (أبي لواء) وعسانا نوفق في القريب العاجل بتحقيق ديوان كامل منها وإخراجه إلى حيز النور تخليداً لذكره وأحياءاً لآثاره فان حقوقه علينا تستوجب ذلك.

وترك مكتب الشيخ وانتهى بذلك عهد زماننا، وقد أمضى شطراً من أوائل حياته (قارئاً ناجحاً) في المواكب الحسينية ثم تركها لأسباب صحية خاصة لانشغاله بأعماله اليومية في مطبعته التي أسسها باسم "أهل البيت - ع" في عام ١٣٧٦ - ١٩٥٧.

وقد أخذ نصيبه من الثقافة العصرية في دراساته المتواصلة حتى الصف الخامس الإعدادي الأدبي كما انتهل من الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والأدب العربي .

نشاطه :

وللأديب الأستاذ جاسم نشاطات أدبية فعالة على الأخص أن مطبعته قد هيأت له الجو المناسب للعمل المثمر في مضمار النشر والتأليف وقد طبع حتى الآن تسعة أجزاء من دواوين "المنظورات الحسينية" نابغة الشعر الشعبي الشيخ كاظم المنظور الكربلائي مع تحقيقاته وتعليقاته المناسبة عليها.

وفي عام ١٩٥٦ أصدر كراساً باسم "الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة" وقد تعرض بسبب "انتشاره والإقبال عليه" لعدوان أثيم ببغداد من قبل عصابة شريرة انهالت عليه طعنا بالخناجر ولكنه نجا من الموت وعولجت جروحه في إحدى مستشفيات بغداد ولا تزال آثارها واضحة في عدة مناطق في جسمه.

وفي أيام المحنة التي اجتاحت فيها الخطر الشيوعي هذه الربوع كافح تلك المبادئ الهدامة الوافدة وفضح نوايا الشيوعيين بقلمه ولسانه وصدق عقيدته الإسلامية وكان يجازف في ذلك بطبع نشرات دينية لبعض الجهات العلمية والدينية في كربلاء والنجف وقد اعتقل من جراء ذلك شهرين في بغداد عام ١٩٥٩، وفي عام ١٩٦١ أيضاً أودع للتوقيف قرابة أربعة أشهر ولاقى كثيراً من المصاعب وأغلقت مطبعته حوالي عشرة أشهر وأصيب بأضرار مادية جسيمة. ولاغرو فإن كربلاء كما قلنا سابقاً هي المدينة الوحيدة التي نالت قصب السبق والقدر المعلى في محاربة الشيوعية المجرمة بفضل وعي وإيمان أبنائها الغيارى وشبابها العاملين.

جريدة المجتمع :

في عام ١٩٦٣ أصدر أديبنا الأستاذ جاسم جريدته الأسبوعية تحت هذا العنوان وكانت دينية أدبية فكرية جامعة، واتسمت بمستوى لائق في بحوثها ومواضيعها، وساهمت في ازدهار الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، وكان يساهم في تحريرها ونشر ثمرات القرائح والأقلام فيها لفيف من أدباء وشعراء كربلاء إضافة إلى ما كان يردّها من نتاج أدبي "نظماً ونثراً" لأدباء وشعراء وكتاب خارج البلد، وقد احتجبت عن الصدور بعد أن صدر منها عشرون عدداً^(١)؛ ولشاعر كربلاء الكبير

^١ كان المؤلف أحد المساهمين في هذه الجريدة وقد نشر فيها قسماً من دراسات هذا الكتاب.

الركعة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١ _____ ٢٧٣
الكبير السيد مرتضى الوهاب أبيات رائعة في تاريخ ميلاد هذه
الجريدة ووصفها بقوله:ـ

وصحيفة فيها سناء

الدين والعلم اجتمع^(١)

جاءت بجهد أبي لواء

بكل فن مبتدع

وجلابها جيش للظلام

عن الحقيقة فانقشع

وبها لسان الصبح عن

ليل الغموض قد اندلع

حلمت لواء العرب با

لأدب النмир المنتجع

ترجوا وتأمل أن يكو

ن بها اللواء قد ارتفع

كالنجم في تاريخها

(سطعت لخير المجتمع)

١٩٦٣م

^١ -جريدة المجتمع الكربلائية العدد الأول ١٩٦٣.

خان الباشا :

كان في كربلاء خان كبير واسع الأرجاء تحتوي مساحته على ٢٢٧٥ متراً مربعاً وغرف مهجورة في أطرافه كان يسكنها الفقراء والباثسون، وكان السقاؤون منذ القدم يشغلون فيه جانباً كبيراً - مجوفاً ومسقفاً - بوضع أكوازهم الخزفية فيه لتبريد مياهها وبيعها طوال أيام الصيف كمصدر عيش لهم، كما كان في مدخل هذا الخان مقهى صغير وآخر في فسحاته أكبر منه تحيطه أشجار من حوله وكان يعتبر أجمل منتزه للراحة وقضاء الوقت خاصة في ليالي الصيف والخريف والربيع.

وقد وقع اختيار بعض كبار تجار طهران منهم الحاج غلام حسين - مسفروش - لشرائه وتشييده حسينية لإيواء عموم زوار الحسين عليه السلام بدون تمييز، فاتصلوا بالعلامة السيد محمد حسن سيف في كربلاء - وهو عراقي الجنسية - وطلبوا منه المؤازرة فاستجاب لهم واتصل بدوره بالأستاذ جاسم الكلگاوي وأشركه في العمل ثم عرضا هذه الفكرة على المرحوم السيد محمد سعيد السيد محمد حسن آل طعمة وكان من الشخصيات المرموقة في كربلاء فاستحسنها وحثهما على العمل على أن يساعدهما لدى الجهات المختصة يومئذ.

فقدم أول طلب لهذا الغرض بتاريخ ١٨/٨/١٩٥١ كتبه الأستاذ جاسم الذي ظل هو والسيد سيف يعقبان الإجراءات اللازمة سنة كاملة في الدوائر الرسمية ببغداد وكربلاء بوساطة السيد محمد سعيد

وغيره من كبار الشخصيات العراقية، وبذلاً جهوداً كبيرة حتى استحصول الموافقة الرسمية على بيع "خان الباشا" لأصحاب الطلب بمبلغ سبعة آلاف دينار - "رغم التطورات والصعوبات".

أمّا التبرعات من أجل تشييد الحسينية فلم تقتصر على الطهرانيين أو غيرهم من الإيرانيين فحسب، بل شاركهم في ذلك كثير من المواطنين العراقيين باعتباره مشروعاً دينياً يخدم زوار الحسين عليه السلام على الإطلاق.

وبعد أن تمّ بناؤها الفخم سميت بـ "الحسينية الطهرانية"^(١) وأصبحت "تجارة لن تبور" خلافاً للأهداف والأغراض المنصوص عليها في عرائض الطلب والقرارات الرسمية الصادرة عن "مجلس شورى الأوقاف العامة" في ١٣/٤/٥٣ والمحكمة الشرعية في كربلاء في ٢٩/٨/١٣٧٢ هـ - ١٣/٥/١٩٥٣.

تاريخ الخان :

كان خان الباشا وقفاً للحسين عليه السلام وقد بناه وإلى بغداد، حسن باشا للزوار في سنة ١١٢٧ هـ والذي دام حكمه من سنة ١١١٦ هـ إلى سنة ١١٣٦ هـ وكانت له مبرات خيرية أخرى في كربلاء كما جاء في مقال مسهب لفقيه العلم والأدب والمنبر الحسيني المرحوم الشيخ محمد

^١ في هذه الحسينية يقيم الكربلائيون الأكارم مهرجانهم السنوي الكبير بميلاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

علي اليعقوبي^(١) إجابة منه على السؤال الموجه من قبل المترجم وقد مدحه السيد نصر الله الحائري الفائزي بقصيدة منها^(٢).

لما تولى أمرنا الوالي الذي
بسخطه كتب السماحا عنونا
أعني به الحسن الذي عن مدحه
أضحى لسان ذوي الفصاحة الكنا
يا أيها الوالي الذي خضعت له
صم الجبال وكل خصم أذعنا
فافخر على كل الأنام بخدمة
للمشاهدين علاك فيها زينا
وبنيت خاناً قد هوت شهب السما
لو تغتدي آجر ذياك الهنا

^١ - جريدة القدوة الكربلائية - العدد ٤٤ / ذي الحجة ١٣٧٣ - ١٩٥٣ للأستاذ رحيم الكيال.

^٢ - هو أبو الفتح السيد نصر الله الحائري الفائزي الشاعر الشهير بـ "مدرس الطف" بن الحسين بن علي بن إسماعيل بن موسى بن محمد بن مساعد بن شرف الدين بن طعمة كمال الدين بن أحمد أبي طراس بن أبي الفائز محمد . . . إلى موسى بن جعفر عليه السلام - قتل في الأستانة ١١٦٨ انظر - / مشجرة الأنساب / في كتاب - مدينة الحسين - للأستاذ محمد حسن الكليدار آل طعمة .

أدبه وأسلوبه :

الأستاذ جاسم الغلغاوي أديب بارع، وكاتب وجداني، وناقد بناء، صريح، ويمتاز أدبه بحرارة العاطفة والشعور العميق ومستوى التفكير الذي هو انعكاس لمستوى ثقافته الأدبية.

قويُّ الأسلوب في كتاباته، رائع الدباجة، كثير النتاج، والحقيقة انه رغم انشغاله بأعماله اليومية وإدارة شؤون مطبعته . . . تراه كاتباً ناجحاً ، ومؤلفاً بارعاً ، وصحافياً متمكناً من القيام بأعباء الصحافة، وجريدة (المجتمع) المحتجة تعطينا على ذلك برهاناً قاطعاً . وهو كذلك في أدب القصة له اثر لا يخلو من براعة فنية ومن ذلك قوله تحت عنوان - ضحية الإقطاع والاستبداد:-

وهذه القصة استعراض للواقع المؤلم الذي كان يعيشه الفلاحون الكادحون في أتعس حالات البؤس والشقاء والحرمان أيام سطوة الإقطاع وظلمه وجبروته، فهذه فتاة ريفية تمثل بحالتها المزرية حالة بيئتها الخاضعة لنفوذ الإقطاعيين واستغلالهم الذي ما أنزل الله به من سلطان فأقرأ هذه اللمحات منها:-

(لقيتها ليتني ما كنت ألقاها تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها

من لهذا الشحوب ؟ من لهذا الذبول ؟

أطلقت حنجرتي هاتين العبارتين مراراً بصوت متقطع تصحبه أنات وآهات صعدهتها من أعماق النفس حينما وقع نظري على شبح هزيل لفتاة ريفية وقد نسج المرض عليها أسماله.

قرأت البؤس في عينيها الغائرتين، ولمست الذل في ملامحها التي
طغت عليها موجات الألم، وصعقتها رياح الشقاء العاتية فصيرتها
كلغم عائم على سطح البحر تتقاذفه الأمواج الهائجة، وتلاعب
الأعاصير الهوجاء.

لمحتها تسير متناقلة بخطوات وئيدة تتعكز على عصا الشقاء
وتتعرش بأذيال التعاسة (كأنها وردة يانعة تفتحت على بسمات الفجر
وتقصفت على ضحكات الصباح).

ولو غالطت نظرك لخلتها بسيرها المتناقل فتاة عصرية سعيدة
تمشي الهوينا وتتمايل جذلاً، وتتطير روحها ابتهاجاً بزخارف الحياة
ومسراتها، فتاة تمرح في مروج الأناقة والجمال، وتعزف على أوتار
الإنس والحبور.

إلى أن يقول:—

(ثارت نفسي سخطاً على تلك الأنانيات السفرة التي تمثل في
رجال الاستغلال وتلك الرعونة المتجسمة بالعقليات الضيقة التي تدير
دفة الحكم الفرعوني في الوقت الذي يزخر بلدنا بالنظم الإسلامية
التي تقضي بالعدل والمساواة وترمي إلى أن (الناس سواسية كأسنان
المشط). أمن رسالة الإسلام من يستعبد القوى الضعيف ويستغل
الإقطاعي نفوذه في تسخير الناس؟

أمن رسالة الإسلام أن نثلم كرامة الضعيف، ونشيد قصور سعادتنا
على أنقاض قلوب الكادحين والذين أضناهم الفقر وأعياهم الجوع؟

ألسنا ندين بالإسلام دين الحق والمساواة والسلام^(١) ألسنا نؤمن بعدالة شريعته الغراء التي تُملي علينا محاربة الاستغلال ومكافحة الاستعمار بكل وجوهه ولهوسه) ... الخ .

ويقول في كتابه - البرامكة والعلويون - عرضاً وتحليلاً تحت عنوان: - (التنسك الخادع): -

[ومما يؤسف أن تصرع المظاهر في بهرجتها بعض الأبرياء من المؤرخين والكتاب حيث يحكم على غير روية وتحقيق بإسلام البرامكة، فهذا يؤكد نسبتها إلى الأشعرية أو المعتزلة وذلك يتمشّدق اعتباراً بتشيعهم، إن هذا والحقيقة على طرفي نقبض، فالبرامكة لم يدخل الإسلام في أعماق قلوبها، وإذا كانت تخضع للتقاليد وطبيعة الظروف فتلبس مسوح النساك فان تحت ثيابها شيطان رجيم، يتقاذفها إلى حيث تقتضي مصلحتها.

أجل: - لقد تنسكت خداعاً تمشياً مع رغبات العامة وحفاظاً على مراكزها ولكنها حملت في الخفاء معاول لهدم كل ما بناه الإسلام تشفياً للخواطر التي كدرها انتصار الإسلام في واقعة القادسية، تلك الواقعة الخطيرة التي كانت جداً فاصلاً بين الحق والباطل، حق العروبة والإسلام وباطل المجوسية والإباحية وانتهت باندحار الباطل وتمزيق

^١ -مجلة رسالة الشرق الكربلائية العدد / ٦ / ذو القعدة سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م لصاحبها فضيلة السيد صدر الدين الحكيم الشهرستاني.

ملكه والإطاحة بالعروش الظالمة على أيدي العرب الأحرار، فالبرامكة ومن شايعها حاقدة موتورة وهذه سجية المغلوب على أمره، المقهور في سلطانه^(١).

"لم يكتف يحيى بن خالد البرمكي بمضايقة الإمام موسى الكاظم عليه السلام حياً وإنما تعقبه ولاحقه ميتاً، فقد أصدر أمره بوضع نعش الإمام على الجسر في بغداد وأن ينادي عليه: "هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة إنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً فنظر الناس إليه ثم إنه حمل ودفن في مقابر قريش باب التين"^(٢).

وللأديب الكلگاوي مشاركات كثيرة في احتفالات أدبية ودينية وتأبينية أقيمت في كربلاء، ولكنه لم يحرص على جمع ثمرات قلمه، ومن كلمة ألقاها في احتفال ديني أقيم بمناسبة مولد منقذ البشرية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله تطرق فيها الانتكاسة التي منيت بها الأمة العربية في الخامس من حزيران ١٩٦٧، يقول في هذا الموقف:—

"في مثل هذا الطرف العصيب والمحنة التي نعيشها اليوم بمرارة وألم تطل علينا إشراقة ذكرى خير مولود وأشرف موجود يعجز القلم عن تصوير شخصيته الفذة وتعداد جوانبها الكريمة، كما تعجز العصور على امتدادها أن تأتي بمثل هذه الشخصية النادرة التي غيرت

^١ البرامكة والعلويون - ص ١٨ ، ١٩.

^٢ البرامكة والعلويون ص ١٩.

٢٨١ _____ **الحركة الدعوية المعاصرة في كربلاء ج ١**
وجه التاريخ وطورت مراحل الحياة البشرية وملأتها بالسعادة الأبدية
والعيش الرغيد.

"محمد ﷺ وما أعظمه من اسم" وما أكرمه من رجل جاء لإنقاذ
البشرية من الرذائل والمجون ولا استغلال.
أجل: _ بعث لإنقاذ الناس من عبادة الأصنام وإباحية المجوس
واستغلال اليهود وعبثهم بالمقدرات والكرامات، وخلال ربع قرن عن
الزمان استطاع أن يقضي على عبادة الأصنام وغيرها من الرذائل ووحد
هذه الأمة وتمم مكارم أخلاقها بقوله ﷺ: _ «إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق».

وقاوم ﷺ النفوذ اليهودي بالسيف وفضح أساليبهم جهاراً، ومزق
شملهم في واقعة (خيبر) بقوة دعوته الإسلامية الحقنة وبيطولة ابن
عمه الخارقة الإمام العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) تلك الواقعة التي
قصمت ظهر اليهود وأوقفت خطرهم عند حده المتصدع.
إنَّ هذه الواقعة التاريخية لم تكن لتبرح أدمغة اليهود حتى قال
(شكول) _ متشفياً _ في العام الماضي بهذا العام بالذات بعد النكسة
المؤلمة _ قالها بالحرف الواحد: _

"هذه خيبر" ومعنى قوله: _ أي: _ إننا أدركنا خيبر بالاستيلاء على
القدس!! .

أسفاً علي القدس مهبط الوحي ومنطلق الأسرار، وقبله المسلمين الأولى، أسفاً على أرضها الطاهرة وقد دنستها إقدام اليهود الملتخنة بوحل العمالة والصهيونية.

وله في تأبين المرحوم العلامة الشاعر عبد الحسين الدارمي في ذكره الأربعينية كلمة مسهبة تناول فيها عوامل الأسرة والأرومة وتخلص فيها إلى شخصية الدارمي ونشأته ودراسته وأسرته (دارم) العربية العريقة وها هو يقول:

(صناعة المجد وبناء العظمة ونكران الذات لا نتأتى بغير التضحيات الجسام والصبر كما أن أبواب العلم لا يطرقتها إلا أصحاب الملكات النامية والقابليات الخلافة والطاقات الهائلة، أمّا أدعياء العلم فمستقر حياتهم في (سلة المهملات).

وتاريخ العظماء يزخر بكثير من تلكم القيم والحيويات ويطفح بالمواهب الصقيلة ويعج بالتضحيات الجسام ، فكم من عظيم قدم نفسه قرباناً للعقيدة والوطن! واستعذب طعم الموت في سبيل الإصلاح وتقويم الانحراف؟ وكم من نبيل أنكر ذاته وذوب مصالحه في تحقيق مصالح الآخرين؟ وكم من عالم روض نفسه على شظف العيش وخشونة الحياة؟.

هذه العوامل منفردة ومجموعة لها الأثر المباشر في تكوين شخصية الرجل العظيم سواء أكان عالماً أم مصلحاً، جواداً أم شجاعاً حكيماً أم

أديبا، ولو أضفنا إلى تلكم العوامل البناءة عاملي البيئة والأسرة لتكاملت معالم الشخصية وشقت طريقها إلى البقاء والخلود.

فالبيئة مدرسة كبرى تخرج الرجال العظام وتتعهد توجيهها نحو الأفضل وتكفل إنماء قابلياتها إلى المستوى اللائق وتصلق مواهبها الخلاقة وتغرس فيها أكمل الصفات وأكرم العادات وقد تشذ بعض العناصر المتصدأة عن القواعد النبيلة ولكن لا قياس على الشاذ.

أمّا عوامل الأسرة فهي المصنع الذي ينتج العضو والصالح ويشده إليه شداً، ويقلده وسام أمجاد قبيلته (الأم) ويطبعه بطابع عاداتها وتقاليدها ويرسم له أبعاد الحياة ويلقنه سيرة الآباء ومآثر الأجداد وغاية الأسرة (من ربيها) أن يرفع اسمها عالياً ويمثل سلالته وقومه تمثيلاً صادقاً في جميع المجالات والمواقف المشرقة وهنا أيضاً لا قياس على الشاذ.

ولو تناولنا حياة الفقيه الغالي وتتبعنا العوامل التي أكملت معالم شخصيته من مجد مؤثر وعلم غزير وأدب رفيع وبيئة كريمة وأسرة عريقة لما وجدنا كبير عناء، فالمجد ما خلده من آثار قيمة في البحث والتدريس والقضايا الاجتماعية، والعلم ما اكتسبه من أستاذه المرحوم الإمام الشيخ محمد الخطيب فقيه عصره وواحد زمانه وأما بيئته التي عاش فيها رديحاً من السنين فهي كربلاء، بلد العلم والعرفان، بلد القداسة والكرامات، وأمّا أسرته فيكفيه اعتزازاً انتسابه إلى (دارم)

ودارم بيت رفيع من تميم، وتميم عدناني، يلتقي مع النبي محمد ﷺ في الياس بن مضر، وهو الجد السادس عشر للنبي ﷺ^(١).

قام الإمام المجاهد الأكبر سماحة السيد محسن الطباطبائي الحكيم برحلة تاريخية إلى (سامراء) تجلت فيها منزلته الكبيرة في قلوب أبناء الشعب الذين كانوا بمختلف طبقاتهم يحتفون بسماحته استقبالا وتوديعا أينما حل وارتحل.

وإليك مقتطفات من أهم ما ورد في هذه الرحلة التاريخية بقلم جاسم الكلگاوي:—

[رحلة الإمام الحكيم]

من النجف إلى سامراء

"احتضنت سامراء ضيفها الكبير قرابة أسبوعين وكانت الوفود تتقاطر عليها من كل صوب وحدث للاستفسار عن صحته والدعاء له بطول العمر والبقاء والائتمام به عند كل صلاة وفي صبيحة يوم الثلاثاء المصادف ٩٦٣/١١/٥ هبت سامراء تودع ضيفها العزيز، فانخلعت على فراقه القلوب، وتناثرت الدموع وكان حفل التوديع

^١— كان المرحوم الشيخ عبد الحسين الدارمي شاعراً مبدعاً وأديباً وعالماً ذا شخصية محترمة، ساهم في عدة حفلات دينية في كربلاء بقصائده الرائعة، كان متواضعاً، حسن الخلق والمعاشرة وقد تتلمذ على المرحوم آية الله الشيخ محمد الخطيب وكان أكثر تلامذته علماً وأدباً. توفي في يوم ٢٧/ ٧/ ١٣٨٦) وأقيمت له الذكرى الأربعينية وساهم فيها أدباء وشعراء من كربلاء منهم " مؤلف الكتاب".

أجمل تعبير على المشاعر الصادقة والحب الخالص والأخوة الإسلامية النامية.

في بلد:

"ولما وصل الركب المقدس إلى (بلد) استقبلته الجماهير بكل ما تستطيع التعبير عن مشاعرها، بالهتافات والتكبير والأهازيج والتصفيق وزغاريد النساء ونحر الذبائح ونصبت الأقواس ونشرت اللافتات الترحيبية حيث القصائد والكلمات".

في السيد محمد:

"أما في السيد محمد فكان الكرم الحاتمي والسجايا العربية في استقبال الضيف والترحيب بالقادمين من ابرز صفات الاستقبال وبعد استراحة قصيرة وانتهاء الناس من وجبة الطعام واصل الركب سيره إلى الكاظمية مكللاً بالهيبة والوقار ومحفوظاً بعناية الله وقد استقبل الركب في الدجيل وسميكة أروع استقبال حتى وصل الكاظمية ليلاً ومكث سماحته فيها يومين وبارحها عصر يوم الجمعة ٩٦٣/١١/٨ تودعه القلوب وتسائر ركب الأرواح وكانت الحفاوة بالغة في المحمودية وفي الإسكندرية لا تقل روعة عنها".

"وأتجه الموكب إلى قضاء المسيب، تلك المدينة الوادعة التي وقفت بوجه الشيوعيين العملاء ببطولة نادرة إذ تحدث إرادتهم وسحقت عقاربهم وقطعت حبالهم يوم استقبلت الإمام الحكيم امتحاناً

لذاتهم التي صقلتها تعاليم الإسلام والدلالة على أصالة عروبتهم التي فرضت عليهم حماية الدين وإكرام الضيف".

في كربلاء المقدسة

سبق لكربلاء أن استقبلت حكيمها وبطلها الإسلامي في سنة ١٩٥٩ ببسالة نادرة وقلوب أقوى من الحديد وحفظت في شخصه بيضة الدين، وإن تلك العقيدة التي استقبلته بها جماهير كربلاء في الطغيان الشيوعي لهي اليوم أقوى صلابة وأشد مراساً.

اصطفّ المستقبلون على جانبي الطريق من مدخل المدينة حتى موقع دار سماحة الإمام الحكيم وهي مسافة تقدر بـ "كيلو" متر واحد والكل يهتفون ويكبرون وتكاد قلوبهم تطير فرحاً بهذا اللقاء الحبيب، لقاء الأب الروحي مع أبنائه اتخذوا الدين في الحياة وسيلة وجلبوا على التضحيات وامتازوا بالجهاد الأكبر في سبيل الله والوطن هذا هو الواقع والحقيقة وإن لم ينصفهم التاريخ ويضع جهادهم في المكان اللائق".

إشاعات باطلة

في الرحلة (الحكيمية) الأولى أثار الشيوعيون حولها دخاناً قائماً من الشائعات، ونثروا الشكوك وفسروا للعوام الأمور معكوسة، وكان قاموس تفسيرهم لا يخلو من عبارات الشتائم والتهم الرخيصة، فكل من لا يواكب سيرتهم المنحرفة هو في عرفهم متآمر جاسوس يجب قتله والتمثيل به.

أمّا في هذه الرحلة المباركة فقد حاول حفنة من النكرات من دعاة العنصرية والتفرقة والحاقدين أن يطيروا بعض الأباطيل ولكن محاولتهم باءت بالفشل فان الحكيم ورحلته فوق الشبهات والشائعات، رحلة الحكيم كانت لله ولتعظيم شعائر الدين وما كان لله ينمو وأنوف الشعوبيين والشيوعيين والمتصدين في الماء العكر أنوف هؤلاء جميعاً في الرغام^(١).

الكلمة الأخيرة :

ليس من السهل أن يكشف الإنسان صفات غيره أو يتعرف على طباعه إلا بالاحتكاك والمعاشرة. واني بحكم روابط - الصداقة والأدب - القديمة بيننا عرفت " أبا لواء " صديقاً حميماً، ساعياً للخير موالياً لأهل البيت عليه السلام. يتصف بالتواضع والخلق الرفيع وسلامة القلب، وهو عضو في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد، وشهرته الأدبية تعدت حدود بيئته إلى الخارج. بواسطة آثاره الأدبية ومؤلفاته الكثيرة المطبوعة. وقريباً سيصد له مؤلف جديد في موضوعه وهو: - (العرب في الكتاب والسنة والتاريخ) ونأمل أن يعقبه بمؤلفات أخرى فان قلمه السيال ورغبته في التأليف يحققان هذا الأمل في مستقبل الأيام والأعوام.

^١ - جريدة المجتمع الكربلائية - العدد ١٩ الأربعاء ٢٦ جمادى الثاني ١٣٧٣ - تشرين الثاني ١٩٦٣.

٢٨٨ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١

والآن لتفارقة على صعيد هذه الصفحات - لا فراق القلب للقلب -
لنلتقي مع أديبنا الكربلائي الأستاذ مشكور الأسدي.

مشكور الأسدي



الأدب عنصر حيوي كائن، يتقمصه الوجود
الإنساني ويعتبر أحدهما مرآة ناصعة للآخر،
رمزاً لمستوى قيمه المعنوية . واعني بالوجود
الإنساني ذلك الإنسان الذي يؤتيه الله
هذه الموهبة الفكرية الخلاقة لتكون

صوتاً هادراً للخير والفضيلة في مجالات الشعور والتفكير والتعبير
المنطقي والوجداني على ضوء العقل السليم، وتلك هي الكفاءة التي
تجعل الأديب أو الشاعر الإنساني قدوة صالحة في بيئته ومجتمعه،
يعمل في سبيل الكرامة والقيم الرفيعة من حيث هو إنسان، وأشرف
مخلوق على وجه البسيطة ولأنه جزء من وحدة الوجود في نظام هذا
الكون الفسيح البديع المشرق بالجمال.

وإنّ لنا من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع ما يؤيد
ذلك في جوهره وفي مغزاه العميق، حيث يخاطب الإنسان والحكمة
التفجر من ينابيع عبقريته الزخارة من خلال قوله المأثور هذا: _

وتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
والأدب في وجوده الفكري وسيلة من وسائل التهذيب الخلقي
والنفسى والنهوض بالشعب أو الأمة لتطوير حياتها في مجالات التقدم
والازدهار أو ليل استقلالها وسيادتها في ميادين الحركات السياسية
والثورات الوطنية لتلخيص بلادها من نير الظلم الاستعماري

واستعبادها وامتصاص دماؤها وابتزاز أموالها وخيراتها على حساب شهواتها الحاجة في أي زمن ومكان.

وإذا كان العلم بمختلف أنواعه يعتبر أساساً لبناء الحضارة الإنسانية على مر العصور والأجيال . . . فان الأدب وهو إلى جانب العلم دعامة راسخة في بناء الكيان الروحي في حياة المجتمع وعلى الأخص في بلاد الشرق الإسلامي والعربي الذي هو مهبط رسالات السماء وموطئ أقدام عظماء البشرية من الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله لتحرير الإنسان من ربقة الجهل، وأغلال العبودية وشقاء الفوضى، وتوجيهه إلى توحيد الله والإيمان به، والذين كانت دعواتهم قائمة على مبادئ العدل والحق والحريّة والآداب والأخلاق والمثل العليا بما فيها إنصاف المظلوم وإسعاد المجتمع البشري في الحياة حيث كانت الدعوة الإسلامية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ خاتمة تلك الدعوات الإلهية السامية، فالأب العربي أكثر إنسانية من سواه، لأنه لغة الضاد العريقة المتأثرة بلغة الوحي السماوي المنزل، والمستمد حيويته وخلوده من رسالة الإسلام ومن معينها الزاخر الذي لا ينضب وهو "القرآن الكريم".

إنّ الشخص الذي يسمى (أديباً) يجعله هذا اللقب أو بعبارة أخرى تعطيه كلمة (أديب) صفة خاصة يتميز بها عن سائر الأفراد، ويكون محترماً بينهم بشار إليه بالبنان.

وبحق للأديب أو الشاعر الإنساني أن يكون كذلك بواسطة الأدب الذي هو بمثابة العلم وليس أقل منه شأنًا.

وللأديب كما للعالم منزلة رفيعة في الحياة الاجتماعية فكلاهما صاحب رسالة إنسانية قيمة تعمل على رفع المستوى الفكري والثقافي في حياة الناس دائماً وأبداً.

وكلّما اتّسعت مدارك الأديب كان أكثر إحاطة بأمور الحياة خيرها وشرها؛ وإحاطته بالأمور الحياتية تزيده اندفاعاً شديداً إلى خوض المعارك الأدبية والإصلاحية بصلابة ورباطة جأش.

ولنأخذ مثلاً على ذلك أديبنا الكربلائي الكبير الأستاذ مشكور الأسدي الذي له صولات وصولات، ولقلمه صرخات في مضمار الفكر تشهدها له أمّهات الصحف والمجلات العراقية العربية.

مولده - بيته :

ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة (١٣٣٩ هـ - ١٩١٩ م) وهو نجل المرحوم الحاج مهدي العطار، وكان للمترجم إخوان توفيا وهما - محمود - وعبد الحسين الصراف والد الأستاذ الشاعر زكي الصراف.

وبيته كربلائي القدم، عربي عريق، أسدي الحسب والنسب يتصل ببيت الشاعر الكبير المرحوم محمد جواد (بدقت) أحد شعراء كربلاء الفطاحل في القرن الثالث عشر الهجري، وينحدر من قبيلة (بني أسد)، وفي حوزة المترجم - عثمانية - قديمة لوالده مكتوب فيها: -

الحاج مهدي بن حمود بدقت.

وهناك مصاهرات وصلات قربي بين بيت (المترجم) وآل عواد وآل بحر وآل بستان التي هي من البيوتات الكربلائية العربية المعروفة.

وقد أفادنا صديقنا الفاضل الوجيه الحاج سليم العواد^(١) بمعلومات وافية عن شخصية والد المترجم وأصلته العربية وإنه كان من كبار التجار المحترمين في كربلاء.

^١ الحاج سليم العواد من ذوي الاطلاع بتاريخ كربلاء وبيوتاتها، ولديه مجموعة خطية تتضمن معلومات وافية عن قضايا كثيرة وحوادث تاريخية عديدة وقعت في كربلاء منذ القرن الثاني عشر الهجري حتى - ثورة العشرين.

وهو ابن محمد جواد بن حسن بن مهدي بن احمد بن عبد العزيز بن راشد بن سليمان العواد، و - آل عواد - أسرة عربية عريقة لها ماض مجيد في كربلاء ومنهم في بغداد ويرجعون في نسبهم إلى شمر الخليل - (اجعفر) من الربيعية من عبده. نبغ فيهم شاعر لامع في الفصحى هو المرحوم الحاج محمد جواد بن عبد الرضا العواد البغدادي في القرن الثاني عشر الهجري، وشاعر شعبي هو الحاج محمد بن الحاج محمد عباس العواد وكان نسبة خبيراً توفي في أوائل هذا القرن الهجري كما برز منهم رجال أشداء تمثلت فيهم الشهامة والشجاعة العربية والروح الوطنية العالية، وقد أبلوا بلاءً حسناً تضامناً مع سادات ورؤساء ورجالات كربلاء ضد الحكام العثمانيين والانجليز في مواقف بطولية يعتز بها تاريخ هذا البلد خاصة في وقائع - المناخور- و (علي هدله) و (داود باشا) و (نجيب باشا) و (حمزة بك) واستشهد منهم فيها عدد غير قليل. أما أشهر رجالهم في (ثورة العشرين) التي قدحت مدينة كربلاء زنادها ضد الغزاة الانجليز فهم المغفور لهم: - عبد الكريم وعبد الجليل وعبد

ويقول الأستاذ عباس العزاوي في نهاية بحثه عن قبيلة بني أسد " ومن بني أسد العلامة الحلبي والطريحيون وآل كمونة في كربلاء ومنهم الأستاذ مشكو الأسدي"^(١).

ثقافته:

أكمل الأستاذ مشكور مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة في كربلاء والثانوية ببغداد، وكان حينئذ في مقتبل العمر وعهد الصبا، فوجد في نفسه آمالا كبيرة تبتسم لمستقبله ابتسامة الفجر لصباحه الباكر، ودفعه طموحه الشديد لتحقيقها فسافر إلى (مصر) وواصل دراسته العالية في - كلية الآداب - (جامعة القاهرة) وتخرج منها سنة (١٩٤٨م) وحاز فيها على شهادة (ليسانس في الأدب العربي).

عُيِّن موظفًا لأول مرة عام (١٩٥٠م) في مديرية الدعاية العامة ببغداد وعمل فترة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم أشغل عدة وظائف في وزارة الثقافة والإرشاد، منها مديرية الاستعلامات العامة وهو اليوم مدير للمكتبات التابعة لهذه الوزارة.

نشاطه الأدبي وأسفاره:

بدأت موهبة الأستاذ الأسدي بالظهور عندما كان يواصل دراسته في المدرسة المتوسطة في كربلاء، وكان يكتب خواطره النفسية

الرحمان أولاد عبد الرزاق العواد الذين كانوا من أبرز قادة هذه الثورة الكبرى بزعامة المرحوم آية الله الشيخ الزعيم محمد تقي الشيرازي.

^١ - عشائر العراق - للأستاذ عباس العزاوي - ص ٥٢ ج ٤.

والفكرية وينشرها مقالات متناثرة على صفحات الجرائد والمجلات العراقية وكان نشاطه الأدبي المبكر في مطلع شبابه مدعاة لإعجاب أصحاب الصف والمجلات وكذلك القراء على حد سواء، وكان اشتغاله في الصحافة العراقية منذ ذلك الوقت حتى اليوم ولم ينقطع عن تزويدها بثمرات قلمه وأدبه إلا في بعض الفترات القصيرة التي كانت تحجبه عنها كثرة مشاغله أو سفراته إلى الخارج.

ولقد زار كافة البلاد العربية بما فيها شمال أفريقيا العربية، وتركيا وإيران والأفغان وقسماً من (أوروبا) ووصل في رحلاته إلى النمسا ويوغسلافيا واليونان وألمانيا. وكتب انطباعاته عن هذه البلاد العربية والإسلامية والأجنبية في مذكرات ينوى تقديمها إلى الطبع لو سنحت له الظروف.

والأستاذ مشكور كثير المطالعة بل هي أهم هواية عنده إن صحَّ (أن تكون المطالعة هوايته) وله مكتبة كبيرة ولكنها غير منظمة، ويحرص اشد الحرص على جمع الآثار الأدبية العراقية والتراث الإسلامي بحثاً وتنقياً.

وأشهر المجلات العراقية والعربية هي مسرح أفكاره وخواطره وبحوثه الأدبية مثل: البيان، الهاتف، الأسبوع، السياسة، الرابطة العربية، الأديب، الرسالة، الندوة، وغيرها فضلاً عن الصحف العراقية والعربية القديمة والحديثة التي سيرد ذكرها.

ويتصف صديقنا "الأسدي" بدمائة الأخلاق، وحرارة العاطفة وحسن التواضع، ولطافة الحديث، وتكاد لا تفارقه إذا جلست إليه وهو بكلمك بعدوبة منطقته، وهدوء صوته، والابتسامة لا تفارق شفثيه.

أدبه وأسلوبه :

الأدب موهبة من المواهب الفكرية الإنسانية، ومرآة ناصعة تنعكس عليها مشاعر الأديب ومستوى ثقافته، وكلما كان مستواه رفيعاً كان نتاجه أكثر قوة وإبداعاً، بل القوة والإبداع من أهم مميزاته، والدليل على ذلك هو أدب الأستاذ مشكور الأسدي الذي يمتاز بهذه الجوانب الأصيلة في أدبه الحي ومستوى ثقافته العالية.

أمّا أسلوبه في كتاباته فهو يمتاز بعمق التفكير، والامتانة والرزانة، والبراعة الفائقة، والإطالة المشوقة - لا المملة - ويتناول بقلمه كل شيء، ويخوض في كل موضوع، ديني أو سياسي، أدبي أو تاريخي، فني أو اجتماعي . . . الخ، وأسلوبه كذلك اقرب إلى التحقيق العلمي منه إلى العرض والتحليل في كل ما يكتب، ويغلب عليه طابع الأدب للبحث.

نماذج من بحوثه الأدبية :

وأجدني الآن أمام ذهن متوقد، وفكر نير، تلمح فيه بارقة الذكاء، وثروة أدبية مكدسة بين يدي من مجلات وصحف تحمل على صفحاتها الغراء المقالات والبحوث الرائعة التي نشرت بقلم أديبنا الكبير الأستاذ مشكور الأسدي، على أن هذه المجموعة المكدسة هي

قليل من كثير، وجزء من كل ما كتب وحرر ونشر، ولو أراد أن يجمع آثاره المنشورة كلها في الجرائد والمجلات يشق عليه ذلك ولقي من جرائه عناءً كبيراً لكثرتها وغازاتها، ولربما أربت - أو جمعت - على بضع مجلدات ضخام.

والحقيقة أنني لا أدري أي موضوع أختار؟ وأي ثمرة من ثماره الأدبية أتناول؟ أو أي زهرة من أزهارها الخلابة أقطف؟ ولكنني سأترك الذوق حسن الاختيار وفقاً لرغبات النفس، والنفس ما تشتهي، وحسبي أنني والقارئ الكريم على اتفاق في الرأي والذوق فيما أختار له من أدب الأستاذ الأسدي.

لنقرأ قبل كل شيء ما كتبه تحت عنوان (الملاحم) عن مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأهداف نهضته المقدسة عرضاً وتحليلاً بقوله:

"مصرع الإمام الحسين عليه السلام في عرصات كربلاء ليس ملحمة شهادة قط، وإلا فشهداء الإسلام كثيرون، إنه يتجاوز ذلك إلى ملاحم عديدة، أولها الشهادة نفسها التي تفوق كل شهادة بإرهاصاتها ونتائجها، ثم ملحمة مثالية الحق الذي لا يكون كذلك إلا حين يدافع عنه ويطالب به ويراد عرضه ناصعاً وتمثله كاملاً، ثم ملحمة الكرامة الإنسانية التي تأبى تجرع الضيم والخنوع للذل والانبساط إلى الهتافات، ثم ملحمة الرؤية إلى المستقبل، النظر المستشف والعين الصحيحة والمضي في تهيئة الحاضر المنتقص لاستقبال المستقبل البهيّ مهما كان الثمن غالياً وعالياً.

هذه الملاحم وغيرها هي ملاحم واقعة الطف سارت بها الأمثال منذ أجيال، منذ أن وقعت، ولا تزال تسير، ثم كان من ذلك ملاحم أخرى ذات صبغة أخرى، هي ملاحم الرثاء والصيال والشعر والنثر المعلى ... إن (ديوان) الحسين عليه السلام بكل أفانيه المنظومة والمنتشرة ملاحم تحكي لنا تلك الملاحم، هذه كانت من تلك وتلك تقرأ في هذه وتستبطن مآثرها، وخالدات مواقفها، وغالي مدامعها وحسرات قلوبها، ونبضات قوتها، والتماعات تحديها، ومعاجز بقائها.

لم يكن الحسين عليه السلام بالضعيف الحوار أمام القوة الفوارة التي نصبت له الكمين في كربلاء كما يريد أن يصوره بعض الجهلة ممن يخطبون على منابرهم من أجل استدرار الدمع، كان الحسين ذاك الهزير:—

ذاك الذي أعطى المهند حقه

في يوم نحس لم تزره ذكاه

وجماجم الأعداء فيه كأنها

فقع البطاح وهكذا الأشلاء

هذه الملاحم التي يزاحم بعضها بعضاً ماموقفنا منها في هذا العصر الذي استنسرت فيه الزراذير؟ أين أثر مثالياتها في سلوكنا إزاء هذا الإستنسار ونحن نحي مجدها ومجد صاحبها كل عام في مثل هذا

الموسم الحزين في مثل هذا اليوم الحزين نذكر على ضوءها الباهر واقعنا الباهت . . الخ" (١).

ويشيد الأستاذ مشكور بقوة العرب وشجاعتهم النادرة وصفاتهم النبيلة الأصيلة ودورها في بناء الحضارة ومواقفهم التاريخية لمشرفة ضد أعدائهم في العصور الغابرة وما كانوا يتحلون به من إباء وشمم وعزة وسؤدد فيقول تحت عنوان: _ (الدعوة إلى القوة).

" نحن العرب عرفنا بشدة المراس والقوة وعرفنا بالاستهانة بالأخطار والشجاعة عند اللقاء واحتقار الميوعة والجبن والتخاذل وإن الحرب صناعة العرب، لذلك فإن كل دعوة إلى الاستهانة بروح القوة إهانة لنا من حيث أنها تكون وسيلة لإذلالنا وإبقائنا على ما نحن فيه من ذل يجب أن نتخلص منه بالقوة.

وقلماً مرّ العرب في دور الذي يمرون به اليوم فإنّ كلكل الاستعمار الغربي في بلادنا قد زاد عليه خطر (إسرائيل) التي لم تعد مزعومة مع الأسف، فنحن في حالة تهديد حقيقي نعانیه من عدة جهات، نعانیه من الغرب الظالم ونعانیه من إسرائيل المعتدية، فحق علينا أن نلتفت إلى تراثنا في تقديس القوة وصناعة الموت وأن نعدّ لأعدائنا ما استطعنا من وسائل الدفاع والهجوم، فالاستنامة إلى الضعف والمهادنة والسلام وتكرار هذه العبارات المخدرة نفسياً

^١ - جريدة الجمهورية ٨ / ٤ / ١٩٦٨.

والدعوة إليها ملونة بالمثاليات العليا التي تخدم غيرنا تقييناً ضعفاء فاترين لا تقوى على دفع الظلم الواقع والذي قد يقع^(١).

ويقرن أديبنا المشكور (الأسدي) كرامة القلم بكرامة صاحبه من حيث ترتبط إحداهما بالأخرى روحاً ومعنى، ومعنى ذلك أن الأديب الذي لا يشعر بكرامة نفسه فهو عديم الشعور كذلك بكرامة قلمه، فالقلم ترجمان الفكر والشعور ورمز الكرامة الأديب، والأديب الذي يبخس قيمة أدبه ويركض وراء كل تافه أو يسكت عن الحق - والساكت عن الحق شيطان أخرس - يجب أن نقرأ عليه وعلى أدبه وقلمه ألف سلام وسلام!! فاستمع إليه وهو يحدثك تحت عنوان: - (كرامة القلم).

" للقلم كرامة يعرفها أصحاب الأقلام الحرة، هؤلاء الذين يمرون باللغو حين يعترضهم مر الكرام فلا يغمسون قلمهم بالمداد الأدكن يردون به على ذلك اللغو. كرامة القلم من كرامة صاحبه وصاحب القلم الكريم صاحب رسالة هي رسالة الشرف الوطنية يذب بها عن الحق الصريح ويدفع بها الباطل الكسيح، صاحب القلم هو من لا تغريه المغريات الزائلات، ولا يخيفه تهديد ووعيد لان الرزق بيد الله وحده . . هو ذلك المخلص فيما يأتي ويدع من قول، الماضي كالسيف يقطع الفضول ويثبت الأصول ويدعو إلى الفضيلة والوطنية

^١-جريدة الطريق: ٢٢ مايس ١٩٥٤ .

ومكارم الأخلاق ورعاية الإنسان والإيمان بالله العليّ القدير الذي إليه المآب بعد الرحلة القصيرة فيكون عنده الحساب وفصل الخطاب سبحانه وتعالى" (١).

والأستاذ مشكور كالمفكر الضليع الذي ينظر إلى الحياة بعقله الكبير، ومما يقول في خواطره اليومية في وصف (الربيع) بمثل هذا الأسلوب الساحر. "بدت أكام الربيع تتفتح عن براعة لطفه الوردية المتموج في أعقاب الشتاء المتخلف فأينعت الأرض باللون الأخضر الزاهر لون الحياة المبهجة الطيبة التي تزدهر فيها طاقات السرور في قلب الإنسان كما تزدهر باقات الزهور في ممشي البستان.

"الربيع واسطة عقد بين فصلين مختلفين وهو فيهما - الوسط - البائع الآخذ منهما جميعاً خير ما فيهما جميعاً فليس يعرف قر الشتاء وليس يعرف قيظ الصيف بل هو يقيس من هذا ومن ذاك ما يخلط بينه جميعاً فيكون مزيجاً يترجم عن مزاج الربيع ويكون اتصالاً يرجع ترنيمات الوصال، فليس عبثاً من ثمة أن يفرح الناس بالربيع وليس بدعاً أن يرقص الوجود في محراب بهائه الرضاء . . الخ" (٢).

وهو كذلك يصف فصل الصيف وصفاً ينطبق والواقع قائلاً بلغة الأدب الوجداني وفي أسلوبه نكتة لطيفة تثير الانشراح في نفسك.

^١ - جريدة - الطريق - ٢٨ / تموز / ١٩٥٣.

^٢ - جريدة - صدى الأخبار - ٢٢ / ٣ / ١٩٥٤.

" جاء فصل الصيف، فصل المساكين والفقراء . . .

جاء فصل الصيف بقيظه بعد قر الشتاء، فتفقر الفقراء من الأسماك الثقيلة إلى خفيف الرداء الممزق واكتفوا بأيسر الطعام وأبخسه وتراموا حيثما اتفق من سطح خان أو رصيف شارع أو صحن جامع أو زاوية مكشوفة، جاء الصيف وجاء معه الحر والعرق واستراحة الظهر وكسل الجسم وفتور الذهن - جاء فصل الباذنجان - حفظك الله من كل سوء.. جاء فصل الصيف حيث يغادر الموسرون هذا الوطن القائظ إلى منأى من بلاد المصايف الجبلية وسواحل البحار اللازوردية حيث لا يشعرون بحر ولا ينضحون بعرق ولا يأكلون - الباذنجان - وحيث يعيشون في جنات ونعيم ، ويتركون المساكين أمثالنا يكدحون آناء الليل وأطراف النهار . . الخ^(١).

وما أكثر خواطر كاتبنا القدير - الأسدي - الذي يبث فيها لواعج نفسه حيناً، ومسرات قلبه حيناً آخر، وكل ما في خواطره جدير بالقراءة والتفكه، إذ يعطيك انطباعاً حياً عن واقع الحياة ومظاهر الطبيعة الفاتنة ، وها هو يصف لك (نسيم الشمال) وصفاً رقيقاً لطيفاً كلطافة أسلوبه فمن قوله:

"نسيم الشمال . . ما أرق هذا النسيم حين يهب على القلب المتيم فيحیی، مواته وبسعه بعد أعنات ؟ نسيم الشمال حمل إلى وجداني

^١-جريدة - صدى الأخبار - ٢٦ / نيسان / ١٩٥٤.

ما به حياة الروح وانبلاج زهرة العمر عن مكنونها الطهور الذي لم يتفتح إلا له وحده، نسيم الشمال مر على قلبي رحيماً ضاحكاً عاطراً، فصفق هذا القلب وانتشى وعرف ما الحياة بعد موات! وضحكت حقيقتي التي لم تضحك إلا له، وتجلت مسحورة به ممهورة بحبه! ما أقدس هذا النسيم الضاحي، هذا النسيم الذي أطلق شذاه عواطفي المكبوتة وخواطري البيضاء وأشعاري المثورة الخ^(١).

وتراه يترجم شعوره نحو شهر رمضان إيماناً منه بقدسيته وروحانيته التي تربط قلب المسلم بدينه وتوجهه توجيهاً ذاتياً إلى ربه بفرائض الصوم والعبادات والأعمال الصالحة. ومما يقول تحت عنوان (مرحبا بـرمضان):

" جاء رمضان فأهلاً بـرمضان، قدم شهر الصيام الذي انزل فيه الفرقان ، مرحباً بشهر الاعتكاف إلى الله في تنزهه عن الدنيا وخلص إلى الخير واستشعار آلام الغير واستبطان داخل النفس عن طريق الجوع والظمأ في النهار القائظ، مرحباً بـرمضان فيه عبرة للإنسان ومران له على مصاولة الحدثان . الخ"^(٢).

ومن قوله في وقفة له " على أطلال بابل".

^١ - جريدة صدى الأخبار ٨ / تشرين الأول / ١٩٥٣

^٢ - جريدة صدى الأخبار ١٦ / مايس / ١٩٥٣

"نحن الآن في بابل، هذا هو الطريق الملوكي المبلط بالأجر اللماع كل آجرة من قطر، هذا هو الطريق المستقيم الذي سار فيه الملوك الصيد حين خرجوا إلى "فتح" أو عادوا من "نصر" هذا هو طريق "بختنصر" مر فيه قبل الدنيا وممثل حضارتها يجرجر وراءه سبايا إسرائيل يرفلون بالقيد ويتعثرون بالذل .. (١)".

والأستاذ مشكور دائم التردد على مسقط رأسه "كربلاء" وتراه يصف في إحدى زيارته معالمها وذكريات طفولته فيها ومما يقول:-
"ساعات معدودة محدودة، أمضيتها في كربلاء أعادت إلى ذهني خواطر أيام الطفولة والصبأ، مر أمامي شريط رائع المعاني والإحساسات فيه ما يسر وما يحزن، فيه بضعة من وجودي، فيه بضعة من وجداني، فيه (أنا) بسنواتي الأولى - وقوله:- "ولكن كربلاء نفسها لم تتجدد وإن بدت في بعض مظاهرها متجددة، لا أقصد (النور الإلهي) في هذا البلد المقدس فإنه - نور - أزلي متجدد .. دائما .. الخ" (٢).

ويصف لنا - مشكور - ذلك المشهد العظيم في "مكة المكرمة وعرفات، الذي هو صورة مصغرة للمشهد الأعظم في "يوم القيامة فيقول تحت عنوان:- "مشرق الروح".

^١- جريدة الطريق ١٥ / مايس / ١٩٥٣

^٢- جريدة الطريق ١٦ / شباط / ١٩٥٤ .

"في مثل هذه الأيام المباركة من العام الماضي كنت في الديار المقدسة أؤدي مناسك الحج . أمامي يمرّ المسلمون الحاجون فرادي وجماعات بينهم الأبيض والأسود والأصفر، فيهم من جاء من آسيا الصغرى أو من جنوب أفريقيا أو من قلب الجزيرة العربية جاءوا كلهم يحدوهم هدف واحد هو أداء مناسك الحج؛ تنفيذ لأوامر الله .. تتحدى شرة النفس برداء الروح .. الطواف حول البيت العتيق .. . زيارة قبر المصطفى والتعارف مع الحجيج في أقدس ضجيج " وقوله: "الجميع إخوة مسلمون، انشقت فيهم مرارة الفرقة اللونية أو الجنسية وزالت الفروق بين الغني والفقير كلاهما في إزار الإحرام قد صفا قلبه من أطماع الدنيا .. الخ.

" أينما كنت أسير ومع من أتحدث أجد الحسرة تملأ الجوانح على ما صار إليه المسلمون في عصر الذرة، كيف نهبت "فلسطين" كيف قامت دولة الضلال ؟ كيف لا تهب شعوب الإسلام لدره الكفر عن بلاد الإسلام ؟ كيف لا تشترك هذه الشعوب في خصم الخصم اللدود .. الخ" (١).

المستشرق ماسينيون:

كان المستشرق الفرنسي ماسينيون من رجال العلم والبحث والتنقيب عن الآثار التاريخية والمواقع الأثرية في الشرق العربي والإسلامي خاصة العراق، وكانت له اتصالات وروابط ودية وثيقة

^١ - جريدة الجمهورية بغداد ٧ / ٣ / ١٩٦٨ .

بعدد كبير من أعلام الأدب والفكر في هذه الربوع منهم المرحوم السيد عبد الحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية السابق وقد زاره (ماسينيون) في داره بكربلاء مرتين الأولى في أواخر العهد العثماني والثانية منذ أكثر من عشرين عاماً عندما جاء لمشاهدة (حصن الإخضر) الذي يبعد عن كربلاء مسافة (٣٠ - كم) في الجهة الجنوبية منها^(١).

^١ - من مقال للمؤلف عن حياة السيد عبد الحسين ومؤلفاته والروابط المتينة بينه وبين ماسينيون ، منشور في مجلة الإيمان النجفية للشيخ موسى يعقوبي العدد (٧ - ٨) ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥.

وكان المرحوم السيد عبد الحسين من رجال الفكر والعلم المبرزين باضطلاعهم في التاريخ الإسلامي والفلسفات الفكرية القديمة اليونانية والعربية والفارسية وكانت له مكتبة ضخمة عدت في طليعة مكتبات العراق قبل نصف قرن تقريباً، وقد أشار إليها المؤرخ الشهير (جرجي زيدان) في كتابه " تاريخ آداب اللغة العربية ج / ٤ " ولكنها احترقت ولم يبق منها إلا النزر القليل، وذكره الكاتب اللبناني الكبير المرحوم محمد علي الحوماني في كتابه (بين النهرين) حيث زاره في داره بكربلاء وتباحث وإياه في أصول العقيدة الإسلامية والفلسفة اليونانية والخير والشر والجبر والتفويض في الإسلام وغير ذلك من الأمور التي مرجعها الدين والعقل ووصفه بالذكاء والحدق وأشاد بشخصيته اللامعة .

وللسيد عبد الحسين مؤلفات كثيرة منخطوطة وقد بذلت جهوداً كثيرة بعد وفاته عام ١٣٨٠ هـ في تسهيل تحقيق بعض هذه الآثار المنخطوطة وإخراجها إلى حيز الوجود وذلك إجابة لطلب نجله السيد عبد الصالح آل طعمة سادن الروضة الحسينية المقدسة .

وللأستاذ مشكور الأسدي أكثر من لقاء مع هذا المستشرق المعروف في القاهرة وفي (ميونيخ) بألمانيا وقد كتب بإسهاب عن ذلك جاء فيه: "كان (ماسينيون) في هذا اللقاء بادي النشاط كما رأيت من قبل في القاهرة، لم تكن السنون من سمهري قامته، ولم تحفر في وجهه الغضون العميقة ولم تفلت من نفسه حيوية العالم . . الخ" .
حتى يقول: " . .

وأخيراً: - فإنه مهما قيل عن المستشرق بصورة عام من وجود ميل يدفع بعضهم أو بكثير منهم إلى غايات لا علاقة لها بالعلم والمعرفة فأني اعتقد بان المطلعين على دخائل ماسينيون تلميذ العلامة الألويسي والمغمور بتجليات الحلاج يعترفون بأنه لم يكن من هؤلاء بل كان من العلماء الأفاضل المتصرفين للعلم والبحث عن الحقيقة والله أعلم" ^(١).

ولـ"مشكور الأسدي" رأي صريح حول الشعر الحر وهو أشبه بالانتفاضة على هذا الشعر - الممسوخ - الخارج على القاعدة

إلا أنني لم أستطع أن أحقق الأمل المنشود إذ وجدت مكدسة بدون تنظيم ومعظم صفحاتها غير مرقمة وقد حققت قسماً كبيراً من كتاب (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) وكتاب "بطون قريش" وقبل الانتهاء منهما تركتهما للسبب المذكور ولكن حفيده الأستاذ المحامي السيد عادل الكليدار هو الذي أكمل تحقيق كتاب (بغية النبلاء) وأخرجه للنور .

^١ - جريدة (الأيام) - الأربعاء ٢٩ جمادى الثاني ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ .

والموازين في الشعر العربي الأصيل، العمودي المقفى، الذي جاء تحدياً له سواء آمن أصحاب هذه "المدرسة الجديدة" التي هي في طريقها إلى الأفول أو لم يؤمنوا مع تقديرنا لمواهبهم الأدبية الخلاقة - و"كل حزب بما لديهم فرحون". فأقرأ من نقده المبنى على الحقيقة ما يلي:-

"ما يسمى اعتباراً بالشعر الحر ليس شعراً وإنما هو كلام مسطور يمكن وصف بعضه بأنه نثر بالمعنى لهذا اللفظ، لان الشعر هو الكلام الموزون المقفى ليس إلا، ومن قال غير ذلك فإنما هو يماري ويخرج عن الجادة الأدبية ويعلن جهله على رؤوس الأشهاد. هذا إذا لم يكن ممن يبغون تخريب ديوان العرب فيتلبسون بلبوس الحرية والتجديد في غير ما حق... فالشعر هو الكلام الذي نعرفه موزوناً مقفى إذا خلا الكلام من هذه الصفة لم يكن شعراً وإن جاء بالمعاني الرائعة والتعابير البارعة"^(١).

ومن قوله أيضاً تحت عنوان [الشعر الحر ليس شعراً]:-

"... وشعرنا الحر، المتخلى عن الوزن والقافية أو عن احدهما ليس شعراً لأنه تعرى عن مميزات الشعر وإطلاق اسم الشعر عليه يراد به تغطية ما في أكثره من غثائه وتهافت وتزيين بما هو عاطل منه - إلى قوله:- إن الشعر صعب مرتقاه ولكنه بطبيعته يتلأل للعين فيود"

^١ - جريدة (العرب) العدد ٤٠٧ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ .

الوادون أن يقولوه فلا يبلغ أكثرهم من ذلك شيئاً فيقولون قولاً ليس بشعر يدعون انه الشعر ليقال عنهم شعراء ... الخ^(١).

وللأسدي مقال مطوّل عن حياة وشاعرية شاعر العرب المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي صاحب العبقرية الوقادة في النظم والارتجال^(٢) جاء فيه:

"... لماذا إذن تنكر على الكاظمي قدرته أو عبقريته في الارتجال؟ هل إن ارتجال الشعر من مثل الكاظمي - أعسر من حل أعقد المسائل الحسابية - يقوم به فني لم يطر شاربه؟ فقدرة الكاظمي كانت مزكاة ومحلاة ومحاطة بتمكنه من العربية وتمرسه بالشعر حفظاً وقرضاً واجتهاده الشخصي الصرف... الخ^(٣).

خاتمة البحث :

لننقل هنا رأى الأستاذ الخاقاني في مشكور الأسدي: "الأستاذ مشكور الأسدي أديب عراقي معروف وباحث محقق وكاتب رصين

^١ - مجلة - الإخاء - باللغتين - العربية والتركمانية - العدد العاشر - شباط ١٩٦٥ .

^٢ - من آثار هذه الشاعر الخالد مجموعتان - الأولى طبعت في دمشق عام ١٩٤١، والثانية في القاهرة عام ١٩٤٨. كذلك مجموعة "معلقات الكاظمي" طبعت عام ١٩٤٢. وهي اليوم نادرة الوجود في الأسواق، وللصديق الأديب النجفي الأستاذ عبد الرحيم محمد علي فضل كبير في إحياء ذكر هذا الشاعر الموهوب إذ بحث وتحرى وجمع كل ما قاله الأدباء والشعراء والكتاب العرب عن "الكاظمي" وشخصيته الأدبية الفذة وطبع منها أربعة أجزاء وقد أهدى لمكتبتي الخاصة منها متفضلاً ومشكوراً.

^٣ - جريدة الأيام ٢٠ / ٥ / ١٩٦٢ .

الأسلوب يرصد النكتة ويتحرى الأهداف التي تموج الذهن وتشحذه وهو اليوم يواصل دراسته في القاهرة بجامعة العلوم وفي الوقت نفسه تراه كسفير لكل عراقي وممثل صادق في دعوته للعراق في نفخر بسيرته ونعتز بشخصه.. الخ"^(١).

ولنجعل أديبنا الحاج مشكور الأسدي يختم هو هذه الدراسة بمشاعره، بوجدانه الملهب، بقلبه المنفجر ألماً من قضية فلسطين الجريحة والقدس الشريف السليب والنكسة الكبرى التي جلبت الذل والعار المسلمين في الخامس في حزيران ١٩٦٧، على أيدي الصهاينة المجرمين صنائع الاستعمار الغربي العدو الدود للأمة العربية والإسلامية .

" تحية للفتائي العربي البطل في فلسطين، لقد فتح صفحة جديدة في النضال من اجل الوطن المبتلى، من أجل إعادة البقعة المشرفة، من أجل مسح الذل عن الجبين، تحية للباذل نفسه ولا نامت أعين الجبناء، يحمل السلاح على كتفه وقلبه الصلد قد من جديد أقوى من السلاح الحديد، يهجم بهذا وذاك، لا يبالي إلا أن يصيب، فإذا به يصيب، ويصرع الأفعى، ويمرغ انف العدو في التراب، وإن استشهد ووقع صريعاً على أرض ففي عليين وحسن أولئك شهيداً، صفحة

^١ - مجلة البيان العدد (٣٣ - ٣٤) محرم ١٩٦٧ هـ - كانون أول ١٩٤٧ لصاحبها الأديب الباحثة الأستاذ علي الخاقاني صاحب المؤلفات والتراجم الأدبية القيمة.

٣١٠ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
جديدة فتحت في جبهة العدو تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم فيزداد هلع
الأعداء يوماً بعد يوم وسيأتي الوقت الذي تزلزل الأرض تحت
أقدامهم العرجاء"^(١).

ونلفت نظر القارئ الكريم إلى الاستدراك التالي^(٢):
(ومن البارزين اليوم من أسرة آل عواد الوجيه جاسم محمد الحاج
جواد والوجيه احمد عبد الجليل آل عواد الذي يرأس الأسرة، ولهما
منزلة اجتماعية مرموقة ومعرفة ودراية بأصول النظام العشائري
والتحكيم في القضايا العشائرية ومن الذين يدعون إلى المناسبات
الرسمية دائماً.

وكذلك منهم: عباس بن حسين والأستاذ محمد علي حسين
الحاج جواد والأستاذ كاظم العواد وعباس بن عبد النبي العواد وعباس
عبد النبي الحاج محمد وكاظم بن خليل والحاج أحمد والحاج سلم
الآنف الذكر الذي له رغبة شديدة في تتبع الآثار والحوادث التاريخية
وتدوينها.

^١ - جريدة الجمهورية ١٨ / ٢ / ١٩٦٨.

^٢ - تثبت ما سقط سهواً من السطر العاشر من - ص ٢٣٧ - ما يلي: "ولبيت الأسدي
أيضاً مصاهرات وصلات مع بيت المرحوم آية الله للشيخ محمد الخطيب".
وكذلك تربط السطور التالية بموضوع أسرة آل عواد في الهامش من الصفحتين
٢٣٧ - ٢٣٨.

حسين فهمي الخزرجي



تطلعت الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء إلى روادها الطلائع، الذين برزوا بمواهبهم الخلافة على مسرح الحياة الأدبية في كربلاء . . وأبدوا من معالم نبوغهم الفكري ما كان يجتذب القلوب ويثير الإعجاب .

كان الأديب الأستاذ حسين فهمي الخزرجي من أولئك الرواد الذين كان لنشاطهم الأدبي صدى عميق في أرجاء القطر العراقي، والحقيقة إنهم لم يكونوا رواد هذه الحركة فحسب، بل كانوا أصحاب نهضة أدبية بانطلاقتهم في رحاب الأدب، وتحليقهم في أجوائه العريضة، وآفاقه الواسعة. وكان قوام هذه الحركة أو النهضة الأدبية جماعة من الشباب الناهض الذين توسموا في الأدب بلوغ الكمال وهو الهدف الأسمى، كما توسم الأدب فيهم كذلك حب الخير، ونكران الذات، وخدمة الجيل. والطموح بالرقى في الحياة .

منهم: الدكتور صالح جواد آل طعمة^(١) وعبد الباقي رضا والدكتور محمد جواد "دعبل" زكي الصراف والأستاذ الخزرجي

^١ - للدكتور صالح جواد شقيق وهو الأستاذ السيد عدنان أو عبد الرسول كما هو اسمه الحقيقي وهو شاب مثقف حسن الأخلاق ومازال يدرس في جامعة بغداد، وله آثار جلية مطبوعة معظمها فهارس مخطوطات المكتبات العربية..

وغيرهم من شباب الأدب في كربلاء الذين كنت أتطَّع إلى نشاطاتهم الأدبية عن كتب. قبيل منتصف هذا القرن الميلادي واقف على آثار حركتهم الأدبية؛ وأتلذذ بثمرات أفكارهم التي كانت تصدر من معين لا ينصب، وتنشرها أمهات الصحف والمجلات العراقية العربية.

لقد فتح هؤلاء النخبة من أدبائنا الكربلايين صفحات بيضاء في تاريخ الأدب المعاصر في كربلاء في الفترة القريبة التي أشرنا إليها. وقد اتصلت معرفتي بالأستاذ الخزرجي منذ الصغر، وعرفته كاتباً وأديباً وشاعراً أيام كان ملازماً لصديقه الحميم أديبنا الكبير المغترب الدكتور السيد صالح جواد آل طعمة وزملائه الآخرين في مضمار ذلك النشاط الأدبي الخالد؛ ثم توثقت علاقاتنا الودية بمرور الزمن وكان الأدب هو الرابط الرئيسي بيننا أولاً وأخيراً.

مولده - بيته - ثقافته :

ولد في مدينة الضاد، وبلد القداسة والمثل العليا، - كربلاء المقدسة - في مساء الأربعاء الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠/٤/٢١ ورباه والده^(١) تربية سليمة كما ينبغي أن يربى الآباء الصالحون أبناءهم، وعلمه مبادئ القراءة والكتابة والحساب قبل أن يبلغ السن القانونية لدخول المدرسة وما أن أكمل السادسة من عمره حتى كان يقرأ بعض السور القرآنية لذلك كان من الطلاب المبرزين

^١ وهو الشاعر الشعبي عبد عي الخزرجي. وردت ترجمته في كتاب - شعراء كربلاء الشعبيون - للأستاذ جاسم الكلگاوي .

في حياته المدرسية، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ذكائه المفرط.

ويقول - هر - في ترجمته الخطية في سياق هذه المعلومات من نشأته وتعلمه مبادئ العلوم الأولية على والده أن لوالده الفضل الأكبر في توجيه حياته العلمية والأدبية بوضع مكتبته الخاصة تحت تصرفه عندما دخل المرحلة الإعدادية وتشجيعه إياه على الكتابة والنشر والتأليف، وصقل عقله يوم كان - طفلاً صغيراً - وتنويرها بكل ما يمت إلى الإسلام الحنيف من خلق فاضل وعادات وتقاليد ونماء رغبته في تحصيل العلم والأدب، وهو يعتبر رعاية والده له المدرسة الأولى التي بسطت عليه ظلالها، ونمت فيه الإمكانيات والقابليات لمواجهة الحياة في شتى نواحيها.

وهكذا يجب أن يكون الإباء مثلاً سامياً للمربين الأكفأ ليتخرج عليهم أبناءهم كما يتخرجون على - معلمهم وأساتذتهم - في مراحل الدراسات المدرسية، فإن كان الآباء والأمهات يشعرون على حد سواء بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم في تربية أبنائهم وتوجيههم نحو الخير والفضيلة فإنهم يسدون خدمة كبرى للحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، ويخففون عن كاهل المعلمين المربين مشاركة معنوية وفعلية معهم في حمل الرسالة التربوية والعمل على أدائها بما تستحق من واجب وحسن تقدير.

إذ ليست المسؤولية بعاتق المعلمين وحدهم في النواحي التربوية وحسب ، وإنما للآباء والأمهات (الأولياء) منها قسط كبير، وإنّ التعاون فيما بينهم في هذا المضمار لا يخرج من كونه تعاوناً إنسانياً ينتج ويثمر، وكثيرون أولئك الآباء الغياري الذين يولون هذه الناحية أهمية كبيرة وينظرون إليها نظرة فيها كل معاني الإكبار والتقديس.

مجالس الآباء المعلمين :

ولعلي لا أخرج عن صلب الموضوع فإنّ خواطر الفكر يجرّ بعضها بعضاً، والشيء بالشيء يذكر:ـ

إنّ مجالس الآباء والمعلمين التي تأسست في العراق منذ سنوات قليلة لا شك إنها تحمل طابعا إنسانياً في نطاق هدفها النبيل، ونسعى إلى تحقيق غايات مثلى تبرز بوضوح في حرصها الشديد على شد أزر الآباء والمعلمين وتضافر جهودهم وتضامنهم في العمل المشترك عن طريق الاتصال المباشر وغير المباشر مع بعضهم لتوجيه الطلاب توجيهها تربوياً سليماً سواء في البيت أو المدرسة لئلا يكون للمحيط الخارجي الفاسد أي تأثير عليهم مما يؤدي ذلك إلى فشل تلك المساعي وذهابها أدراج الرياح، إذ لا شك أن المحيط الخارجي هو المعول الذي يحاول دائماً أن يهدم البناء الذي يقوم على جهود المدرسة أولاً والبيت ثانياً.

ثم العمل على تذليل المصاعب التي تواجهها المدرسة والبيت على حد سواء مما يحدث الطلاب من مشاكل في حياتهم الدراسية

والحياة مشاكل وأتعاب ! وإذا ما تمّ التعاون الايجابي الفعّال بين البيت والمدرسة لإيجاد حياة هادئة وادعة للنشء وخلق جو ملائم له وتهيئة كل ما يحتاج إليه من وسائل التربية والدراسة والتقويم الذاتي في عقل وحكمة وسياسة ومرونة . . فإنّ ذلك هو السبيل الوحيد لخلق جيل صالح واع عميق الإحساس والشعور بواجباته ومسؤولياته في مواجهة الحياة، ولا تفوتنا الإشارة إلى أن كل فرد من أفراد هذا الجيل الصالح بالذات سوف يشعر بإنسانيته بين مجتمعه كعضو نافع فيه، أو كمواطن صالح مطبوع على الخير وسلامة القلب ورجاحة العقل، وصفاء الفكر، والحب الشديد لدينه ووطنه وأمه وتراثه وذلك بما يقدم له الآباء والمعلمون من خدمات تربوية نافعة تعمل على رفع مستواه الفكري والثقافي وإسعاده في الحياة بوسائل التشجيع والتشويق.

ومن فوائد مجلس الآباء والمعلمين أيضاً . . إنّ الطالب (مازال طالباً) يلتزم بالنظام وطاعة الوالدين والمعلمين ويتجنب الإهمال والتعاس والمشاكسة ويحترم زملاءه مادام يسيطر عليه الشعور بالمسؤولية والخوف من البيت أو المدرسة نعلمه بأنهما يراقبان حركاته وسلوكه من قريب أو بعيد، ولكن للأسف الشديد إن مجلس الآباء والمعلمين الذي حظي باهتمام الأولياء والمسؤولين ونشاطهم ورعايتهم بإقامة الحفلات المدرسية بمناسبة في سنواته الأولى قد لقي أخيراً من الأعمال ما جعله مجرد اسم يذكر وحسب.

أسرة المترجم :

تنحدر أسرة الأستاذ الخزرجي من قبيلة عربية عريقة لها مكانتها في التاريخ وهي قبيلة (الخزرج) ومنذ أكثر من قرنين نزحت إلى كربلاء وسكنت في محلة (باب الطاق) وعند والده وثيقة قديمة^(١) تشير إلى ذلك مؤرخة في سنة ١١٦٧ هـ وهو ابن علي غالب بن حسون بن ناصر بن حسين بن علي بن عبد الله بن قاسم بن محمد بن مالك بن باقر بن عابدين الخزرجي، وله شقيق يعمل موظفاً في مديرية التربية بكربلاء وهو الأستاذ أياد نظمي الخزرجي.

ثقافته ونشاطه الأدبي :

دخل المدرسة الابتدائية في السادسة من عمره واجتازها إلى المتوسطة وأنهى الدراسة الإعدادية في فرعها الأدبي عام ١٩٤٤ وفي هذه الفترة انتقل بحكم وظيفة والده إلى النجف الأشرف ووجد هناك منطلقاً لأفكاره الأدبية إذ نشأ في جو ثقافي وصحفي، وقد أدى اشتغاله في الصحافة إلى إحرازه التقدم الكبير في هذا الميدان حيث اختير محرراً في مجلة - الغري - ورئيساً لتحرير مجلة العدل الإسلامي.

والصحافة عمل شاق مرهق، إلا أن فيها لذة لا يتذوق طعمها إلا أصحاب الخبرات والتجارب الأدبية في العمل الصحفي الذين يجدون في مشاق عملهم راحة لضمائرهم خاصة إذا كانوا يهدفون إلى

^١ - البيوتات الأدبية في كربلاء - ص ٢٠٩ للأستاذ موسى إبراهيم الكرباسي .

التوجيه المعنوي لرفع مستوى الأدب والعلم والأخلاق في محيطهم ومجتمعهم ، وهكذا يجب أن تكون الصحافة الحرة في كل عصر وجيل .

وفي عام ١٩٤٨ أصدر كتابه القيم بعنوان: [الشيوعية عدوة العرب والإسلام] ثم أعقبه بكتاب [الاشتراكية الإسلامية] وعين معلماً ابتدائياً عام ١٩٤٩ ولكنه كان شديد الطموح في إتمام دراسته فدخل الدورة التربوية ونخرج منها عام ١٩٥٩ وعين ملاحظاً للتعليم الابتدائي ، وهو اليوم رئيس ملاحظي الإدارة للتعليم الثانوي في مديرية التربية ب كربلاء .

والأستاذ الخزرجي من الذين ينطبق عليهم القول المأثور لإمام البلاغة علي بن أبي طالب - عليه السلام - القائل: [منهومان لا يشعبان طالب علم وطالب مال] فلرغبته الشديدة في الحصول على شهادة علمية عالية دخل كلية الحقوق ببغداد وتخرج منها عام ٦٦ - ١٩٦٧ ولكنه باق على وظيفته المذكورة ولم يزاول المحاماة ويدرس الآن - الماجستير- في جامعة القاهرة وله اتصالات وثيقة بمعظم أدباء وكتاب البلاد العربية، في أثناء عمله الإداري يتتهد الفرص فيكتب خواتمه الفكرية، وقد ألف حتى الآن سبعة كتب في مواضيع مختلفة أدبية واجتماعية وقومية وغيرها لا تزال مخطوطة، وقد انتمى بالعضوية إلى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين منذ عام ١٩٦٥.

مستواه وأسلوبه :

الأستاذ حسين فهمي الخزرجي أديب وشاعر رقيق كانت ممارسته الأدبية الطويلة التي نشأ فيها في كربلاء والنجف ذات أثر كبير في رفع مستواه الفكري الذي تبدو معالمه في أسلوبه الرصين وهو الأسلوب الحي، للأدب الحي وهو كاتب ناضج يصيب الهدف في كتاباته، وشاعر يبلغ غايته في نظمه، بصفاء قريحته خاصة في الغزل.

نماذج من نثره :

اخترت هذه القطعة لما فيها من حقائق لا تخفى على أذهان الذين يخضعون لسلطان العقل، الذي يميز بين الخير والشر، وبين الحرية والعبودية، وبين الإيمان والإلحاد، وبين النور والظلام، وصاحب العقل الراجح السليم هو الذي يمشي مع النور - نور العقل - ليكون في سلامة وأمان من مخاطر الزمان، ووعورة المتاهات، ومهاوي الظلمات.

يقول الخزرجي في كتابه - «الشيوعية عدوة العرب والإسلام»، قبل أن نتكلم عن أخطار النظرية الشيوعية في العالمين العربي والإسلامي يجدر بنا أن نذكر سبب دخولها فيهما ولماذا تمسك بعض الشباب بأذيالها لكي نظهر أن العربي لا يمكن أن يكون شيوعياً إلا إذا تنازل عن شيء نفيس إلا وهو - عروبه - ولكي نبين أن المسلم لا يمكن أن يكون شيوعياً إلا إذا تخلى عن شيء مقدس ثمين وهو رسالته^(١).

^١- الشيوعية عدوة العرب والإسلام - ص ١٨ / للمترجم .

ونصغي بعد ذلك إليه وهو يحدثنا عن نهضة الحسين عليه تحت عنوان: [يوم الحسين الخالد].

(تكر السنون تلو السنين، وتمر الأجيال بعد الأجيال، ويوم الحسين عليه السلام خالد كأنه حدث الأمس، لا تمحو ذكراه الدهور مهما تعاضمت، هو يوم له في قلب كل مؤمن عبرة تمتزج بها العبر والعظات.

يوم الحسين عليه السلام فيصل قاطع بين الحق والباطل، يوم الحسين عليه السلام مأثرة من مآثر التاريخ، ويوم الحسين عليه السلام صرخة في وجه الظلم، إنها صولة ناجحة لهدم صرح الطغاة، هو نصرة للدين ووثبة موفقة لدحر الباطل وهو عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين.

هذا هو يوم الحسين عليه السلام خالد أبد الأبدين يتجدد كل عام فيذكي في النفوس الأحزان والآلام كما يذكي فيها الصبر والعظات في ذات الوقت، الأحزان والآلام لهول المصيبة وعظمتها على الإمام أبي عبد الله عليه السلام وآل بيته الطاهرين، والصبر والعظات الغاية التي لاقي من أجل الإمام عليه السلام هذه المصائب.

من منّا يتذكر الفاجعة فلا تفيض عيناه بالدموع حزناً على الحسين وآله عليه السلام في الموقعة الكبرى؟ ومن منّا يتذكر الفاجعة فلا تتكسر فيه العبرات على الأطفال وهم يستغيثون عطشا؟

موقف - وأيم الحق - يمزق الأكباد ويقطع الأحشاء، وقفه الحسين عليه السلام بقلب جلد، ونفس مطمئنة راضية لمصيرها المحتوم لأن له غاية

يريد أن يبلغها، وهي إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإن ذهب هو ضحية ذلك.

ضحى الحسين عليه السلام بنفسه وعياله ليعطينا - نحن العرب والمسلمين - دروساً في التضحية في سبيل المبدأ، كان له مبدأ في الحياة يجب إظهاره فهانت عليه التضحية ولكنها كانت غالية وكانت فاجعة... الخ^(١).

ويقول في كتابه المخطوط (ما قلّ ودلّ) تحت عنوان - ثقتنا بأنفسنا عماد نجاحنا -

" ما من شخص يشك في قدرته على انجاز عمل اضطلع به بمستطيع أن يوجه نشاطه توجيهاً حسناً مثمراً . ذلك لان العقل الباطني والحالة النفسية هما اللذان يقرران مصير كل عمل يتولاه الإنسان والثقة بالنفس إحدى إحياءات العقل الباطني التي تعلمنا كيف ننظر إلى الأشياء نظرة متفائلة مليئة بالاطمئنان ، فالثقة بالنفس عماد النجاح في الحياة.. الخ"^(٢).

وكتب دراسة أدبية عن صديقه الأديب الكبير الدكتور صالح جواد آل طعمة جاء فيها: -

^١ - جريدة المجتمع الكربلائية - العدد ٢ الخميس ١٩٦٣.

^٢ - ما قلّ ودلّ، للمترجم - مخطوط - .

"وصالح جواد آل طعمة بعد ذلك صلب العقيدة لا تهزه الزعازع يتصف بجرأته وشجاعته، كما يتميز برزاقته وصرامته في نفس الوقت لكنه إن خالفته في شيء لا يرتضيه وأنت لم تكن على حق - فإنه ينقلب إلى ثورة لاهبة وبركان يتدفق نيراناً، خارقاً حدود الصداقة يتسم كذلك بأخلاق عالية جداً وشمائل قل أن توجد عند أكثر شبابنا اليوم، لا يرتاد المحال العامة إلا قليلاً، فإذا ذهب مقره - المكتبة - فقط سلوته الوحيدة قلمه فقد اتخذه حبيباً يبثه آلامه وآماله ولواعج نفسه، وكتبه أعز أصدقائه لديه.

وفوق ذلك فهو عربي صميم من (آل طعمة) إحدى البيوتات الشريفة في كربلاء ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام رفيق النفس طيبها، متوثب الروح، مشوب العاطفة، نير الفكر، حالم النظر، يتطلع إلى العلى منذ أن كان طرى الجناح، وهو إلى جانب هذا متحدث يسحرك حديثه لرشاقة العبارة التي يقذفها، وأناقة اللفظة التي يرسلها...^(١).

ويقول الخزرجي تحت عنوان - أصل العرب وموطنهم: -
(العرب هم الأقوام التي تنطق باللغة العربية وهي إحدى اللغات الشرقية السامية القديمة ويقال (العرب العاربة والعرب العاربة) وهم ليسوا عجماء، ورجل عربي أي ثابت النسب في العرب، وقال صاحب

^١ - صور ودراسات أدبية - في شعراء وأدباء كربلاء، للمترجم - مخطوط -

٣٢٢ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١

اللسان: _ (والعرب هذا الجيل لا واحد له في لفظه سواء أقام بالبادية أو بالمدن والنسبة إليها أعرابي وعربي)^(١).

وله هذه الأبيات الرائعة التي يفضح فيها نوايا الضالعين في ركاب الأعداء الألداء أصحاب النعرات العنصرية المقيتة ورواد البلشفية الهدامة ومروجي المبادئ الأجنبية الوافدة على شرقنا الإسلامي والعربي من وراء الحدود، ولا شك أنك ستجد لذة وامتعة حين تقرأ قوله: _

سألتني وقد غواها أجير
من دعاة المبادئ الأجنبية
أبهذا - الرفيق - قل لي لماذا
كنت صبا بمبدأ القومية ؟
ما ترى القوم في شقاق مقيت
كيف ترجوا الوفاق بالعنصرية ؟
قلت والقلب ملؤه حسرات
من سموم الدعاوة - البلشفية -
إنما مجد موطني يا فتاتي
في بقاء القومية العربية
وله في الغزل هذه الرائعة التي يثبت فيها شكواه من آلام الهوى
بقوله: _

^١- نحو وجهة قومية، للمترجم - مخطوط -

يا لقلبي تناهتته الغزاة
وتمادات بفتكه الفاتنات
فغدا موجعا ينوء يجرح
ليس طب يفيدته أو أساة
كل يوم صريح حب جديد
تتعالى من حوله الذكريات
وصفوة القول: _ إن الأستاذ حسين فهمي الخزرجي من أدبائنا
الكربلايين المعاصرين الذين لهم قدم ثابت في ميدان الأدب،
يستوحي أفكاره من محيطه، ومن واقع الحياة التي تعيشها أمتنا، وهو
إلى جانب موهبته الأدبية يتصف بالأخلاق العالية والوطنية الصادقة.

علي محمد الحائري



للأدب قيمة معنوية في الحياة، إذ هو ملكة من الملكات الإنسانية الفاضلة التي توجه الإنسان نحو الخير والكمال، وتهذب فيه الجوانب النفسية بالأخلاق الكريمة والسلوك المستقيم.

والأخلاق والآداب كلمتان مترادفتان بينهما ترابط جوهري وهما من أسمى الغايات التي ترفع من قيمة كل امرئ يسعى من أجل تحقيقها.

ولا ندري . . فلفل الأدب هو الخلق الفاضل، أو الخلق الفاضل هو الأدب ! ولو أمعنا النظر في قول أمير الشعراء أحمد شوقي القائل:ـ

قوام نفسك للأخلاق مرجعه

فقوم النفس بالأخلاق تستقم

نستدرك الحقيقة، ويتبين لنا أن الأخلاق هي الإطار العام لآداب وإن الآداب لا تتم إلا بتكامل الأخلاق لأنها قوام النفس وبها يستقيم سلوك الإنسان في الحياة على حد قول شوقي، ويقارب هذا المعنى قول شاعر الرافدين معروف الرصافي الذي يقول:ـ

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

ونرى في هذا القول تجسيدا لمعاني الأخلاق التي ترفع مستوى الأفراد والمجتمعات والأمم وتكون مقياساً لقيمتها الرفيعة، وأما إذا ذهبت أخلاقها فإنها تصبح عديمة القيم المعنوية وكأنها عديمة الوجود، وللرصافي أيضاً هذا القول الرائع الذي يقرن فيه الخلق بالأدب ويعتبرهما (سهماً) يرتقي الإنسان بواسطته إلى المراتب العالية فقيمة الأدب بالخلق وقيمة الخلق بالأدب:ـ

من عاش في الوسط الزاكي زكاً خلقاً

حتى علا في المعالي أرفع الرتب

فاحرص على أدب تحيا النفوس به

فإنما قيمة الإنسان بالأدب

والأدب كائن حي، يعالج الأمراض الروحية التي تعبت فساداً بمعنوية الإنسان وتجرده من الأخلاق السامية أيما تجريد، حيث لا ينفعه إذ ذاك سوى الأدب فهو طبيبه الحاذق، وهو دواؤه الناجع والأديب الموهوب هو المقصود في ذلك كما يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الشيباني:ـ "الإنسان مخلوق مركب من روح وجسد لاشك في ذلك وإذا كانت الأبدان بحاجة إلى من يطببها ويأسو جراحها فان القلوب والأرواح أشد حاجة من ذلك، والأديب الموهوب هو طبيب الأرواح بشخص الداء ويصف الدواء . . الخ"^(١).

^١ - مجلة الكتاب - إصدار: جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين بغداد، العدد الأول -

ويدور حديثنا الآن حول شاعرية شاعر ترعرع مع الأدب وشب مع الشعر ونشأ وهو كالبلبل الغريد يتغنى بجمال الطبيعة، بهالاتها المشرقة في رحاب الكون، بالأخلاق والآداب لأنها الفضائل والكمالات التي يسعد بها المجتمع وترقى بها الأمة إلى قمم المجد الإنساني.

هذا الشاعر هو الأستاذ علي الشيخ محمد الحائري.

ولد عام ١٩٣٣ في كربلاء بلد الأمجاد والمواهب والطاقات الفكرية الهائلة، وكان والده المرحوم الشيخ محمد الحائري من رجال الدين الأفاضل ومن خطباء المنبر الحسيني .

يحمل المترجم شهادة الدراسة الثانوية - الفرع الأدبي - وشهادة الدورة التربوية وما زال منذ عام ١٩٥٥ يمارس التعليم الابتدائي. تأثر بمحيطه الديني غاية التأثير، واغترف من مناهله العذبة وتتلذذ على بعض رجال الدين الأفاضل في كربلاء في النحو والأدب والشعر والعلوم الدينية ، وتأثر يحافظ إبراهيم والرصافي والجواهري وبدوى الجيل. وكان أكثر تأثراً في الرثاء بالشعراء الأكابر أمثال: السيد بن الشريف الرضي والشريف المرتضى والمتنبي ومهيار الديلمي والسيد حيدر الحلبي. وهو يتابع قراءة الشعر الحر الحديث ولكنه لم يحاول النظم على شاكلته حتى الآن.

شعره :

تفتحت ملكة الشاعر علي الحائري في ربيع عمره، كما تفتتح
البراعم في الربيع، وبدأ ينظم الشعر في وقت مبكر.

ويمتاز شعره بكل المزايا والفنون التي يتجلى بها الوجه الأصيل
للشعر العربي. ويتخلل عناصر الإبداع من عاطفة ورهافة ووجدان
ورقة شعور وجمال وخيال وقوة السبك والأسلوب، وهو ينحو منحى
الشعراء القدامى باقتفائه اثر المدرسة القديمة باختياره الألفاظ الغريبة
وزجّها في بناء قصائده العمودية.

بين يدي ديوانه الضخم يضم من أغراض الشعر ألوانا شتى في
الدين والسياسة والمدح والرثاء والاجتماع والغزل، يماشى بها روح
العصر، وهو مع العرب في قضاياهم الراهنة يبعث صرخاته الوجدانية
في وجه الاستعمار والمستعمرين دفاعاً عن حقوقهم في صراعاتهم
الرهيبة مع النفوذ الأجنبي الدخيل من أجل حرّيتهم وكرامتهم
وسياذتهم، وهو بركان متفجر على الصهيونية العالمية قبل وبعد
النكسة المذلة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، أمّا اليهود
المجرمون فقد أجاد الكاتب الأديب الأستاذ السيد كاظم محمد النقيب
عنهم بقوله:—

”ولنا مع اليهود حاضر مليء بالعدوان علينا والتعصب ضدنا فلقد
استعانوا بكل الوسائل الدنيئة والشيطان (الاستعمار) وأصبحوا مطية
له من أجل تحطيمنا والقضاء علينا وسحق كرامتنا ولكن لم نعد نحن

كما كنا بالأمس. لم نعد نملك القوة !! فلقد كثر عددنا وكثر سلاحنا وكثرت أقوالنا وتصريحاتنا ولكننا فقدنا القوة... الخ^(١).

نماذج من شعره :

هذه مقتطفات من رثائه لأبي الشهداء وبطل الإسلام الخالد الإمام الحسين بن علي عليه السلام:-

حسين ويومك يوم الخلود
ويوم الشهادة والسؤدد
رمى الدهور بعقم لذا
إلى الآن نذكّ لم يولد
وذاتك في الأعصر السابقات
رشاد إلى الزمن الأبعد
شهد الفضيلة أنت الشهاب
لمن رام نهجك في مقصد
ومصرعك الفذ يوم الطفوف
أيّاً على الضيم لم ترقد
فديتك من أروع لم يرع
فأودى سلباً بقلب صدى
ومن يزدري الموت جنب العقيدة
يثبت ومن هابه يكمد

^١- انظر: نحن اليهود - للأستاذ السيد كاظم محمد النقيب ص ١٣ وهو كتاب قيم جدير بالمطالعة.

عصابة سوء أحاطت به
من الظالمين من الجحد
من النفر الساقطين الغواة
من الراغبين إلى العسجد
سليل النبوة من هاشم
عظيم المآثر والمحتد
وكيف قضى ظمأ وهو من
سقى ظمأ المجد بالأكبد
وكيف المذاكى عدت فوقه
وداست على صدره واليد
وكيف يولول آل الرسول
بظلماء تخش طلوع الغد
حواسر جردن من برقع
نوادب يخشين من معتد
حسين نداؤك سفر العصور
ونبراس حق بدنيا الغد^(١)
وله قصيدة رائعة يستنهض فيها جيوش العرب لإبادة إسرائيل
تحت عنوان (لبيك يا فلسطين) وبياري بها قصيدة شاعر العرب
الأكبر محمد مهدي الجواهري التي مطلعها:ـ
ردي يا خيول الله منهلك العذبا

^١- ديوان (الركب الضائع) للشاعر علي محمد الحائري (مخطوط).

ويا شرق عد لغرب فأقتحم الغربا

وهذا هو قول شاعرنا الحائري:ـ

أغيري خيول النصر والصارم الذربا

وهبي كهول الزعزع الغمر إذ هبا

ودكي على العليج المغير حصوله

وسوميه ذل العيش والموت والجدبا

لقد آن أن تستأصل الشرامة

من العرب ما كلت سواعدهم رهبا

من القوم خواضي دماء عداتهم

بلتهم رحي الهيجا فكانوا لهما قطبا

أغيري خيول النصر واقتحمي بها

معاقل كم ضل الدخيل بهما الدربا

وفلي حديد القيد عن خير معصم

ورديه حرراً لا يذال ولا يسبي

لقد كان ملء العين والقلب بأسنا

ومنا الذي لو صاح مستنجد لبي

رضعنا لبان المجد من مرضع العلي

سل العدل والتاريخ والشرق والغربا

ذكرتك (أولى القبلتين) وجانحي

يؤج بنار الثأر محتدماً جنباً

وأمسي دوى الصافنات يقودها

لنصرتك الفاروق قد ملأ الرحبا

و"حيفا ويافا" جنتان قطوفها
دوان ولكن هالني قطفها غلبا
أيرتغ فيها الوحش جذلان آمناً
ويدراً عنها الطير زجراً ولا نعبا؟
فلسطين يا مهد النبوات والهدى
ويا منهلاً من شهد تاريخنا عذبا
ويا جنة من صنعة الله صاغها
من السحر فازدادت بآياتنا عجبا
سنسترجع الحق السليب وإن غلا
فداء ففجر النصر منبلج غبا^(١)
ومن غزله الذي يطرب القلب ويبهج النفس هذه الأبيات:ـ
إبقي من الصب المشوق ذمماً
وتداركيه فقد قضى برحاء
بأبي جفونك إذ يصبن مقاتلي
بقلى ويبعثن القتيل رجاء
الرائشات إلى الكبود سهامها
والمضرمات بناها الأحشاء
والموحيات الشعر في إيماءة
والملهمات بسحرها الشعراء
حسناً يا أغرودة بغم الهوى

^١ -الركب الضائع. (مخطوط).

غنى بها شوقاً صباح ومساءً

يا نعمة رقصت على فم والده

فشداً بها فرحاً وضج غناء^(١)

ثم اقرأ ترانيمه التي يعبر بها عن شعوره وأمنيته بقيام الوحدة بين العرب وتوحيد دولتهم لإعادة كيانهم الأصيل وأمجادهم التليدة، وهذا قوله:ـ

للوحدة الكبرى لحون ترنمي

عادت بها بغداد ضاحكة الفم

سل أي فجر هل نشوان السنا

من بعد ليل بالخنا متجهم

يا خزيها حقبا مررن بسبة

وانحن كالشبح المروع المعتم

أيام لا للشمس لون أصيلها

يحلوا ولا للنجم رفة مبسم

عبس الزمان بها فرزه فاقم

وبلية تعرو وخطب يرتمي

تخشى الكرى فيها نواظر أمتي

وخلا العرين من الهصور الضيغم

أكبرت يعرب أن تغض على القذى

أو أن ترود المجد غير معظم

^١ - الركب الضائع - ديوان شعره.

حميد مجيد هدّو



في حدود عام ١٢٠٠هـ أي ما يقارب القرنين، نزحت من بغداد إلى كربلاء أسرة عربية عريقة الحسب تنتسب إلى عشيرة (المعامرة) المعروفة المنتشرة في بغداد والحلة والهندية والنجف.

وقد آثرت هذه الأسرة مجاورة قبر ريحانة الرسول الأعظم الإمام الحسين عليه السلام وهي التي تعرف بـ "آل هدّو"^(١) وهم من تجّار الحبوب المعروفين في كربلاء التي هي مركز التقاء عام منذ مصرع الإمام الشهيد عليه السلام حتى اليوم وإلى الأبد بين مختلف الأجناس والأقوام الإسلامية التي آثرت السكنى في كنف هذه البقعة الطاهرة. وشأنها شأن كافة العتبات المقدسة في العراق التي تحتضن أشكالاً منهم ولكن كربلاء المقدسة يمكن القول بأنها أكثر نصيباً من غيرها باحتضانها البيوتات العربية العريقة النازحة إليها في مختلف الأدوار التاريخية.

سكنت أسرة - هدّو - في محلة (باب الطاق) المعروفة قديماً بمحلة - آل عيسى - نسبة إلى الأقوام العلويين الذين عرفت هذه

^١ - هدّو: لفظة ثبتت من باب التمليح على الجد الأكبر لهذا البيت بعد تصغير اسمه من (هادي) إلى هويدي.

المحلة باسمهم حيث كانوا يسكنونها في القرن الثامن الهجري، وقد انقرض نسلهم فيما بعد.

وسبب نزوح آل (هدو) من بغداد إلى كربلاء كما هو المعروف على أثر بعض الاضطرابات السياسية والأمراض التي انتشرت في أوساط بغداد منها مرض - الطاعون - الفتاك، وكانت لهم مزارع في منطقة الوشاش يعملون فيها ولكنهم تركوا مهنتهم تلك بحكم تلك الظروف التي ألجأتهم على الهجرة والنزوح إلى كربلاء.

مولده ودراساته ونشاطه:

ولد في كربلاء عام ١٩٤١ وهو ابن مجيد بن حمود بن محمود بن هادي (هدو) بن عبد الله.

أنهى مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية - فرع الأدبي - وتخرج من دار المعلمين الابتدائية في كربلاء عام ١٩٥٩ وعين معلماً ثم مديراً لمدرسة الأشبال الابتدائية، وفي هذه الفترة أخذت تراوده أفكار طامحة تزيده شوقاً واندفاعاً لمواصلة الدراسة الجامعية، فلم يربطاً من ذلك فدخل إلى جامعة بغداد وتخرج منها عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧، وحاز على شهادة (البكالوريوس) في الآداب وعين مدرساً في متوسطة (أبي العلاء المعري) في الكاظمية.

وتنفيذاً لرغبته الشديدة سجل في كلية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة ليحصل على شهادة (الماجستير) في الأدب والنحو وما زال في صدد تحضير رسالته الجامعية لهذا الغرض.

أما نشاطه الأدبي - فهو موضوع حديث طويل، وبكلمة موجزة نقول أن الأستاذ حميد استطاع خلال فترة قصيرة من عهد شبابه هذا أن يخرج إلى حيز الوجود بعض الكتب من تأليفه وبعض الدواوين بتحقيقه، إضافة إلى المقالات التي نشرها في كثير من الصحف والمجلات العراقية والعربية الشهيرة مثل: - البلاغ، الكتاب، المكتبة، الإخاء الإيرانية، الغري، الإخاء التركمانية، الأفق الجديدة الأردنية، الأديب اللبنانية، والجرائد مثل: - البلد الجمهورية، الأبناء، المجتمع الكربلائية، كل شيء، الأيام، الفجر الجديد، الشعب وغيرها.

ومن آثاره: - (إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان) أول كتاب أصدره عام ١٩٦٣ وهو دراسة شاملة حول شخصية الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال وحياته وأدبه وفلسفته الفكرية وآثاره، ولقد عرض هذا الكتاب علي قبل تقديمه للطبع فراجعته من ألفه إلى يائه (وكان باكورة تأليفه) فرأيته أثراً أدبياً يحق لـ (إقبال) أن يكون مدار بحثه ومحور حديثه.

وأما تحقيقه لديواني الشاعر الكبير العلامة الشيخ عبد الحسين الحويزي الخالد، فهو كذلك تخليد لذكرى هذا الشاعر الكربلائي الموهوب، وكانت دواوين الحويزي في طريقها إلى الاندثار لولا الجهود التي بذلها الأديب حميد هـدو للبحث عنها والحصول عليها.

والواقع أن الشيخ الحويزي قلما نجد بل قلما ترى الأجيال المتعاقبة مثيله في العبقرية الفكرية الزخارة فلقد كان نسيج وحده في قوة شاعريته، ونبوع أدبه.

ولقد كتبت وأسهبته في الحديث عنه في عدة مقالات تقديرًا لمواهبه وإكبارًا لشخصيته الأدبية اللامعة ووفاءً لحقه علي^(١).

وللأستاذ حميد أيضاً تحقيق عن مخطوطات مكتبة سماحة العلامة المجاهد السيد عباس الكاشاني بعنوان - مخطوطات مكتبة العلامة السيد عباس الكاشاني - وهذا الكتاب يعكس في محتواه صورة حية للتراث العلمي والأدبي والفكري القابع في الظلام في مكتبة الكاشاني التي هي اليوم في طليعة المكتبات الخاصة وأضخمها في كربلاء أن لم نقل في العراق ذلك لأنها تحتوي على ٥٠٠٠ ألف كتاب أو تزيد وفيها من نوادير المخطوطات ونفائس المطبوعات ما لم تجد لنظائرها في غيرها من المكتبات.

أسلوبه:

الأستاذ حميد هدو أديب في مستواه الفكري الذي هو حصيلة دراساته ومطالعاته واختلاطه بالأدباء والشعراء وعضويته في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين وتتبعه قضايا النشر والتأليف، وأسلوبه في

^١ - نشرت في مجلة الإيمان، الأقسام، البلاغ التي تصدرها الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية في الكاظمية برئاسة سماحة العلامة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٣٣٧ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
الكتابة جيد ومتين، وهو كذلك شاعر ولكن نثره أكثر قوة من شعره
الذي لا يستوي مع نثره في القوة والجودة.

نماذج من نثره:

نقتطف من (تصديره) لديوان المرحوم الشيخ عبد الحسين
الحويزي - الجزء الأول - ما يلي: -

"عالج الحويزي القضايا الاجتماعية فتعرض في شعره إلى إصلاح
المجتمع وذلك ببث الوعي والقضاء على الجهل والتخلف والفقر
والمرض الثالث الاجتماعي المريب وكثيراً ما دافع عن الفقراء
وطالب المسؤولين بإصلاح حالهم ودراسة أوضاعهم المزرية وتبني
الدعوة للأخلاق والفضائل ومنافحته عن كل ما هو خير في المجتمع
ومحاربة الرذيلة، فلا غرو إذا وجدناه يقف إلى جانب الجهة التي
تدعو إلى محاربة التبرج والالتزام بالحجاب الشرعي للمرأة.. الخ"^(١).
وللأستاذ حميد مقدمات لبعض الكتب الأدبية، نأخذ شيئاً من
مقدمته للجزء التاسع من دواوين الشاعر الشعبي الكبير الشيخ كاظم
المنظور الكربلائي قوله: -

".. ولكن لكل شاعر هوى في نفسه وميلاً خاصاً يحتل الجزء
الكبير من تفكيره فيعكس تلك الأصداء ويصحبها في قالب شعري
وشاعرنا المنظور اشتهر برثاء أهل البيت عليه السلام واطهر تفوقاً ونبوغاً في

^١ - ديوان الحويزي - ج ١.

الرتاء بسبب استعداده الفطري للتعبير عن الحزن الذي كان يفطر في
مكامن فؤاده، وكان تأثير واقعة الطف على نفسه بليغاً مما جعل
الشاعر يوقف شعره عليها تقريباً فأجاد وأبدع حتى أصبح في هذا
المجال أناشيد ترددها المواكب الحسينية ومادة طيبة لمجالس العزاء.
فهو عندما يحدثك في شعره عن يوم عاشوراء يعكس المشاهد
الحزينة والصور الدامية لتلك الواقعة الحاسمة في تاريخ الإسلام عامة
والشيعة خاصة، ويعرض أحداث المعركة ووقائعها ونتائجها بأسلوب
عامي حزين يبكي الحجر الأصم، وهو عندما خص معظم قصائده في
الرتاء لآل البيت الأطهار "بِالْبَيْتِ" ليس معنى ذلك أن مراثيه الأخرى
ليست بمكان بل إنه أحسن إحساناً في مراثيه لبعض العلماء الأعلام
والزعماء الأفاضل.. الخ".^١

ومن شعره نورد الأبيات التالية ففيها ترجمة الشعور التائه في
مهمات الحب والوجد حيث يقول:ـ

حادي العيس لا تعجل سراها
لا تدعني متمماً في هواها
فلقد أقسم الفؤاد يميناً
بالسماوات والذي قد بناها
إنه مغرم بحب سعاد
وسنا وجهها ونور ذكاهها

^١ _ المنظورات الحسينية ج/٩.

لم ولن أستطيع بعد سعاد
لا وطه إن اصبرن لا وطه
فهي القلب والسراج ومنها
أشرقت فرقداً لنا وجنتها
وهو بعد ذلك يصف شجاعة العرب وقوة بأسهم وأيام صولتهم
بقوله:ـ

أسد الغاب ما يجور قهورا
عزة الكون وما أرخوا عنانا
وردوا فارتشفوا العز كما
ضربوا في حومة المجد جراننا
يوم ضاعت كل آفاق الثرى
بهم كانت ذرى العليا مكاننا
وله بعض التحقيقات لبعض الدواوين، ويأمل أن يدفعها إلى الطبع
مثل:ـ ديوان السيد الرضوي وديوان الحويزي ج/٣ وديوان - البغاء -
بالاشتراك مع الأديب الأستاذ صبيح رديف أمين مكتبة المجمع العلمي
العراقي، وديوان محمد جواد البغدادي إضافة إلى بعض آثاره
المخطوطة.

وأخيراً:ـ نرجو ألا تؤثر حياته الزوجية (المباركة) على نشاطه
الفكري بل نريد منه أن يتغلب هو عليها بالمزيد من الإنتاج الأدبي
خاصة وإن الأديب حميد هدو من الذين نشاطهم مثار الغبطة بين
أقرانهم.

عبد الجبار عبد الحسين الخضر



نشأ وفي نفسه ولع شديد بدراسة الأدب. وبدأ في عنفوان شبابه ينظم الشعر ويحرر المقالات حتى بلغت موهبته أشدها، كما أصبح نتاجه - شعراً أم نثراً - من القوة بمكان.

ولقد عرفته كاتباً يستطيع أن يصور خواطره وأحاسيسه ببراعة وشاعراً تتجاوب له القريحة فينظم في الشعر العمودي المقفى، وفي الشعر الحر أيضاً، ويجيد النظم في كليهما.

والأستاذ جبار كذلك من هواة القصة قراءة وكتابة، وناقد بارع ينشد الهدف السليم في نقده، والهدف السليم هو العنصر الأساسي في بناء النقد الموضوعي النزيه. ولعلّ النقد من اختصاصه إن جاز لنا التعبير بـ(الاختصاص). ويمتاز أسلوبه بوضوح الفكرة والقوة ووحدة الموضوع والتركيز على الأشياء التي يلتقطها وي طرحها على بساط النقد للمناقشة بأسلوبه الهادئ المهذب، وهكذا يجب أن يكون أسلوب الأديب.

وما أكثر مقالاته في نقد مجموعة من الكتب الأدبية والتاريخية وبعض الدواوين لبعض الشعراء الكربلايين وغيرهم الذين لم

٣٤١ _____ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ١
يسلموا من مداعباته ومصارحاته في معرض نقده لهم حتى أنا
بالذات.

إنّ هذا الموضوع ليس دراسة أدبية أو ترجمة، وإنما هو تعريف
كما اسميه فحسب، لأن هذا الكتاب الآن يتعجل الخروج إلى النور
ولم يكن بالإمكان التوسع في البحث، سيما وأنه من موضوعات
الجزء الثاني كما كان مقرراً.

ونختار من شعر الشاعر عبد الجبار - وهو كثير - هذه المقطوعة
التي قالها في رثاء أبي الشهداء الإمام علي (عليه السلام) عن قلب متفجع
بواقعة الطف مأساتها الكبرى: -

ذكرى الطف

خوטר جامحات في بياني
يصوغ لهيها عطر الجنان
تهدهدها القوافي شامحات
ويعبق في جوانبها حناني
أبا الشهداء هبني حسن قول
واحلل عقدة عقلت لساني
لسمو فوق ما يسمو قريضي
خريدة مؤمن ثبت الجنان
سيبقى الطف والأيام تفنى
يُردد ذكره قاص ودان
سيبقى الطف عنواناً كبيراً

لكل مناضل حر اللسان
أبا الشهداء حسب الطف يوماً
س يبقى خالداً مر الزمان
وقفت بكربلا فرداً وكانوا
يعدون الأسنان للطعان
تصول خيولهم في كل شعب
يطير لنقعها قلب الجبان
عرضت قراعمهم رأياً برأى
ففروا من مقارعة البيان
يميت نفوسهم حقد بعيد
توارثه فلان عن فلان
فكنت الحق يمحق كل شيء
وكنت الشمس تسطع كل آن
وله في رثاء المرحوم عبد المنعم الجابري قطعات لاهبة من
العاطفة في قلب كئيب، وكان الجابري المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦
متمسكاً بدينه معتدلاً في سيرته شديد الولاء لأهل البيت عليهم
السلام أديبا وشاعراً، توفى في عنفوان شبابه وكان صديقاً لي وقد
تأثرت بوفاته غاية التأثر ورثيته بقصيدة مطلعها: _
نَظَمْتُ رِثَائِي بِالْأَدْمَعِ لِحُزْنِ تَأَجَّجٍ فِي أَضْلَعِي^١

^١ _ "نشرت في مجلة العدل النجفية"

وعبد المنعم هو شقيق صديقنا الأستاذ الأديب المتدين كاظم عبود الجابري، وقال الأستاذ عبد الجبار يرثيه بقوله:

ما لوعة القلب تخفيها فتحتمل
إن كان حزنك مشوب اللظى شعل
ولا التعلل بالذكرى يهددها
إن كان ليلك مهزوز الرؤى شمل
ولا التعلق بالدنيا وزخرفها
إن كان فقدك فيما تدعى رجل
يا (منعما) ولساني عاجز أبداً
أكبرت فقدك إذا أودت بك العلل
أكبرت فقدك حتى كدت أجحده

الله أكبر لولا أنه أجل
وله تحت عنوان: "من الواقع الأدبي في كربلاء" مقال فيه
مداعبات أدبية كثيرة لعدد من أدباء وشعراء كربلاء، ولكن نستطيع في
الوقت نفسه أن نعتبره - نقداً أدبياً - للنقاط التي عالجها بفكره وقلمه
وهو مقال مفصل جداً نأخذ منه هذه المقتطفات.

".... أما إذا تجاوزنا هؤلاء فإننا سنواجه وبكل وضوح وجوهاً مشرقة
تعطي أكثر مما تطالب وتنتج أكثر مما تدعى وتعلن، ومن هؤلاء من
يأخذ منه العمل الأدبي جل وقته وفراغه.

فالأستاذ موسى الكرباسي فهو بالإضافة إلى عمله في التدريس
نجده لا يترك فرصة تمر دون أن يكون على صلة دائمة بالإنتاج وهو

إضافة إلى كل ذلك لا ينقطع عن أكثر الحلقات الأدبية التي تنعقد في الكثير من المجالات ومنها مطبعة أهل البيت، وكتابه: « البيوتات الأدبية » الذي سيصدر عن قريب حديث الساعة ومثله تماماً الأستاذ السيد صادق آل طعمة، فهو وإن لم يتمكن لحد الآن من إبراز فكرته وجمعيته الأدبية للوجود إلا أنه على اتصال دائم بالأدب والأوساط الأدبية، حركة دءوبة يشهد له بها الجميع وتفاعل كبير مع كل الأحداث، ولكن الشيء الوحيد الذي أسجله على الأستاذ صادق آل طعمة هو هذه الحساسية المتناهية التي تميز كل علاقاته وتصرفاته مع الآخرين، وهي حساسية من النوع الذي يجب أن يكون عليها جميع المفكرين ولكن ليس لهذا الحد وهذه الدرجة وما عدا ذلك فان لأدب الأستاذ آل طعمة وزناً خاصاً لا يستطيع تقييمه إلا أولئك الذين رزقوا رهافة الحس ونقاوة الذوق، ولا أدري لماذا بقي كتابه « الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء » رهن الآلات في المطبعة.

بقي علينا أن نترصد الباقيين فمحمد علي الخفاجي لا تكاد تظفر له بشيء اللهم إلا قصيدة أو اثنتين وفي مجالات منزوية قد تلعب الصدفة أدواراً في الملاءك عليها، والمقربين من الأستاذ الخفاجي يعرفون جيداً السبب وكذلك الأخ جاسم الكلگاري، ولكنه لا ينقطع مطلقاً عن البحث والتنقيب في بطون الكتب، وكتابه « العرب في الكتاب والسنة والتاريخ » أوشك جزؤه الأول على الصدور.

«... وإذا ما تجاوزنا ذلك فإن أول من يطالعنا عبد الرضا الصخني وهو يحاول إثبات قدرته على تخطي كل الحواجز والقيود حيث يث بين صفحات الصحف والمجلات بعضاً من إضماماته العقبة الشابة الفياضة التي تعكس بعضاً من توثب روحه ونزوعها نحو الكمال والاستكمال.

وعلى العموم فالأدب في كربلاء بين وإذا ما أردنا الحكم على الأدب من خلال صدور الآثار الأدبية فإن النشاط بعض سمات الحركة الأدبية في كربلاء، لان صدور ثلاثة مجاميع شعرية خلال ثلاثة أشهر لثلاثة من شعراء المدينة يعطي أكبر وأقوى الدليل على سلامة وصحة هذا النشاط «فشهرزاد في خيام اللاجئين» لكاتب هذه السطور «وعبير وزيتون» للشاعر عدنان غازي الغزالي «ومرافئ الظلال» لباسم يوسف الحمداني، خير دليل على هذا النشاط^١.

وبعد ذلك نعود إلى القول فإن الأستاذ عبد الجبار كان محرراً في جريدة «فتى العرب» الموصلية، وهو اليوم عضو في لجنة تحرير مجلة "الرائد" لنقابة المعلمين - فرع كربلاء - ويعمل معه في هذا الحقل الأستاذان أسعد توفيق والشاعر عدنان الغزالي.

^١ - جريدة فتى العرب - الموصل - ١٩٦٧.

خاتمة المطاف

عزيري القارئ؛ أتمثل إليك قبل كل شيء بقول للشاعر القائل:-

على المرء أن يسعى بمقدار جهده

وليس عليه أن يكون موفقاً

وما أصدق هذا القول، فإنه ينطبق علي بما له من دلالة واضحة فأنا قد سعت بمقدار جهدي في تأليف وإخراج هذا الكتاب المتواضع وأما الموفقية - التي هي الغاية المتوخاة - فلست أدري هل أنالها أم هي مجرد أمل منشود؟!.

ولقد وضعت نصب عيني - أول ما شرعت - المقاييس الشخصية والأدبية وسرت على ضوئها في دراسات الكتاب، ولم أفرط بها أيما تفريط في إعطاء كل أديب أو شاعر حقه بما يستحق دون زيادة أو نقصان، ومع ذلك إنني لست ادعى العصمة والكمال فإنهما لله وحده، وإنني واثق من أنك قد لمست هذه الحقيقة من خلال مطالعتك لمواضيع الكتاب خاصة إذا كنت ممعنا فيها.

وأما إذا بدا لك شيء خلاف ذلك، أو إذا اكتشفت في بحوثي قصوراً في أمور تمت إلى التحقيق العلمي والاستقصاء الموضوعي بصلة فإن ذلك لا يمس - لو قليلاً - بكرامة الكتاب - كما أعتقد - ولا يقلل من قيمة الهدف النبيل الذي استهدفته، أو نزاهة القصد التي التزمت بها من البداية حتى النهاية.

وإنَّ لي من رحابة الصدر ما أتقبل بها منك كل نقد موضوعي بناء
نزيه تقوم به من أودى خاصة في مواضع الخطأ والزلل التي لا يسلم
منها حتى فطاحل الكتاب والمؤلفين. وتلك هي سنة التأليف في كل
عصر وجيل. وسوف تجدني شاكراً شعورك الطيب وإيجابيتك التي
تجعلني أحترم رأيك الصريح، وأقدِّر نظراتك الصائبة، وأجلّ نقدك
الوجيه، مع اعتراف ضمني بالخطأ - (والاعتراف بالخطأ فضيلة).

وأودّ أن أشير هنا إلى نقطة مهمة تحتل جزءاً كبيراً من كيان
الكاتب والكتاب في آن واحد، فكثيراً ما نرى من الكتاب من
يتعرضون إلى نقد جارح طابعه التهكم والسخط والازدراء، وهو إلى
جانب ذلك خارج على العرف الأدبي وحتى العرف الاجتماعي لما
فيه من أساليب ممجوجة بعيدة عن الحق والحقيقة والمنطق الرصين
وهدفها إثارة العنعنات والشقاق والبغضاء ... الخ.

وإننا نعرف البعض من الناقدین الذين يقوم نقدهم دائماً على مثل
هذا الأسلوب الفارغ الناطق بجهلهم وأنانيتهم وبخسهم وانتقاصهم
حقوق الكاتب والكتاب وتنكرهم للحقائق، وذلك هو الظلم الفظيع.

إن النقد الموضوعي النزيه هو الذي يتصف بشيئين: الأول إبراز
المحاسن والإشادة بها، والثاني - البحث عن مواطن الضعف والخطأ
والمؤاخذه عليها.

وأما إذا تجرد النقد من هاتين الصفتين فهو ليس إلا لغو وثرثرة،
واللغو والثرثرة ليسا من الأدب في شيء بل الأدب بعيد عنهما بعد
السماء عن الأرض.

وختاماً: أرجوا أن أتلقى من الإخوان القراء الأعزاء وجهات
نظرهم الصائبة بـ(الكلمة الطيبة صدقة) وـ الدين النصيحة والأدب
التقويم.

فإني وإياهم أبناء أدب يواخي بيننا ويؤلف بين قلوبنا كما يقول
الشاعر الحكيم:ـ

إن لم يكن نسب يؤلف بيننا

أدب أقمناه مقام الوالد

تقريض قيّم

تفضّل علينا الأخ الشاعر علي محمد الحائري بهذا التقريض –
مشكوراً – وكان المفروض أن يأخذ مكانه في صدر الكتاب ولكن
لضيق المجال أثبتناه هنا مع التقدير:–

وسفر حوى الأدب الألمعي

تناهى مؤلفه في كماله

بروضته الشعر حلو اللغى

فاضفى عليه برود جماله

بأجمل من صدحات الطيور

وأوقع من بلبل في احتفاله

فلله درك يا (صادق)

وبوأك الفكر أسمى مجاله

تقصيته في ربوع الطفوف

ورحت تـسـطر أي رجاله

وما كربلاء سوى هالة

لبدر يدل ببدر مثاله

على تربها من دماء الحسين

نجوم النهى سـطـع من جلاله

هو السبط وابن امام البراع

علي – تفيأ ساجي ظلاله

كربلاء / علي محمد الحائري

المؤلف في سطور

ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م.

ربّاه والده الجليل الحاج السيد محمد رضا آل طعمة بتربية دينية سليمة فأحسن تربيته، وهذبه بمكارم الدين والأخلاق، فآتم تهذيبه،

وعلمه فنون الخط العربي والفارسي الجميلين بإتقان.

درس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على أستاذه الأول المرحوم الشيخ محمد (أبي خمرة) السراج الأسدي. ومنه أيضاً اقتبس بعض الفنون في الخط العربي.

درس علم التجويد على العلامة السيد محمد حسن السيف وعلى

أستاذه الورع الحاج محمد حسين الكاتب في كربلاء.

درس العلوم العربية من نحو وصرف وفصولا من الفقه والتشريع

الإسلامي في مدرسة الإمام الخطيب الشيخ محمد قزويني ومن أساتذته

في هذه المدرسة المرحوم العلامة الشيخ عبد الحسين الدارمي

والخطيب الشهير السيد محمد كاظم القزويني وغيرهما وأحيانا

(العلامة الخطيب - نفسه).

شبّ وترعرع على مطالعة الكتب الأدبية ودواوين شعراء الجاهلية

والشعراء القدامى في الإسلام والمعاصرين، وتأثر بالشريف الرضي

وأخيه المرتضى والمتنبي على الأكثر ثم الجواهري والرصافي وشوقي

وحافظ إبراهيم وغيرهم، ولعل دواوين الرضي والمرتضى والمتنبي

هي التي أظهرت موهبته الأدبية وملكته الشعرية.

بدأ ينظم الشعر ويكتب المقالات منذ عام ١٩٥٠ لم ينشر منها شيئاً في ذلك الوقت، وترك الشعر لفترة طويلة ثم عاد إليه في عام ١٩٥٨ واستمر في النظم حتى اليوم.

شارك في معظم حفلات كربلاء الدينية والأدبية بخطبه الارتجالية وقصائده الحماسية على الأخص مهرجانات كربلاء السنوية العظمى بمولد الإمام علي عليه السلام وكثيراً ما عهدت إليه فيها وفي غيرها عرافة الحفل، وأول احتفال ديني شارك فيه هو الذي عقدته الهيئة العلوية في كربلاء برئاسة السيد صدر الدين الشهرستاني منذ ١٨ عاماً تقريباً. استفاد في البداية من تجارب بعض أصدقائه الأدبية الذين لهم قدم في الأدب أمثال: - المرحوم العلامة الحويزي والدكتور السيد صالح جواد آل طعمة والسيد مرتضى الوهاب والسيد مرتضى القزويني والسيد صدر الدين الحكيم الشهرستاني.

تخرّج من الدورة التربوية الخاصة برجال الدين عام (٥٩- ١٩٦٠) وما زال حتى اليوم يمتحن التعليم الابتدائي.

وهو خطّاط شهير يجيد كتابة الخطوط العربية على الأخص الثلث - والنسخ - والرقعة - والديوان - وكذلك الخط الفارسي مع تطبيق قواعدها الفنية بدقة ومهارة وبراعة وذوق سليم خاصة اللوحات الخطية الكبيرة، والجدير بالذكر أن الخط قد ازدهر في كربلاء بواسطة لما بذل في سبيله من جهود لإحيائه منذ ستة عشر عاماً تقريباً.

انتمى بالعضوية إلى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد في عام ١٩٦٢.

يملك مكتبة خاصة تحتوي على ما يقارب (١٧٠٠) كتاب في مختلف المواضيع ولكنها غير منظمة.

كان عضواً إدارياً أربع سنوات في الجمعية الخيرية الإسلامية وقد استقال منها في عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤.

نشر كثيراً من المقالات والقصائد في مختلف الصحف والمجلات العراقية والعربية المرموقة منها. العرفان اللبنانية - الإيمان - البلاغ - الأقلام - الشؤون الاقتصادية لغرفة تجارة كربلاء ١٩٦٢ - الأسرة - الثقافة الإسلامية - العدل - التضامن الإسلامي - الرائد لنقابة المعلمين فرع كربلاء - رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية - صوت المبلغين وكان صاحبها فضيلة الخطيب السيد حسن المصباح - والأخلاق والآداب وغيرها.

وأما الجرائد التي نشر فيها منها: جريدة الأخبار البغدادية - جريدة المجتمع الكربلائية، وغيرها من المجلات والنشرات التي لا تخطر على البال.

كما أنّ له مقدمات عديدة لبعض الكتب مثل: ذكرى العلامة الخطيب. لماذا اخترت مذهب الإمامية أو مذهب أهل البيت بدون توقيع. والجزأين السادس والثامن من دواوين الشاعر الشعبي الكبير الشيخ كاظم المنظور الكربلائي - المنظورات الحسينية ومجلة: -

(صوت شباب التوحيد) الكربلائية وغيرها من المجالات مع عدد كبير من الأدباء والشعراء داخل العراق وخارجه....

مستقل الفكرة، مستقيم الاتجاه، بعقيدته الإسلامية التي قاوم بها التيارات الحزبية السياسية خاصة صموده بوجه المبدأ الفوضوي الهدام أيام انتشاره وكان مهدداً بالخطر الشديد هو وشقيقه الأكبر السيد مهدي آل طعمة - صاحب المواقف المشهودة في تلك الأيام السود - عام ١٩٥٩ أيام الفوضى.

أمّا حياته الزوجية فهي العقبة الكأداء في طريق نشاطه الأدبي وهو الذي يقول: _ الحياة الزوجية كسجن كبي والمتزوج كالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. وينطبق هذا المثل على شخصه ومن على شاكلته.

المصادر

١. الشعر العراقي الحديث	الدكتور يوسف عزّ الدين
٢. الوزارات العراقية	عبد الرزاق الحسني
٣. ديوان الحويزي القديم	عبد الحسين الحويزي
٤. مدينة الحسين ج ١/١	محمد حسن الكلّيدار آل طعمة
مجلة المرشد م/٤	صاحبها المرحوم هبة الدين الشهرستاني وكان السيد صالح مدير تحريرها والمشرف عليها.
٦. شعراء الثورة العراقية	خضر العباسي
٧. كربلاء في التاريخ	عبد الرزاق عبد الوهاب آل طعمة
٨. جريدة المجتمع الكربلائية	جاسم الكلگاوي
٩. مجلّة التضامن الإسلامي	جمعية التضامن الإسلامي الناصرية
١٠. رحلة ابن بطّوطة	
١١. البيوتات العلوية	إبراهيم شمس الدين القزويني
١٢. تاريخ كربلاء وحائر الحسين <small>عليه السلام</small>	الدكتور عبد الجواد الكلّيدار آل طعمة
١٣. عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب.	
١٤. تحفة الأزهار وزلال الأنهار.	ضامن بن شذقم.
١٥. نزهة الحرمين في عمارة المشهدين	العلامة حسن الصدر

عبد الرسول الواعظي_ إصدار منابع الثقافة الإسلامية في كربلاء	١٦. العدد ٣٦ الخمرة
العلامة أحمد أمين	١٧. التكامل في الإسلام ج/٢
العدد ٤_ السنة الأولى_ ٥٢ الأردن.	١٨. مجلة القلم الجديد
الدكتور صالح جواد آل طعمة	١٩. ديوان ظلال الغيوم
	٢٠. مجلة المثقف ١٩٥٨ _ مجلة المفكر ١٩٥٧
الدكتور أحمد زكي أبو شادي	٢١. قضايا الشعر المعاصر
فالح العسكري	٢٢. مجلة صوت العراق
موسى إبراهيم الكرباسي	٢٣. البيوتات الأدبية
موسى إبراهيم الكرباسي في كربلاء خلال ثلاث قرون	٢٤. أعيان الشيعة م/٤٣
محمد حسن حرز الدين في تراجم العلماء والأدباء	٢٥. معارف الرجال
العلامة محمد السماوي	٢٦. مجالي اللطف بأرض الطف
العلامة محمد حسن آل ياسين	٢٧. ديوان الشيخ جابر الكاظمي
سلسلة أعلام الفكر العربي	٢٨. زهير بن أبي سلمى
ميشال عاصي	٢٩. الفن والأدب
موسى اليعقوبي	٣٠. مجلة الإيمان
محمد صالح القزويني	٣١. الموعظة الحسنة
الدكتور علي الوردي	٣٢. وغاز السلاطين

الدكتور علي الوردي	٣٣. مهزلة العقل البشري
لأبي فضيل بن أبي الفتوح	٣٤. النفحة العنبرية في أنساب آل البرية.
نزار الزين	٣٥. مجلة العرفان اللبنانية
محمد علي القصير الحائري	٣٦. اللّمة التاريخية في بيوتات كربلاء والغازية.
١٩٥١م	٣٧. جريدة صوت الكرخ
١٩٥٢	٣٨. جريدة صوت الشعب
عبد الرّحيم الكيال ١٩٥٣م	٣٩. جريدة القدوة الكربلائية
صدر الدين الشهرستاني	٤٠. مجلة رسالة الشرق الكربلائية
جاسم الكلگاوي	٤١. البرامكة والعلويون
عباس العزاوي	٤٢. عشائر العراق
١٩٦٨م	٤٣. جريدة الجمهورية
١٩٥٤م	٤٤. جريدة
١٩٥٣م	٤٥. جريدة الطريق
١٩٥٤م	٤٦. جريدة الأخبار
١٩٦٣م	٤٧. جريدة الأيام
١٩٦٥م	٤٨. جريدة العرب
شباط ١٩٦٥م	٤٩. مجلة الإخاء
علي الخاقاني	٥٠. مجلة البيان

حسين فهمي الخزرجي	٥١. الشيوعية عدوة العرب والإسلام
حسين فهمي الخزرجي	٥٢. ما قلّ ودلّ / مخطوط
حسين فهمي الخزرجي	٥٣. أدب كربلاء الحديث
حسين فهمي الخزرجي	٥٤. نحو وجهة قومية
كاظم محمد النقيب	٥٥. نحن واليهود
علي محمد الحائري	٥٦. الركب الضائع / ديوان
تحقيق: حميد مجيد هدّو	٥٧. الحويزي
كاظم منظور الكربلائي	٥٨. المنظورات الحسينية ج/٩
غالب الناهي	٥٩. دراسات أدبية

آثار المؤلف

المطبوعة: _

١. في ذكرى فقيد الإسلام الخالد الإمام الشيرازي_ وهو مجموعة مقالات ألقاه في حفلات تأيينية في النجف وكربلاء على روح فقيد كربلاء آية الله العظمى المرحوم السيد مرزة مهدي الشيرازي _ ١٣٨١هـ .

٢. فاجعة عزاء طويريج_ بالاشتراك مع الأديب الحاج جاسم الكلگاوي، وقد نفذ فور صدوره لأهميّة بحوثه التاريخية، ووصفه الدقيق للفاجعة الكبرى التي ذهب ضحيّته ٣٣ شخصاً في موكب عزاء طويريج في ظهر يوم عاشوراء أثناء دخوله وذلك في عام ١٣٨٦_ ١٩٦٦. إلى الصحن الحسيني الشريف بهرولته المعهودة.

٣. الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء الجزء الأول ١٣٨٨_ ١٩٦٨م.

المخطوطة: _

١_ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء (الجزء الثاني). قيد الطبع.

٢_ نفحات (ديوان شعر).. قيد الطبع.

٣_ من وحي الأدب. قيد الطبع.

٤_ من شذرات الفكر_ كلمات في مهرجان أمير المؤمنين عليه السلام. قيد الطبع.

٥_ قبسات من نهضة الحسين عليه السلام.

٦_ صفحات مشرقة من تاريخ كربلاء.

٧_ معالجات في شؤون نظام العتبات المقدسة.

- ٨_ الحركة العلمية الدينية في كربلاء.
 ٩_ الشعائر الحسينية في معرض النقد والتوجيه.
 ١٠_ من بطولات كربلاء في فترة الطغيان الشيوعي.
 ١١_ هؤلاء علماؤنا في البلاد الإسلامية.
 ١٢_ هكذا يتطفلون على الأدب.
 ١٣_ هؤلاء شعراؤنا وأدباؤنا.

سيصدر قريباً للمؤلف

نقدنا

_ ديوان شعر _

من رحم الأديب

كلمات ومقالات أدبية

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٤	تقريظ للأستاذ السيد مرتضى الوهاب
٥	تصدير/ بقلم السيد محمد جمال الدين الهاشمي
١١	تقديم/ بقلم الأستاذ توفيق الفكيكي
٢٠	كلمة/ بقلم السيد مرتضى القزويني
٢٥	كلمتي
٤٧	السيد مرتضى الوهاب
٩٩	الدكتور صالح جواد آل طعمة
١٤٦	الدكتور ضياء الدين أبو الحب
١٦٨	المحامي جعفر الشيخ عباس الحائري
١٩١	السيد مرتضى القزويني
٢٢٤	صدر الدين الحكيم الشهرستاني
٢٥٢	محمد حسن مصطفى الكليدار آل طعمة
٢٦٦	جاسم محمد الغلگاوي
٢٨٩	مشكور الأسدي
٣١١	حسين فهمي الخزرجي
٣٢٤	علي محمد الحائري
٣٣٣	حميد مجيد هدّو

٣٤٠	عبد الجبار عبد الحسين الخضر
٣٤٩	تقريظ قيّم / للشاعر علي محمد الحائري
٣٥٤	المصادر
٣٦٠	فهرس الكتاب
